شرح العينية

نظم سيدنا الحبيب القطب
عبد الله بن علوي الحداد باعلوي

تأليف

الإمام الهمام الليث الضرغام
الحبيب العلامة أحمد بن زين بن علوي الحبشي
الحسيني الحضرمي الشافعي
رحمه الله تعالى
(١٠٦٩-١١٤٤هـ)

طبعة مصححة ومنقحة

دار العلوم الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
سورابايا

شرح
العينية

نظم سيدنا الحبيب القطب
عبدالله بن علوي الحداد باعلوي

تأليف

السيد الشريف العالي المنيف
العلامة الحبيب أحمد بن زين الحبشي باعلوي
نفعنا الله بهم وبعلومهم آمين

طبعة مصححة ومنقحة

طبع بمطبعة كرجاي المحدودة
سنغافورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عين لأعيان الأعيان عين عيان حق اليقين، وعلم من لدنه من تحقق في عبديته وعبوديته وعبودته من العباد المخلصين، واختص من اختص برحمته العندية ولم يضع أجر المحسنين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

أحمده كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه، وأسبحه علما بأنه المسبَّح قبل التسبيح، والمنزه قبل علم المنزهين، والقبل والبعد والمنزه له في مرتبة إمكانهم، وأكبره يقينا بكبريائه، واليقين بذلك من فضله وإحسانه.

وأشهد أن لاإله إلاالله، المنفرد بوجوب الوجود الذاتي، وكمال جلال الجمال الصفاتي، المتوحد بالعلو والعظمة والقدس والمجد والغنى، والعز من قبل القبل والآتي. فسبحانه من إله عظيم، ورب كريم، جبار رحيم، لارب سواه، ولامعبود إلا إياه.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، النبي الكريم الرحيم، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم، الهادي إلى الصراط المستقيم، المرسل رحمة للعالمين، صاحب الحوض واللواء والشفاعات في اليوم العظيم، صلى الله وسلم عليه صلاة تكون له رضا، ولحقه أداء، وكما هو أهله دائما أبدا، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، والتابعين الأخيار، وعلينا معهم وفيهم ووالدينا ومشائخنا وأوليائنا وجميع المسلمين. فصل اللهم عليه كما أمرتنا أن نصلي عليه، وكما هو أهله، وكما تحب وترضى له، وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته، وأجزه عنا أفضل ماجازيت نبيا عن أمته، وأجزه عنا ما هو أهله، وصل على إخوانه من المرسلين والنبيين، وعلى آله وأصحابه وسائر الصالحين أبد الآبدين، آمين رب العالمين.

أما بعد، فهذا شرح لطيف، وتنبيه وجيز، وتوسيع عدل، وبسط قصد، لمعاني بواني أبيات قصيدة سيدنا وبركتنا، وشيخنا وإمامنا، وكنزنا وذخرنا، ومولانا وحبيبنا، السيد الشريف، العالم العلامة، الزاهد الورع، العابد التقي، الكريم السخي، الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، الولي الصديق، العارف بالله وأحكامه وأيامه، القطب الكبير، والغوث الشهير، العبد المحض، عبدالله بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد الحداد بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبدالله ابن الفقيه العلامة السيد الجليل أحمد بن الشيخ الإمام السيد الوجيه عبدالرحمن بن السيد الإمام الضرغام، علوي عم سيدنا الفقيه المقدم، محمد بن علي باعلوي، وهي قصيدته التي رَوِيُّهَا عين مخفوضة.

والروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وتنسب إليه، فيقال لامية أو ميمية أو عينية، مأخوذ من رويت الحبل إذا فتلته، لأنه، أعني

الروي، يجمع بين الأبيات. والرواء هو الحبل الذي يجمع به الأشياء، والقافية هي آخر كلمة من البيت، أو هي من آخر حرف متحرك قبل ساكنين.

وهذه القصيدة من أحسن النظم الرائق البديع، لمعاني الجمال العزيز الرفيع، ومن أمتن الوزن الفائق المنيع، لحركات السير المعنوي في أوضح طريق، عذبة الألفاظ جزلتها، بديعة المعاني سهلتها، قليلة النظير، بديعة التحرير، حلوة النظم والرسم، بليغة الجمع، عظيمة النفع، قد تنزهت عن الإيطاء، وهو التكرير للفظ القافية قبل سبعة أبيات، وحفظت بالإيلاف عن الإكفاء، الذي هو اختلاف حروف الروي، والإقواء الذي هو اختلافه بالحركات، وغير ذلك من العيوب العَروضية في بديع معانيها، وبيان ألفاظها، ومن جميع الجهات، قد جمع ناظمها بها وأوعى، وسقى وأروى، وشوق وحقق، وبين ودقق، وفهم وذوق، وحرر وقرر، وأوضح وأفصح، وأفلج وأبلج، وأدخل وأخرج، وزين وأبهج، وأوجد وأشهد، وأغور وأنجد، أبان للعين بالعين عنوان الطريقة، وكشف للغين عن عين أحوال الحقيقة، وعين بتعيين أعيان من سادات الخليقة.

ولقد أشار علي، أعني سيدنا الناظم نفع الله به بشرحها، من حينَ أظهرها وأبداها، فجَبُنْتُ نفسي عن حمل أعباء الشرح، وتقاعست عن الهجوم على هذا الكنز بالفتح، واستثقلت الجَوَلان، بين شواهد أشهاد هذا الميدان، واستوعرت بيان ألفاظ، ظهرت عن أفلاك مطهرات، بأنفاس عاطرات، عن نفثات روحيات قدسيات، وشتان بين آثار الكيف والأين، وحقيقة العين مع النداء بالقال والحال إشعارا وشعرا.

لاتقنعن بدون العين منزلة ... فَالْخَبُّ من يكتفي بالظل والأثر

ولكن الإشارة، دليل تيسير العبارة، والأثر دليل على المؤثر،

والنسبة للقصيدة إلى العين، دليل للإعانة للعين بالعين، وللعيان للعين بنفس العين لفناء البين، بمقابلة العين للعين، فحُمَّ الأمر بـحَم ع، وجاء النصر بكهيع، ثم حصل اجتماع خاص، وخلوة اختصاص، بسيدنا الناظم بمسجده بمكانه السبير، فأشار بذلك إشارة جازمة، وحصلت إعانة عامة، وهمة تامة، وأشار بالبسط في المناقب والوصية، والاختصار في غير ذلك، فعند ذلك انجزم الميل؛ وصدق العزم، وانبرم الجزم، وجاءت المعونة، من الخزائن المكنونة، وفتح بالتيسير، من الإله القدير، فمنه المبدأ وإليه المصير، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وفائدة التأليف إما بشرح وتبيين، أو اختصار لتطويل، أو جمع تفريق، أو ترتيب و تبديل، أو إصلاح وتتميم، أو اختراع لغير مسبوق إليه. وأكثر مااعتمدت عليه خصوصا في نقل المناقب، وذكر التراجم. كتاب [سيرة السلف] للشيخ أبي القاسم إسمعيل بن محمد بن الفضل، وكتاب [الطبقات] للإمام عبدالوهاب الشعراوي، وكتاب [تهذيب الأسماء واللغات] للإمام النووي، وكتاب تاريخ الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي، وكتاب [المائتين] له، وكتاب [إحياء علوم الدين] لحجة الإسلام وغيره من كتبه، [وعوارف المعارف] للسُهْرَوردي، و[البهجة] في مناقب الشيخ محي الدين عبد القادر، و[رسالة القشيري]، وكتاب [الخميس في مناقب أنفس نفيس]، وكتاب [البرقة المشيقة في ذكر الخرقة الأنيقة] لسيدنا السيد الإمام علي بن أبي بكر باعلوي، وكتاب [العقد النبوي والسير المصطفوي] لسيدنا السيد الإمام الشيخ شيخ بن عبدالله العيدروس، وكتاب [المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي] لسيدنا الإمام العلامة السيد محمد بن أبي بكر شليه، و[الجوهر الشفاف] للعلامة الصالح الشيخ عبدالرحمن الخطيب، و[لطائف المنن] للشيخ أحمد بن

عطاء الله الشاذلي، وكتاب [الصواعق المحرقة] للشيخ أحمد بن حجر المكي، وكتاب [شرح الهمزية] له أيضا، و[النور السافر] لسيدنا الشيخ عبد القادر العيدروس بن الشيخ صاحب العقد، وكتاب [تعريف الأحياء بفضائل الإحياء]، له أيضا، و[الزهر الباسم] وغير ذلك من الكتب. ومما سمعته واستفدته من شيخنا عبد الله بن علوي الحداد، صاحب المنظومة أو أرسله إلي، ومن كتبه [النصائح الدينية]، و[سبيل الادكار]، وكتاب [الدعوة]، و[الكلام المنثور في الحكم] و[الدر المنظوم]، و[الرسائل]، و[الفتاوى]، وغير ذلك من كتبه.

وعدة أبيات هذه القصيدة، قم بالجمل الكبير اشارة إلى القيام بالعمل بما فيها. ومن العجب أن آخر هذه القصيدة عين، والشرع الشريف آخره عين، والعرش أوله عين، وكذلك العلم. والعين لفظ يطلق على أربعين معنى، ذكر ذلك أهل أصول الفقه حتى اختلفوا هل يحمل على مسمياته كلها أو لا، ثم يعرف مراد الشرع منه أو كما قالوا، فلينظر من محله.

وليعلم أنه يخطر في القلب أن أترجم لسيدنا وبركتنا الناظم، فلم يثبت الخاطر أصلا، لأن الأعذار كثيرة قائمة منها أني أظن كراهته لذلك وكراهة التطويل. ومنها أني أعلم من أحواله ومعاملاته مع الله، وإخلاصه وقوة يقينه وكشفه وثباته في الدين ورسوخ قدمه فيه، وعلومه الباطنة والظاهرة، وإقامته لظاهر الشريعة وتحقق باطنه بها، وعلو معارفه بالله وغير ذلك مما يتعسر على كتابته، بل ربما يتعذر ويبقى مما لا أعرفه أكثر من ذلك بكثير. وهذا كله على قدري وعلى قدر ماأعطاني الله سبحانه وتعالى من الفهم في حقائق الدين وظواهره من غير حول مني ولاقوة. والله تعالى أعلم مني بحالي. وأما على قدر شيخنا وبركتنا فلا أعرف شيئا. وبالجملة، فسير أهل هذه المنظومة العينية مجتمعة فيه رضي الله عنه.

القول في الشرح: ولما درست أمور الخير والصلاح، وقل الأخيار والصالحون، وعدم العلم النافع، والعمل الصالح، وباد أهله، بل وخلف ضده، وعفت الطريقة، واحتجبت الحقيقة، وبقيت بقايا نادرة في الزمان، مزهود فيها، مُعْرَضٌ عنها، لغلبة الجهل على أهل الزمان، وانتشار الظلمة فيهم، وهذه البقايا أنوار، ولاتشاهد الأنوار إلا بالنور، وقد غلبت ظلمة الجهل والغفلة فيهم، فأراد سيدنا وبركتنا الناظم عن إرادة الله تعالى وأمره ورضاه تفهيم أهل الجهل، وإيقاظ أهل الغفلة، والتنبيه على حال الطريقة وأهلها، والتصريح بأشياء من سيرهم، وآحاد من أعيانهم، فقال رضي الله عنه وأرضاه آمين:

[ياسائلى عن عَبرتي ومدامعي وتنهد ترتج منه أضالعي]

أي تتحرك لأنه على أمر، أي أمر وموجب العبرة عليه وسيلان الدمع. والتنهد قوة اليقين بما ينفع في الآخرة، ويقرب إلى الله، ويوصل إلى رضاه تعالى، وإشراق نور الإيمان الرباني، والانشراح الإلهي.

ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين:

[وتأسف وتلهف وتشوف وتعرف وتطوف بمرابع]

قوله: [وتأسف وتلهف]، وهذان من التوجعات الباطنة، والعبرة والدمع والتنهد توجعات ظاهرة، والموجب لهذه التوجعات جميعا اندراس الطريقة في الأصل، لكن مع وجود الأنوار المذكورة في المتوجع، فلهذا قال رضي الله عنه: [وتشوق وتعرف وتطوف بمرابع]، وهذه الثلاث الأحوال من صفات القلوب بسبب الحواس، لأنها طلب شهود وجود أحوال الطريقة وأهلها، وهي المرابع المذكورة. ومعنى التشوق والتعرف والتطوف كالمتحد، لأنه يشير إلى إدامة الطلب وتنوعه، والجد في استكشافه. فلهذا قال رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين.

[وتجنب وتغرب وتطلب وتلوع وتولع بمطامع]

أي تجنب للمعتادات النفسية، والمألوفات الطبيعية، وتغرب عنها، [وتطلب وتلوع وتولع بمطامع] قلبية روحية، سماوية علوية، نبوية ربانية، [تجنب] عن أهل الوقت، وماهم عليه من الكسل عن الخير، والغفلة عنه، [وتغرب] عنهم لغيبة أهل الطريقة وموتهم، وعدم الخلف عنهم، [وتطلب] لماهم عليه، أعني أهل هذه الطريقة، لعله بقي منهم أحد، أو خلفهم منهم أحد، [وتلوع وتولع] بذلك. ثم قال رحمه الله:

[يكفيك مسألتي شهودك ماترى من شاهدي في وحدتي ومجامع]

أي يكفيك من سؤالي، مايظهر من أحوالي، إن كنت ذا قلب شهيد حاضر، لأنه كما قال رضي الله عنه:

[وظواهر الأحوال تغنى ذا الحجا والفهم عن نطق اللسان الذائع]

[ذا الحجا]، أي صاحب العقل والفهم والمعرفة، لكن إنما ذلك لمن شهد ورأى، لقربه، فلذلك قال رضي الله عنه:

[لكن لعلك أو لعلك تبتغي بالشرح إعلام البعيد الشاسع]

أي لكن لعلك لست ذا حجا وفهم، أو لعلك ذا قلب وفهم، ولكنك تريد إعلام البعيد الفهم، أو البعيد المكان. فبعيد الفهم قليل العقل، لاينفعه قرب المكان، ولااتحاد الزمان. وبعيد المكان ينتقض بفوات العيان، وشهود ظواهر الأحوال، وإن كان من أهل الاعتبار، والمعرفة والادكار، ولكن بالنسبة لمسألتنا هذه، إذ ليس الخبر كالمعاينة.

وأما الذكرى فتحصل لكل من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. . . . فإنما يتذكر أولو الألباب. والقلب والعقل عند أهل هذا

الشأن شيء واحد باعتبار، وهو أمر خفي عن الفهم والفكر، يلطف جدا عن التصور والتوهم، والتخيل يضيق عن حقيقة العبارة، لأنه من أمر الله، وهو محل الإيمان والمعرفة.

ثم ذكر الناظم رضي الله عنه معنى آخر في شرح الأمر، فقال:

[هذا ولي في شرح بعض الحال ما　　　يسلي فؤاد المستهام النازع]

[الفؤاد] من أسماء القلب السابق ذكره، و[المستهام] الهائم الذاهب مما به، أي شرحه الحال يكشف عنه ثقل الهموم والكروب، والأحزان والنزوع. والنازع المائل إلى تلك المنازل، منازل أهل الله وخاصته، كما قال الشاعر:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب　　　به أهل حِبى هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما　　　هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فرحمه الله من شاعر، وهو ذوالرمة غيلان بن عتبة، معشوقته مَيَّة، بنت مقاتل بن طلبة؛ فاعبر من عشق الخيال، إلى عشق رجال الجمال، ولاتكن به عادلا عن جيرة بين العذيب ولعلع، فقال رضي الله عنه:

[فاسمع هديت ولاتكن بي عاذلا　　　عن جيرة بين العذيب ولعلع]

قوله: [هديت]، دعاء منه لمن سمع ترجي إجابته من ربه سبحانه وتعالى، لمعرفته وهدايته، واستماعه واتباعه، إن شاء الله. وقوله: [ولا تكن بي عادلا]، أي لاتعدل بي عنهم، فليس لي قصد إلا هم، ولاكلام إلا فيهم، ولاإشارة إلا إليهم. ونكرهم رضي الله عنه لفظا ومعنى، في عين تعريفه لهم تفخيما وتعظيما: و[العذيب ولعلع]، معروفان عموما، يشير بهما إلى معروفين خصوصا. ثم قال رضي الله عنه:

[قد طالما طوَّفتُ حول خيامهم　　　لأرى وأسمع مايروق لمسمعي]

أي كثر جولاني، وتردد نظري، بين المنازل والنازلين فيها، ودام تشوقي فيها، وتعرفي لها، وتطوفي بها، لأجل أرى ماتقرُّ به عيني، [وأسمع مايروق]، أي يزين ويحسن [لمسمعي]، فلم يكن كذلك لتغير أحوال الطريقة، وقلة سالكيها، أو عدمه. ويشبه هذا ماتضمنه قول الشيخ نور الدين الأصفهاني، من أبيات امرىء القيس:

وقد أوطيت نعلي كل أرض وقد أنصبت نفسي باغترابي
وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

بل قال الناظم رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين:

[فرأيت، لكن مايُذَوِّبُ مهجتي وسمعت، لكن مايفيض مدامعي]

أي لم ير إلا مايتعب قلبه، ويفيض دمعه، وهو قوله رحمه الله:

[من فرقة وتشتت لأحبة وتبدد في كل قفر بلقع]

أي عدم اجتماع أهل هذا الشأن، وتفرقهم وغيبتهم، وذلك كما قاله رضي الله عنه:

[لَحَّت بهم نُوَبُ الزمان فصدعت من جمعهم مالم يكن بمصدع]

أي فرقت حوادث الدهر ماكان مجموعا من أحوالهم وسيرهم وأعيانهم، والنوب جمع نائبة، وأضافها إلى الزمان لجريانها فيه، ونسبة الفعل إليها مجاز كما هو معروف. قال رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[وجرى عليهم ذلك الأمر الذي من شأنه تفريق كل مجمع]

يعني به الموت، لموت أهل هذاالشأن، وعدم من خلفهم، وورثهم

فِي أحوالهم المرضية، وسيرهم الرضية. وفي الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام، [أن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض أهله. . . .] الحديث إلى آخره، كما قال رضي الله عنه وأرضاه:

[فتوحشت من بعدهم وتنكرت   من بعدهم حال الرُّبَا والمَرْبع]

توحشت بعد غيبتهم حال الطريقة النبوية، وتنكرت لما بعدوا، ولم يجىء بعدهم من سار بطريقتهم، كما قال رضي الله عنه:

[لم يبق في تلك الربوع وسُوحِها   من مخبر أو من يجيب إذا دعي]

أي لم يبق بعدهم من يخبر بطريقتهم، وبشرحها، ويدعو إليها، ولا من يجيب لدعوة من يدعو إليها، لقلة المعرفة، وعدم الرغبة. ثم قال رضي الله عنه:

[آه علِي تلك الديار وأهلها   من حادث الدهر المُمِضّ الموجع]

قوله [آه] كلمة توجع، قالها توجعا على مقامات السالكين وسالكيها، مما حدث. وأمضّ وأوجع له، لكونه من أهلها وأحق بها، لأنهم خلَّفوه خليفة، فخلفهم وورثهم، بل بقي منهم، فبقوا به فيه هو هم رضي الله عنه وعنهم ونفعنا بأسرارهم، وعفا عنا ببركتهم، وألحقنا بهم آمين. ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[آه على تلك الخيام وماحوت   من كل غان بالجمال المبدَع]

يشير بكل غان إلى أهل الطريقة، وجمال سيرهم، وحسن هديهم وأحوالهم. و[المبدع] بفتح الدال بمعنى البديع، اسم مفعول وهو قليل النظير أو عديمه. وهكذا تأوهاته رضي الله عنه أتى بها متشابهة، تفننا

وتحقيقا لصفاتهم الشريفة، وأحوالهم المنيفة، مما رزقوا في جنات الإيمان، وثمرات الإيقان، ولهم في أعمالهم وطاعاتهم وتملقاتهم، بين يدي سيدهم ومولاهم، أرواح من الأحوال والمعارف واللطائف، مطهرة عن شوب النفوس، ونزغ العدو. ثم قال رضي الله عنه:

[آه على تلك القباب ومابها   من قاصر ومحجب ومبرقع]

وهذه الثلاثة الأوصاف، تشير إلى عدم اطلاع أهل القطيعة عن الله تعالى، على أسرار أوليائه سبحانه، أعني قوله: [قاصر ومحجب ومبرقع].

ثم قال رضي الله عنه:

[آه على تلك الرياض وكل ما   فيها من الغِيد الحِسان الرُّتَّعِ]

[الرياض] جمع روضة، رياض التولي الإلهي الإيماني. [الله ولي الذين آمنوا]. . . [وهو يتولى الصالحين]. و[تلك] في الأبيات، اسم إشارة للبعيد المكان، لبعد العهد من أهل هذا الزمان، بهذه الأحوال وأهلها. ثم قال رضي الله عنه:

[آه على تلك الحياض وما بها   من وارد أو شارب متضلع]

الوارد من ابتدأ في الشرب من حياض المعارف والواردات، حياض الكرم، المبذولات بحكم الجود الآلهي. وإنما المنع لعدم الاستعدادات، والتعرض للنفحات الربانيات، لغلبة الأهواء النفسانيات. ثم قال رضي الله عنه:

[آه على غِزْلانِ حَاجِرَ والنقا   وظباء وادي المنحنى والأجرع]

البيت والبيوت قبله سيان في مآل المعنى، وان كان بينهما فرق ما،

ولفظة [حاجر والنقا] يشير من طرف خفي إلى حَجْر الأرزاق على أهلها، لبقائهم وإخلاصهم. ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين:

[آه على آرام رامة ترتعِي بسفوحها وحمائها المتمنع]

[الآرام] جمع ريم، وهو من أسماء الغزال، و[السفوح] أواخر الجبال، و[الحمى] مايحمى، و[المتمنع] المتعذر الوصول إليه، إشارة إلى ماذكرنا في شرح البيت قبله. ثم قال رضي الله عنه:

[آه على أقمار أفلاك العلا وشموسها، المشرقات السطع]

إشارة إلى مراتب أولياء الله تعالى في هدايتهم، وهديهم في ذواتهم، ومحل سيرهم، لأن الفلك محل السير، والشمس والقمر أمثلة لبعض أولياء الله تعالى، في أوصاف كثيرة، يطول عدها، ويخرج عن الاختصار، كما يفهم من كتاب [مشكاة الأنوار] للحجة الغزالي. ولله در ابن عطاء في لطائفه، حيث يقول شعرا:

أمرتقب النجوم من السماء نجوم الأرض أبهر في الضياء
فتلك تبين وقتا ثم تخفى وهذه لاتكدر بالخفاء
هداية تلك في ظلم الليالي هداية هذه كشف الغطاء

انتهى. . . . ثم زاد بيانا لما إليه أشرنا بقوله رضي الله عنه:

[وكواكب وثواقب ومصابح ومعالم وأدلة للمهيع]

قال الله تعالى: [وبالنجم هم يهتدون] وأولياء الله نجوم الطريق إليه، وأدلة صراطه المستقيم، الغيبي الملكوتي، كما أن النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، الشهادي الملكي، [ولله ما في السموات وما في الأرض]. . . . [ألا إلى الله تصير الأمور]. و[المهيع] من أسماء الطريق. ثم قال رضي الله عنه:

[وشوامخ وبواذخ ورواسخ   في العلم والتقوى بأفضل موضع]

هذه الثلاثة أوصاف الجبال، كذلك أهل الله جبال في طريقه التي هي العلم والتقوى. ثم قال رضي الله عنه:

[ومعاهد ومقاعد ومعابد   ومقاصد وقواصد للمشرع]

يتوجع رضي الله عنه على محال العبادة والمعرفة، وهي المعهودة بها، ومقاعدها وأماكنها، والمواضع المقصودة لها، والقاصدين لذلك من أهلها، وهي المشرع لهم. ثم قال رضي الله عنه:

[وحظائر ومحاضر ومناظر   ونواظر نور الجمال الأرفع]

[الحظائر والمحاضر] محال الحضور، و[المناظر] محال النظر والمنظورات و[النواظر] جمع ناظر، اسم فاعل، أي ينظر نور الجمال، وصفات الكمال، والتقديس الأرفع عن التوهمات والتخيلات والتصورات. ثم قال رضي الله عنه:

[ومدارس ومجالس ومغارس   ومحارس للحاضر المستجمع]

مدارس العلوم والتحقيق، ومجالس الحضور والمراقبة، والفكرة والاعتبار، والنظر والادكار، ومغارس الأصول والطهارة، والمعرفة والمشاهدة، ومحارس الحفظ والتقوى، والتذكر والإبصار، للحق والصواب والحضور، وذلك للحاضر مع الله، والناظر به وفيه وعنه وله ومعه، [المستجمع] أي الجامع للشروط والآداب، لما هو فيه. ثم قال رحمه الله ونفعنا والمسلمين بعلومه في الدارين آمين:

[وجوامع ومجامع ومسامع   ومدامع للخائف المتخشع]

[الجوامع] محال الجمع، و[المجامع] الجموع المجتمعة على القُرَب والطاعة، والخيرات في الله وبالله ولله، وغير ذلك مما هنالك. و[مسامع] محال السماع عن الله من الله. ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين:

[وممالك ومسالك من سالك ومدارك للشَّيِّق المتطلع]

[وممالك] مِلك ومُلك للأشياء ممن لايملكه غير ربه، من أهل العبودة والحرية. [ومسالك] طرق للسالك إلى الله بالله في مراضيه. [ومدارك] مدركات يدركها أهل الشوق، والتطلع الغير المحجوبين عنها، والغير المتصرفين إلى غير ذلك غيرًاما. ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين:

[ومدارج ومناهج ومعارج ومخارج من مشكل مستبشع]

[ومدارج ومناهج ومعارج] جمع مَدرجة ومنهاج ومعراج، وهي طرق الله تعالى. [ومخارج] جمع مخرج، من المشكلات بالتوفيق والهدى للمتقين. [ومن يتق الله يجعل له مخرجا].... [الله ولي الذين آمنوا].... الآية. ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين آمين:

[ووسائل وفضائل ومناهل ومحافل من كل حبر أورع]

[الوسائل] جمع وسيلة، وهي مايتوسل به، وهي الدرجة الرفيعة. و[الفضائل] جمع فضيلة، وهي الزيادة من الخير. و[المناهل] جمع منهل، وهي مايورد عليه ويشرب منه. و[المحافل] جمع محفِل، أي مجمع من كل حبر، بفتح الحاء المهملة وكسرها، كثير العلم، الكبير فيه أورع. ثم قال رضي الله عنه:

[وطرائق وحقائق ورقائق ودقائق ليست ترام لمدعي]

جمع طريقة، وجمع حقيقة، من حَقَّ في نفسه وتحقق، وجمع رقيقة، من رق ولطف، فمن سار على الطريقة حظي بذوق الحقيقة، وظهر له من إمداد كل رقيقة عن حقيقة، [ودقائق] وهي مادق واعتاص على الفهوم، وخرج عن مقتضى الرسوم، من الأسرار والعلوم، فالصدق في الطريق، يوجب التحقيق والتدقيق، بمقتضى الوعد الوثيق. [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا]. والطريق مفرد الطرائق، إذا كان مؤنثا، وهو مذهب أهل الحجاز. وكذا السبيل والصراط والسوق، وبنو تميم يذكرون الجميع، وجمع الطريق إنما هو بحسب السائرين عليها، وإلا فإنما هي طريق واحدة، وهي الصراط المستقيم، المشار إليه بقوله تعالى: [وأن هذا صراطي مستقيما]، وأوله التزام الشرع، والعمل بمقتضاه، وتحقيقه العمل بالعزائم، وغايته ومقصوده رضا الله، والوصول إلى قربه المقدس. ولهذا قال رضي الله عنه: [ليست ترام لمدعي]، أي لايصح طلبها للمدعين.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه:

[وعوارف ومعارف ولطائف　　　وطرائف ومعاكف بالمجمع]

[العوارف] المعرفات، و[المعارف] المعروفات جمع معروفة، وهي مافتح الله من البركات العلمية، عن نتيجة الإيمان والتقوى. قال الله تعالى: [ولو أن أهل القرى. . .] الآية. و[اللطائف]ماينكشف للقلوب المطهرة من ألطاف الله، و[الطرائف] مايطرف به من الهبات للأسرار المستعدات المستمدات، و[المعاكف] من العكوف بالقلوب على أبواب الغيوب، والإجتماع بالأسرار، والحضور والانتظار، لما يفتح الله من رحمته المبذولة، الغير الممسوكة. قال الله تعالى: [مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها]. ثم قال رضي الله عنه:

[وبصائر وسرائر وضمائر　　　وخواطر جوالة في المبدَع]

[البصائر] أنوار القلوب، و[السرائر] أسرارها، و[الضمائر] بواطنها، و[الخواطر] مايخطر فيها [جوالةَ] من الجَوَلان، وهو الذهاب والمجيء [في المبدَع]، بفتح الدال اسم مفعول، وهو الأنفس والآفاق، قال الله تعالى: [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم. . . . . إلى قوله شهيد]. ثم قال رضي الله عنه:

[وتطوف وتعرف وتصوف وتصرف بالإذن للمستجمع]

[التطوف] الدوران من حول الشيء، و[التعرف] طلب المعرفة قليلا، و[التصوف] الأخذ في التصفية للقلوب والأسرار، لرضى الملك الجبار، وطلب قربه. و[التصرف] تصرف العبد في مملكة سيده بإذنه، إذااجتمعت فيه شروطه، التي منها معرفة حقيقة الإذن، بالذوق والكشف، من أهله المتبحرين، في جميع العلوم الحقيقية. فلهذا قال رضي الله عنه:

[من كل طود في العلوم وفي الحِجا متبحر متفنن متوسع]

[الطود] من أسماء الجبل، و[الحِجا] بكسر الحاء المهملة وفتحها، من أسماء العقل. والعقل أمر لطيف المعنى، باعتبار تصوره، كبير باعتبار ذاته، و[المتبحر] كثير العلوم عظيمها، و[المتفنن] كثير فنون العلم، و[المتوسع] وسيع العلوم. وقوله رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين:

[داع إلى الله العظيم بفعله ومقاله والحال، غير مضيع]

[داع إلى الله]، هاد إليه تعالى، ومُعرِّف به سبحانه، داع إلى طريقه، وخدمته وطاعته، والتأدب له، والنظر إليه. ودعوته إلى الله تعالى عامة، في أفعاله، وأقواله، وأحواله، لأنه صالح الأعمال، صادق الحال، صحيح المقال، لاقتدائه بسيد الرجال، وحبيب الكبير المتعال،

آمر بالبر، غير ناس لنفسه، ولامضيّع لها، ثم حقق صفة الداعي الجامع، فقال رضي الله عنه:

[ذي عفة وفتوة وأمانة وصيانة للسر أحسنِ من يعي]

[العفة] تنزه النفس عن الرذائل، واتصافها بالفضائل، على مقتضى الشرع والعقل، وأصلها اعتدال شهوة البطن والفرج. و[الفتوة] الإنصاف من النفس، وعدم الانتصاف لها، مع الجود والكرم على الإخوان. و[الأمانة] الحفظ لماؤتمن، والإحتفاظ بماأودع. و[الصيانة] لماحفظه واحتفظ به، من اسرار ربه، وأوامره وأماناته، وآياته وتبيانه، وعدم الفتك والجرأة. ثم قال رضي الله عنه وأرضاه:

[وزهادة وعبادة وشهادة منه الغيوب بمنظر وبمسمع]

[وزهادة]، أي وذي زهادة، وهي سهولة الدنيا وشهواتها، وكل فان على القلب، وعدم مبالاته بذلك في جنب الله. و[العبادة] التذلل لله تعالى، بامتثال أوامره، على ماشرع خالصا لوجهه، وطلب مرضاته. و[الشهادة] شهود القلب للغيوب، وإيضاح الأنوار للأسرار، حتى تصير منه الغيوب، كما قال رضي الله عنه: [بمنظر]، أي كأنه ينظرها، و[بمسمع]، أي كأنه يسمعها، أي ينظرها ببصيرة القلب، كما ينظر الحسيات ببصر الرأس، ويسمعها بسمع القلب كذلك. ثم قال رضي الله عنه:

[جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذادعي]

[الرياضة] تهذيب النفس، وتزكيتها وتخليتها، بالخاء المعجمة، عن الأخلاق المذمومة، وتحليتها بالأخلاق المحمودة، بالحاء المهملة، وكمال ذلك بالاتباع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. و[الكشوفات] ظهور حقائق الأشياء للقلب على ماهي في نفس الأمر، وتجليها له،

بالجيم، لصلاحه واستعداده، وإقباله وطلبه وطهارته، وعدم انصرافه واحتجابه، بل لم يزل يرقى في معارج الهداية، ومراتب القرب، إلى أن يصير من قربه، [يستجيب إذا دعي]، قرب معنى وتخلق وعلم، لاقرب صورة وحس ومسافة وجسم، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.
ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين:

[مثل الإمام علي زين العابدين القانت المتبتل المتخشع]

[القانت] القائم لله بالعبادة، والماثل بين يديه بالخدمة والطاعة. و[المتبتل] التارك لما سوى مولاه، المعرض عن غيره، المقبل عليه. و[المتخشع] هو الساكن القلب والجوارح لعلمه بالله، وخوفه منه، وهيبته له، وخشيته. وهذه أوصاف الإمام زين العابدين علي، ابن الإمام السبط الحسين، ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، يكنى أباالحسين، أو أباالحسن، ويلقب أيضا بالسجاد.

ولد رضي الله عنه بالمدينة سنة ثلاث أو ثمان وثلاثين من الهجرة، وتوفي بها ثامن عشر المحرم سنة أربع وتسعين، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان أو سبع وخمسين، ودفن بقبة العباس عند عمه الحسن: وهو تابعي جليل، إمام كبير، روى الحديث عن أبيه، وعمه الحسن، وجابر، وابن عباس، والمسور بن مخرمة، وأبي هريرة، وصفية، وعائشة، وأم سلمة، أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عن الجميع، وهو الذي خلف أباه رضي الله عنهما علما وزهدا وعبادة، أجمعوا على جلالته في كل شيء.

قال يحيى الأنصاري: هو أفضل هاشمي رأيت. وقال الزهري: لم أدرك بالمدينه أفضل منه. وقال حماد بن زيد: كان أفضل هاشمي تركته بالمدينة. وقال أبوبكر بن أبي شيبة: أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب.

ولد هو والزهري في يوم واحد، ذكره النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجوده، كما يأتي في ترجمة الباقر. كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه، فقيل له في ذلك، فقال: أتدرون بين يدي من أقوم؟ وكان يحب أن لايعينه على طَهوره أحد، كان يستقيه ويخمره قبل أن ينام، ولايترك قيام الليل سفرا ولاحضرا، وكان يثني على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكان إذا هاج الريح يخر مغشيا عليه. ولما حج قال: لبيك، فخر مغشيا عليه، واستطال عليه رجل فتغافل عنه، فقال له الرجل: إياك أعني. فقال له زين العابدين: وعنك أُغْضِيْ.

وخرج من المسجد، فلقيه رجل فسبهُ، وبالغ في سبه، فبادرت إليه العبيد والموالي، فكفهم عنه، وقال: مهلا على الرجل. ثم أقبل عليه، فقال له: ماسُتِرَ عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فَألقى عليه خميصته التي عليه، وأمر له بعطاء فوق ألف درهم. فقال الرجل: أشهد أنك من أولاد الرسول.

ولما عرَّفه الفرزدق لهشام بالقصيدة في القصة المعروفة، أعطاه زين العابدين إثني عشر ألف درهم. فقال إنما امتدحته لله لاللعطاء. فقال زين العابدين إنا أهل بيت، إذا وهبنا شيئا لانستعيده. ومكث مع جده علي رضي الله عنه سنتين، ثم مع عمه الحسن عشر سنين، ثم مع أبيه الحسين إحدى عشرة سنة، رضوان الله عليهم أجمعين، يقال سمه الوليد بن عبد الملك.

ولما مات، وجدوه يعول مائة أهل بيت، وكان يحمل جراب الطعام على ظهره بالليل، فيتصدق به على فقراء المدينة، ويقول: إن صدقة السر تطفي غضب الرب.

قال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولايدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك،

وقاسم الله بماله مرتين. وكان يتخطى الخلق، حتى يأتي زيد بن أسلم يجالسه، ويقول: ينبغي للعلم أن يُتَّبَعَ حيث كان، إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه.

وكان إذا أقرض قرضا لم يستعده، وإذا أعار ثوبا لم يرجعه، وإذا وعد وعدا لم يأكل ولم يشرب حتى يفي به، وإذا سعى في حاجة فتوقفت، قضاها من ماله. وكان يحج ويغزو ولايضرب راحلته. ومناقبه وفضائله لاتكاد تعد، ولكنها مشهورة مذكورة، فلنقتصر على ماذكر.

مات رضي الله عنه عن إحدى عشر ذكرا، وأربع إناث، وارثه منهم علما وزهادة وعبادة، من قال فيه الناظم رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين آمين:

[والباقرِ السجاد خير مهذب   العالم الربانّي المتورع]

كنيته أبو جعفر، سمي بالباقر من بقر الأرض شقها، لأنه بقر العلم وأظهر من مخبَّآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، مالايخفى، إلا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة. فقد روى الإمام الجليل ابن المديني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه قال للإمام محمد المذكور، وهو صغير: رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليك، فقيل: كيف ذلك؟ فقال كنت جالسا عنده عليه الصلاة والسلام، والحسين في حجره يلاعبه، فقال صلى الله عليه وسلم: ياجابر! يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإذا أدركته ياجابر، فأقرئه مني السلام.

وهو أعني الباقر علوي من جهة أبيه وأمه. ونقل الناس عنه من العلوم والمعارف ماسارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان. أمه

أم عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، رضوان الله عليهم أجمعين. يكنى أباجعفر، ولد بالمدينة يوم الجمعة، ثاني صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة، قبل قتل الحسين رضي الله عنه بثلاث سنين.

وأولاده جعفر، وعبد الله، أمهما فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ وإبراهيم، وعلي، وزينب، وأم سلمة. توفي بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة، أو ثمان عشرة، أو أربع عشرة ومائة، وقبره بالبقيع عند أبيه في قبة العباس، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه.

ومن كلامه رضي الله عنه: مادخل قلب امرىء شيء من الكبر، إلا نقص من عقله، مثل مادخله من الكبر، أو أكثر. ومنه: أن الصواعق تصيب المؤمن، وغير المؤمن، ولاتصيب الذاكر لله عز وجل. ومنه: مامن عبادة أفضل من عفة بطن، أو فرج. ومنه: بئس الأخ يرعاك غنيا، ويقطعك فقيرا. ومنه: اعرف المودة في قلب أخيك بماله في قلبك. وكان إذا ضحك قال: اللهم لاتمقتني. وكان يحب الشيخين أبابكر وعمر رضي الله عنهما ويتولاهما.

ومن كلامه: ومالدنيا، وماعسى أن تكون، هل هي إلا ثوب لبسته، أو مركوب ركبته، أو امرأة تزوجتها.

وقال رضي الله عنه: كان لي صاحب، كان عظيما في عيني، وكان الذي عظمه في عيني صُغْرَ الدنيا في عينيه. قال لابنه: يابني! إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر. فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

ومن كلامه: إذا أحببت بقاء النعم، فلتكثر الحمد والشكر عليها؛ وإذا استبطأت الرزق، فأكثر من الاستغفار؛ وإذا أحزنك أمر، فأكثر من لاحول ولاقوة إلا بالله؛ وإذا خفت قوما، فقل حسبنا الله ونعم الوكيل. وبمعنى كلامه: إذا أعجبك أمر، فقل ماشاء الله لاقوة إلا بالله؛ وإذا مُكِرَ

بك فقل: وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد؛ وإذا أصابك غم، فقل لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين. . . . . انتهى باختصار.

وأكمل أولاده وأفضلهم، خليفته ووصيه، من أشار إليه الناظم رضي الله عنه بقوله:

[والصادق الصديق أستاذ الألى وإمام أهل الحق غير مدافعَ]

وهو الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. أشهر ألقابه الصادق، ويكنى أباعبد الله، وقيل أباإسمعيل. أمه فروة بنت القاسم، كما سبق، وأم فروة، أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. ولذا قال الصادق رضي الله عنه: ولدني أبوبكر مرتين. ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة، وقيل سنة ثلاث وثمانين، يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول، وتوفي بالمدينة ليلة الإثنين للنصف من رجب سنة ثمان وأربعين ومائة، وقبر بالبقيع في قبة العباس، في قبر أبيه وجده وعمه الحسن بن علي. وله خمسة أولاد، محمد، وإسمعيل، وعبد الله، وموسى، وعلي العريضي جد آل باعلوي، يأتي ذكره عند ذكرهم في هذه المنظومة.

وأشار بقوله: [أستاذ الألى] إلى آخره، لكثرة من أخذ عنه من أكابر الأئمة رضي الله عنهم، كيحيى بن سعيد، وابن جريج، والإمام مالك، والسفيانين؛ الثوري الآتي ذكره وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب. ولكثرة مانقل عنه من العلوم والمعارف، والحكم واللطائف، والسيرة الحميدة، والهدي الصالح، مماسارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان. قال عمر بن المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين.

فمن كلامه رضي الله عنه: لازاد أفضل من التقوى، ولاشيء

أحسن من الصمت، ولاعدو أضر من الجهل، ولاداء أدوى من الكذب.

ومن كلامه: إذا سمعتم من مسلم كلمة، فاحملوها على أحسن ماتجدون، حتى إذا لم تجدوا لها محملا، فلوموا أنفسكم. ومنه: إذا أذنبت استغفر، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق رجال قبل أن يخلقوا، وأن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها. ومنه: من استبطأ رزقه، فليكثر من الاستغفار؛ ومن أُعجِب بشيء من أحواله، وأراد بقاءه، فليقل ماشاء الله لاقوة إلا بالله. ومنه: أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن اخدمُي من خدمني، وأتعبي من خدمك. الفقهاء أمناء الرسل، مالم يأتوا أبواب السلاطين. إذابلغك عن أخيك ماتكره، فاطلب له من عذر واحد الى سبعين عذرا، فإن لم تجد، فقل: لعل له عذرا لاأعرفه. وهذا أقرب من قوله السابق: إذا سمعتم. وهذا أشمل لكل مايُكره من كلام وغيره.

ومن كلامه رضي الله عنه: أربع لاينبغي لشريف أن يأنف منها؛ قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على دابته، وخدمته لمن يتعلم منه. ومنه: لايتم المعروف إلا بثلاث؛ تصغيره، وستره، وتعجيله، وذلك أنك إذا صغرته عظم؛ وإذا سترته أتممته؛ وإذا عجلته هنّأته.

ومن وصاياه لابنه موسى: يابني! من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينه إلى مافي يد غيره مات فقيرا، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زله نفسه.

يابني! من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بنيه، ومن سل سيف البغي قُتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن دخل مداخل السفهاء حُقِّرَ، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يابني! إياك أن تزدري الرجال فتزدريك، وإياك والدخول فيما لايعنيك فتذل.

يابني! قل الحق، لك، وعليك.

يابني! كن بالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا، ولمن قطعك واصلا، ولمن سكت عنك مبتدئا، ولمن سألك معطيا، وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، وإياك والتعرض لعيوب الناس.

يابني! إذا زرت فزر الأخيار، ولاتزر الفجار.

ثم قال الناظم رحمه الله:

[وخليفة الصدق ابن عبد عزيزها العادل المتحفظ المتطوع]

أراد به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز القرشي الأموي، أبا حفص، هو تابعي جليل، روى عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام، وروى عن خولة بنت حكيم، وسعيد بن المسيب، وعروة، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وجماعات من التابعين، وروى عنه جماعات من التابعين؛ منهم محمد بن المنكدر، والزهري، وأجمعوا على جلالته وفضله، ووفور علمه وصلاحه، وزهده وعدله، وشفقته على المسلمين، وحسن سيرته فيهم، وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله، وحرصه على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم. صنف بعضهم في مناقبه مجلدا. صلى خلفه أنس بن مالك.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يولد لي رجل بوجهه شين يلي، فيملأ الأرض عدلا. قال نافع: لاأحسبه إلا عمر بن عبد العزيز، والشين الذي بوجهه شجة من أثر حافر فرس، وهو غلام، لماأصابه الفرس. جعل أبوه يمسح الدم عن وجهه، ويقول: إن كنت أشج بني أمية، إنك لسعيد. أمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه، اسمها حفصة، وكنيتها أم عاصم. وأمها البنت التي قالت لأمها: إن لم يعلم أمير المؤمنين، فإن ربه يعلم ويرى، أطيع أمره في العلانية، وأعصيه في السر، تعني به عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وسمعها عمر، فأمر ولده عاصما يتزوجها، وقال: لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة، فجاءت بأم عمر بن عبد العزيز.

ولد رضي الله عنه بالمدينة سنة ستين، أو إحدى، أو ثلاث وستين، أو بالبصرة خلاف في ذلك. خرج يوما وشيخ متكىء على يده، فقيل له: من هذا المتكىء عليك، فقال للسائل: قد رأيتَه، فقال: نعم، فقال: ماأحسبك إلا رجلا صالحا. ذاك أخي الخضر، أتاني وأعلمني أني سأَلي أمر هذه الأمة، وسأعدل فيها.

ولما بويع بالخلافة، قدمت له فرس الخلافة على عادة الخلفاء فلم يركبها، وركب بغلته، وجاء صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادتهم فقال: تنح عني، مالي ولك! إنما أنا رجل من المسلمين. ثم سار مختلطا بالناس. ولنحو هذه القصة أشار سيدنا الناظم بقوله [المتحفظ]. وتمام القصة أنه لما دخل المسجد وصعد المنبر واجتمع الناس إليه، حمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس! قدابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني فيه، ولا طلب ولا مشورة، وإني قد خلعتها في أعناقكم، فاختاروا لأنفسكم غيري. فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك ياأمير المؤمنين ورضيناك. ثم خطب وقال في خطبته: أطيعوني ماأطعت الله، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. ثم دخل دار الخلافة فأمر بالستور فهُتكت، وبالبُسُطِ فرُفِعت، وبيع ذلك، وأُدخل ثمنه في بيت مال المسلمين. ثم لم يترك مظلِمة في يد أهل بيته، بني أمية، إلا ردها محلها، حتى قضى للذمي الحمصي بأرضه على العباس بن الوليد، وأقام العدل الذي لم يسمع به من عهد الخلفاء الراشدين.

وإليه أشار الناظم بقوله: [العادل]، وعدله مشهور عند جميع الناس، حتى كان الذئاب والشياه في زمنه ترعى سواء، من عدله.

قال الشافعي رضي الله عنه: الخلفاء خمسة، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، ولنحو هذا قال سيدنا الناظم: [وخليفة الصدق ابن عبد عزيزها]. ولما وُلِّيَ أبطل سب سيدنا علي بن أبي طالب وجعل مكانه: إن الله يأمر بالعدل والإحسان. . . . . الآية]. وكان ذلك اللعن مستمرا منذ ست وسبعين سنة، وفي رواية ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وذلك ألف شهر. وفي رواية، جعل مكانه: [ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. . . . . . الآية]. ولما ولي ضيق على أهله تضييقا كثيرا، وقُوِّمَ قميصه في مرضه الذي مات فيه بأربعة دراهم، وهي نحو أربعة قفال فضة، ولم يكن له غير قميص واحد، ولم يزلن بناته عاريات، ولم يغتسل بعد الخلافة من جنابة، لأنه اعتزل امرأته وجواريه بعد ماخيرهن.

وأما طاعته وعبادته، فيطول ذكرها. وكان إماما صالحا، زاهدا فقيها، توفي يوم الجمعة لخمس أو عشر بقين من رجب سنة إحدى ومائة، بدير سمعان من أعمال حمص، أو من أعمال قِنَّسْرِيْنَ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة أو وستة أشهر أو ابن أربعين سنة. ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر، كخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي ثلاثون شهرا على الخلاف. وبينما هم يسوون التراب على قبره، إذ سقط عليهم كتاب من السماء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار.

وكان رضي الله عنه شديد الخوف، كثيرا بكاؤه، حتى بكى الدم. وكان له سَرَبٌ ينزله كل ليلة، يضع الغُلَّ في عنقه. ولايزال يبكي ويتضرع إلى الصباح. وكان يقول: لو تعلمون ماأعلم من نفسي، مانظرتم في وجهي.

ورآه رجل يخطب الناس، في قميص مرقوع الجيب، فقال له: إن الله قد أعطاك، فلو لبست، فَنَكَّسَ رأسه، ثم قال: أفضل القصد عند الجدَة، وأفضل العفو عند المقدرة. وقال له رجل: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله التي لايقبل غيرها، ولايرحم إلا أهلها، ولايثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل. ثم قال الناظم رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين أجمعين:

[وأويس القرني أخير تابع   وأبي سعيد الناصح المتبرع]

فأما أويس، فكان من أكابر الزهاد، ممن انتهى إليه الزهد، وخير التابعين، لحديث مسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وكان له والدة، وكان بارا بها، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم.]

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرَادٍ، ثم من قَرْنٍ، كان به برص فبرىء منه، إلا موضع درهم، له والدة وهو بها بار، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك، فافعل.]

وعن أبي هريرة رضي لله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء، الشعثة رءوسهم، المُغْبَرَّة وجوههم، المُخْمَصَةَ بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإذا خطبوا المنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفقدوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا. قالوا: يا رسول الله، كيف لنا برجل منهم؟ قال: ذاك أويس القرني. قالوا: وماأويس القرني؟ قال: أشهل ذو صهوبة،

بعيد مابين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يبكي على نفسه، ذو طمرين، لايؤبه له مؤتزر بإزار صوف، ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض، معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة، قيل للعباد: ادخلوا الجنة! وقيل لأويس: قف، فاشفع، فيشفعه الله في مثل ربيعة ومضر. ياعمر، وياعلي، إذا أنتما لقيتماه، فاطلبا منه أن يستغفر لكما، يغفر الله لكما. قال: فمكثا يطلبانه عشر سنين، لايقدران عليه إلى آخر القصة.

وعن علقمة بن يزيد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم أويس القرني، ظن أهله أن به جنونا، فبنوا له بيتا على باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنون، لايرون له وجها، وكان طعامه مما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره. وقال له رجل: كيف أصبحت؟ فقال أويس: أصبحت أحب الله، وأمسيت أحمد الله. وماتسأل عن حال رجل، إذا أصبح ظن أنه لايمسي، وإذا أمسى ظن أنه لايصبح، إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن حق الله في مال المسلم لم يدع له في ماله فضة ولا ذهبا، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع لمؤمن صديقا، نأمرهم بالمعروف ويشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك أعوانا من الفاسقين، حتى والله لقد رموني بالعظائم، وايم الله لاأدع أن أقوم فيهم بحقه.

وفي خبر هرم بن حيان، قال: خنقتني العبرة من حب أويس ورقتي عليه، لما رأيت عليه من حاله، حتى بكيت وبكى، وعرف اسمي، فقلت له: كيف عرفت اسمي ولم ترني؟ قال: نبأني العليم الخبير، عرفت روحي روحك، حين كلمت نفسي نفسك، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا، ويتحابون بروح الله تعالى، وإن لم يلتقوا.

وكان أويس رضي الله عنه، إذا أمسى يقول هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، وإذا أصبح يقول هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح. وكان إذا أمسى يتصدق بما في بيته، ثم يقول: اللهم من مات جوعا فلاتؤاخذني به، ومن مات عريا فلاتؤاخذني به. وقال له رجل: أوصني! فقال: فِرَّ إلى ربك، قال: فمن آين المعاش؟ فقال: أف لقلوب يخالطها الشك، أتفر إلى الله بدينك، وتتهمه في رزقك. وكان يلتقط الكِسر من المزابل، فيغسلها ويأكل بعضها، ويتصدق ببعضها.

وعن عبد الله بن سلمة، غزونا أذْرِبيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأويس القرني معنا، فمات في رجوعنا، فنزلنا فإذا قبر محفور، وماء مسكوب، وكفن وحنوط، فجهزناه، ومشينا، ثم رجعنا، فإذا لاقبر ولاأثر.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: نادى مناد يوم صفين: أفي القوم أويس القرني، فوجدوه في القتلى من أصحاب علي رضي الله عنه، خلاف ماسبق، كمااختُلِف في اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وقول الناظم رضي الله عنه وأرضاه: [وأبي سعيد الناصح المتبرع] يعني الحسن بن أبي الحسين البصري، الإمام التابعي الجليل، والده من أهل نيسان، فسبي فهو مولى الأنصار، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه مولاة أم سلمة، اسمها خَيِّرَةُ. روى عنها ابناها الحسن وسعيد. ولد رضي الله عنه لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه. رأى عشرين، أو ثلاثين، أو مائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. مات في شهر رجب سنة ست عشرة ومائة، وهو ابن تسع وثمانين سنة.

قال مالك بن دينار: كان الحسن إذا أقبل، فكأنما أقبل من دفن أمه، وإذا تكلم، فكأنما النار تَسَعَّرُ من فوق رأسه، وإذا قعد، فكأنما هو أسير قُرِّب لتُضرب عنقه.

ولما مات الحسن، رأى بعضهم مناديا ينادي من السماء، أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، وأن الله اصطفى الحسن على أهل زمانه.

وكان كلام الحسن يشبه كلام الأنبياء، وكان شديد الخوف من الله تعالى. وكان أطول الناس سكوتا، إن أمر بأمر، كان أعمل الناس به، وإذا نهى عن نهي، كان أنهى الناس عنه، مستغنيا عن الناس مع حاجتهم إليه، أشبههم سريرة بعلانية، وقولا بفعل. وكان إذا أصبح، وإذا أمسى، قال لأهله ثلاث مرات: ياأهلاه، الثوى فيكم قليل.

وقال رضي الله عنه: إن الرجل يعمل بالحسنة، فتكون نورا في قلبه، وقوة في بدنه، وإن الرجل يعمل بالسيئة، فتكون ظلمة في قلبه، ووهنا في بدنه.

وقال رحمه الله: المسلم لايأكل في كل بطنه، ولاتزال وصيته تحت جنبه. وقال أيضا: المؤمن في الدنيا كالغريب، لاينافس في عزها، ولايجزع من ذلها، للناس حال، وله حال. وقال: لاتطيب لأحد الحياة، إلا في الجنة. رحم الله عبدا جعل الهموم هما واحدا، فأكل كسرة، ولبس خلقا، ولصق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وطلب هذه الرحمة، وهرب من هذا العذاب.

يقول الله تعالى: إذا علمتُ أن الغالب على عبد التمسك بطاعتي، مننت عليه بالاشتغال بي، والانقطاع إلي. أكثروا من الإستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم لاتدرون متى تنزل المغفرة.

ياابن آدم! اصحب الناس بأي خلق شئت، يصحبوك بمثله. وما عُبِدَ الله بمثل طول الخوف. إن المؤمن جمع إحسانا وإشفاقا، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا. وتلا هذه الآية: [إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون،] وقال: قال المنافق، إنما أوتيته على علم عندي.

وقال رضي الله عنه: لو أن الناس، إذا ابتُلُوا من سلطانهم بشيء، فزعوا إلى الله عز وجل، لم يلبثوا أن يرفعه الله عنهم.

وقال رحمه الله تعالى: أصول الشر ثلاثة، وفروعه ستة. فالأصول: الحسد، والحرص، وحب الدنيا. وفروعه: حب الرياسة، وحب الفخر، وحب الثناء، وحب الشبع، وحب النوم، وحب الراحة. وقال: من أحب الدنيا، ذهب خوف الآخرة من قلبه، ولا يفتح عبد على نفسه بابا من الدنيا، إلا سُدَّ عليه عشرة أبواب من عمل الآخرة، والعامل على غير علم، كالسائر على غير طريق، ومايفسده أكثر مما يصلحه، ولا تزال كريما على إخوانك، مالم تحتج إلى مافي أيديهم.

مسكين ابن آدم! رضي بدار، حلالها حساب، وحرامها عذاب، يستقل ماله، ولايستقل عمله، على الأسقام والأمراض أسست هذه الدنيا، فهبك تصح من الأسقام، وتبرأ من الأمراض، هل تقدر أن تنجو من الموت؟

وكان رضي الله عنه يحلف، أنه ماأعز أحد الدرهم، إلا أذله الله. وكان يقول إذا رأيت في ولدك ماتكره، فاعلم أنه شيء تراد به، فأحسن. وقال: شر الناس للميت أهله، يبكون عليه، ولايهون عليهم قضاء دينه، وإلى نحو هذا، أشار الناظم بقوله، في وصفه: [الناصح المتبرع]. ثم قال رضي الله عنه:

[ومحمد أعني ابن واسع قارىء   الرحمن لذ بالزاهد المتقنع]

هو تابعي جليل، زاهد كبير، ولعله أشار بقوله: [قارىء الرحمن] إلى قول مالك بن دينار؛ القراء ثلاثة: قارىء للرحمن، وقارىء للدنيا، وقارىء للملوك. ومحمد بن واسع من قراء الرحمن، وأريد على القضاء،

فأبى، فعاتبته امرأته، وقالت: لك عيال، وأنت محتاج. قال: مادمت تريني أصبر على الخل والبقل، فلاتطمعي في هذا مني.

وقال رضي الله عنه: من زهد في الدنيا، فهو ملك في الدنيا والآخرة. وقال: لقضم القضب، وسف التراب، خير من الدنو من السلطان. وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: قريبا أجلي، بعيدا أملي، سيئا عملي. وقال: إذا أقبل العبد بقلبه على الله، أقبل الله إليه بقلوب المؤمنين. وقال: من مقت نفسه في ذات الله، أمنه الله من مقته. وقال: أربع يُمْتِنَ القلب: الذنب على الذنب، وكثرة معافسة النساء وحديثهن، وملاحاَت الأحمق، تقول له، ويقول لك، ومجالسة الموتى. قيل: وما الموتى؟ قال: كل غني مترف، وسلطان جائر.

ومن كلامه: ليس لملول صديق، ولا لحاسد غنى، وإياك أن تشير على معجَب برأيه، فإنه لايقبل منك. وقال بعضهم: كنت إذا وجدت في قلبي قسوة، نظرت إلى محمد بن واسع. ووصفه بالزهد والقناعة، ويأتي ذكرها في شرح الوصية، آخر المنظومة.

ثم قال رضي الله عنه، وأرضاه، ونفع به آمين:

[أكرم به وبمالك الخير الذي أُرِيَ المنام فكان أحسن مسرع]

[أكرم به]، أي ماأكرمه، [وبمالك الخير]، يعني به مالك بن دينار الخير، أي المضاف الى الخير والموصوف به. [أري المنام]، رؤياه لبنته قبل توبته، حيث أنقذته بفضل الله من التنين، الذي هو في صورة عمله، ووعظ ابنته له في الرؤيا المذكورة المشهورة، الآتي ذكرها، وهو مالك بن دينار البصري، الناجيُّ، بالنون والجيم، مولى امرأة من بني ناجية بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. كنيته رضي الله عنه أبو يحيى، الزاهد الكبير، سمع مالك بن أنس، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وسعيد بن جبير، وغيرهم من

الأئمة. وروى عنه جماعة، منهم أخوه عثمان بن دينار، وثَّقه النسأي، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة. وقيل تسع وعشرين ومائة.

وقال رضي الله عنه: ماتنعم المتنعمون بمثل ذكر الله، وقال: قرأت في التوراة: أيها الصديقون! تنعموا بذكر الله في الدنيا، فإنه لكم في الدنيا نعيم، وفي الآخرة جزاء.

وقال: خرج العباد والزهاد، إلا القليل من الدنيا، ولم يرزقوا أطيب شيء فيها. قالوا: وماهو ياأبا يحيى؟ قال: معرفة الله، وإن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن، طربت قلوبهم إلى الآخرة. ياحملة القرآن! ماذا زرع القرآن في قلوبكم، فإن القرآن في الدنيا ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض.

وقال رضي الله عنه: لايبلغ الرجل منازل الصديقين، حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى منازل الكلاب. وكان رضي الله عنه تأتي السنة، ولايأكل فيها لحما إلا يوم الأضحى من أضحيته، وإدامه في السنة بفلسين ملح. وكان يكتب المصاحف، وكان كل يوم له درهمان، درهم يشتري به خُوْصًا، ودرهم لورقة كاغِد.

قال ابن المبارك: وقع حريق في البصرة، فأخذ مالك المصحف، وأخذ بطرف كساه يجره، وقال: هلك أصحاب الأثقال. وقيل له: ألا تتزوج؟ فقال: لو استطعت لطلقت نفسي. وقال: القلب إذا غلبه حب الدنيا، لم تنجع فيه الموعظة. وقال: في بعض الكتب، إن الله تعالى، قال: إن أهون ماأنا صانع بالعالم، إذا أحب الدنيا، أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه.

وقال رحمه الله تعالى: لقد هممت أن آمر، إذا مت فَأُغَلَّ، فأدفع إلى ربي مغلولا، كما يدفع العبد الآبق إلى مولاه. ورفع رحمه الله رأسه إلى السماء عند موته، وقال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا، لبطن ولا فرج.

وقال رضي الله عنه: لولا أن يقول الناس، جُنَّ مالك، للبست المُسوح، ووضعت الرماد على رأسي، أنادي في الناس: من رآني فلايعصي ربه. وقال: كل جليس لاتستفيد منه خيرا، فاجتنبه. وقال: إذا العبد تعلم العلم ليعمل به، كثر علمه، وإذا تعلم العلم لغير العمل به، زاد فخرا. وقال: الأبدال يتواصون بثلاث: سجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة. وقال: لأن يرد الرجل درهما من حرام، خير له من أن يتصدق بمائة ألف، ومائة ألف، وقال: إذا رأيت قسوة في قلبك، ووهنا في بدنك، وحرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لايعنيك.

وسئل رضي الله عنه عن سبب توبته، قال: كنت شرطيا منهمكا في شرب الخمور، فولدت لي جارية بنتا، فألفت البنت، وكانت تطير الخمر على ثوبي، ثم ماتت، فأكمدني الحزن عليها، فلما كان ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة جمعة، بت ثملا من الخمر، ولم أصل العشاء، رأيت كأن أهل القبور قد حشروا، وأنا مع الخلق، فسمعت حسا من ورائي، فإذا بتنين، أعظم مايكون، أزرق، أسود، قد فتح فاه، ومسرعا نحوي، فهربت، فلقيت شيخا، فسلمت عليه، وقلت له: أغثني. فقال: أنا ضعيف، وهذا أقوى مني. فصعدت على شرف، فاشرفت على طبقات النار، فكدت أهوي فيها من فزع التنين، فنوديت: لست من أهلها، فرجعت عنه إلى الشيخ الأول، فقال: سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، لعل لك فيه وديعة. فإذا هو عجيب، فهربت إليه، والتنين ورائي، فصاح بعض الملائكة: أشرفوا، فلعل لهذا فيكم وديعة. فإذا أنا ببنتي، قد وثبت، حتى مَثَلَتْ بين يدي. فمدت إلي يدها، ودفعت التنين، وقالت: ياأبت! ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، فبكيت، وقلت: يابنتي! أَتَعْرِفُوْنَ القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم. والتنين عملك السوء، فقويته، والشيخ عملك الصالح، أضعفته. فلما أصبحت، فارقت ماكنت عليه وتبت، وهذه سبب توبتي. انتهى . . . باختصار وحذف.

ثم قال سيدنا الناظم، رضي الله عنه، ونفعنا به آمين:

[والعجمى المستجاب وعتبةٍ نعم الشهيد بنية وبمضجع]

[فالعجميُّ]، هو حبيب بن عيسى العجمى، كنيته أبو محمد، وأصله من فارس، سكن البصرة، كان عابدا تقيا، مستجاب الدعوة، وإليه أشار سيدنا الناظم بقوله: [المستجاب]. قال السري بن يحيى: كان حبيب يُرى بالبصرة يوم التروية، ويرى بعرفة يوم عرفة. وحبيب العجمى المذكور، شيخ داود الطائي، وداود شيخ معروف الكرخي، والكرخي، شيخ سري السقطي، وهو شيخ الجنيد، سيد الطائفة، وإلى الجنيد بن محمد ينتهي غالب طرق اللباس للخرقة الصوفية.

وحبيب العجمى لبس من سيدنا إمام التابعين، الحسن بن الحسن البصري، وهو من سيدنا الإمام، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من نبي الأولين والآخرين محمد، سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وهو من الله العلي العظيم، بواسطة الروح الأمين.

وقوله رضي الله عنه: [وعتبةٍ]، يعني عتبة بن أبان الغلام، سمي بالغلام لأنه كان في العبادة كأنه غلام رهان لصغر سنه. كان رضي الله عنه يأوي المقابر والصحاري، ويخرج إلى السواحل فيقيم فيها. فإذا كان يوم الجمعة، دخل البصرة، فيشهد الجمعة، ثم يأتي إخوانه، فيسلم عليهم. وكان قد غلب عليه الحزن، وكانوا يشبهونه في الحزن بالحسن البصري، مات شهيدا في قتال الروم. وإلى ذلك أشار شيخنا الناظم رضي الله عنه بقوله: [نعم الشهيد بنية]، أي بصدق نية، في طلب رضاالله، وإعلاء كلمته. [وبمضجع]، أي والشهيد بمضجعه، أي تحققت له الشهادة عزما، ووقوعا، وفعلا. ونِعْم بكسر النون وإسكان العين، كلمة مدح عكس بئس.

ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين أجمعين:

[وأحسن بثابت والربيع المنتقى وبابن زيد الحميد المرجع]

[وأحسِنْ]، بكسر السين وإسكان النون، كقوله في البيت الماضي: أكرم به، صيغة فعل تعجب، والمراد ماأحسنه، ماأكرمه، فعل تعجب، وجعل بعض أهل هذا الفن منه قوله تعالى: [أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا]. أي ماأسمعهم وأبصرهم.

وقوله: [بثابت]، هو ثابت بن أسلم البناني، نسبته إلى أم سعد بنت لؤي بن غالب، أو إلى بنانة، أمة لسعد بن لؤي، حضنت بنيه، فغلبت عليهم، فسموا بها، رحمه الله ونفع به؛ بصري، تابعي، صحب أنسا رضي الله عنه أربعين سنة، وقال له: ماأشبه عينيك بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثقة عند أهل الحديث بلامدافعة. قال أحمد: هو أثبت من قتادة.

وكان رضي الله عنه من أعبد أهل البصرة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن ست وثمانين سنة. قال شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في كل يوم وليلة، ويصوم الدهر. وقال جعفر بن سليمان: سمعت ثابتا يقول: ماتركت في مسجد الجامع سارية، إلا وقد ختمت القرآن عندها وبكيت. وكان يُسمع عند قبره بعد موته قراءة القرآن. وقال ثابت: الصلاة خدمة الله في الأرض، لو علم الله شيئا أفضل من الصلاة ماقال: [فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب].

وقال رحمه الله: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.

وقال أنس رضي الله عنه: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتا مفتاح من مفاتيح الخير.

ومن كلام ثابت رضي الله عنه: لايسمى عابد عابدا، وإن كان فيه كل خصلة من الخير، حتى تكون فيه هاتان الخصلتان، الصوم والصلاة. لأنهما من لحمه ودمه، يعني الصلاة الكثيرة والصوم الكثير. وقال: ماأكثر

عبد ذكر الموت، إلا رأى ذلك في عمله. وقال: ليس من ساعة تمر على ذي روح، إلا وملك الموت قائم عليه، فإن أمر بقبضها قبضها، وإلا ذهب.

وقال محمد بن ثابت البناني: ذهبت ألقن أبي، وهو في الموت، فقال إني في وردي السادس، أو قال السابع. واشتكى رحمه الله عينه من كثرة البكاء، حتى كادت عينه تذهب. فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عينك، قال: وماهي؟ قال: لاتبك، قال: وماخير في عين لاتبكي وأبى أن يعالج. وقال الذي أدخله قبره لما سوينا عليه التراب، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلي في قبره. فقلت لحميد الطويل: ألا ترى؟ قال: اسكت. فسألنا ابنته عن عمله، قالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان في السحر، قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها. فما كان الله ليرد هذا الدعاء.

وحميد الطويل المذكور، هو ابن أبي حميد بن برة الخزاعي، مولى طلحة الطلحات. اشتهر بالطويل وكان قصيرا، طوله في يديه تصل إحداهما رأس الميت، والأخرى رجليه، مات وهو قائم يصلي، سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين ومائة، وهو راوي أنس رضي الله عنه، وثقه علماء الحديث، واتفقوا على الاحتجاج به.

وقوله رضي الله عنه: [والربيع المنتقى]، هو الربيع بن خيثم الثوري، التيمي، الكوفي، التابعي الجليل رحمه الله تعالى، كنيته أبو يزيد، من العباد، مات سنة ثلاث وستين. كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا رآه، قال: وبشر المخبتين، أما إن محمدا صلى الله عليه وسلم لو رآك لأحبك.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يشبه سمته سمت رسول لله صلى الله عليه وسلم في الإخبات، وكان الربيع يشبه سمته بسمت ابن مسعود، أصابه الفالج، فقيل له: لو تداويت، فقال: إن الدواء حق،

ولكن ذكرت عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا، كان فيهم الأوجاع، ولهم الأطباء، فمابقي المداوي ولاالمداوى له. ثم يقول: أعدَّ زادك، وخذ في جهازك، وكن وصي نفسك. وقال لأصحابه: أتدرون ماالداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا. قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب ثم لاتعود.

وقال رضي الله عنه: أكثروا ذكر الموت، فإن الغائب إذا طالت غيبته، رُجِيَتْ جيئته، وانتظره أهله، وأوشك أن يقدم عليهم. وقال رحمه الله تعالى: كل مالايبتغى به وجه الله يضمحل. وكان يجهر بالقراءة، فإذا سمع وقعا خافت، وإن كان الرجل ليجيء وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. وكان يبكي حتى تبل دموعه لحيته، ويقول: أدركنا أقواما نحن في جنبهم لصوص. وقال: ماخيِّرُكم اليوم بخيِّر، ولكنه خير من آخر أشر منه.

وقال أبوبكر بن عامر: خرجنا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ومعنا الربيع بن خيثم، فمررنا على حداد، فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار، فنظر الربيع إليها، فتمايل ليسقط، ومضى عبد الله حتى أتينا على أتُون بعض الحدادين على شاطىء الفرات، فلما رأى عبد الله تلهب النار في وجهه، قرأ هذه الآية: [إذا رأتهم من مكان بعيد، سمعوا لها تغيظا وزفيرا.] فصعق الربيع، وخر مغشيا عليه، فحمله ابن مسعود إلى داره، ورابطه إلى وقت الظهر، فلم يفق. ثم صلى بالناس الظهر، فرجع إليه، فقال: ياربيع! ياربيع! فلم يفق، وهكذا باقي الصلوات الخمس إلى السحر.

وقام ليلة يصلي بهذه الآية: [أم حسب الذين اجترحوا السيئات . . . .] حتى أصبح مايجوزها إلى غيرها ببكاء شديد. وأصابه الفالج، فكان يحمل إلى الصلاة، فقيل له: قد رخص لك أن تصلي في بيتك. قال: قد علمت، ولكن سمعت النداء بالفلاح وقد قال فإذا سمعتموه

فأجيبوا ولو حبوا. وكان إذا سجد كأنه ثوب مطروح، فتجيء العصافير فتقع عليه، وكان يكنس البيت بنفسه، ولايمكن أهله من ذلك، ويقول: إني أحب أن آخذ لنفسي من المهنة.

وقول الناظم رضي الله عنه: [وبابن زيد الحميد المرجع]، هو عبد الواحد بن زيد، أدرك الحسن البصري، وصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، وأحواله ووقائعه كثيرة عجيبة. وكان يقول: مثل المؤمن مثل الولد في الرحم، لايحب الخروج. فإذا خرج، لم يحب أن يرجع، فكذلك المؤمن إذا خرج من الدنيا. وقال: أحسن أحوال العبد مع الله تعالى موافقته، فإن أبقاه في الدنيا لطاعته كان أحب إليه، وإن أخذه، كان أحب إليه. وقال: مامن عبد أعطي من الدنيا شيئا، فابتغى إليه شيئا ثانيا، إلا سلبه الله حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب بعدا، وبعد الانس وحشة. وأصابه الفالج، فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء، فكان إذا أراد الوضوء أُطْلِقَ، وإذا رجع إلى سريره، عاد إليه الفالج.

وكان يقول: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين. وكان آلى على نفسه لاينام الليل لرؤيا رآها رضي الله عنه.

وقال بعضهم: كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار، وكنت لاأفهم كثيرا من موعظة مالك بن دينار لكثرة بكاء عبد الواحد. وقال عبد الواحد رحمه الله: جالسوا أهل الدين، فإن لم تجدوهم فجالسوا أهل المروءات، فإنهم لايرفثون في مجالسهم. وقال: من قوي على بطنه، قوي على دينه، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه، فهو أعمى.

وقال بعضهم: لو قُسِمَ بَثُّ عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم. وقال عبد الواحد نفع الله به: الإجابة مقرونة بالإخلاص، لافرقة بينهما، وماأعلم درجة أرفع ولاأشرف من الرضى، وهي رأس المحبة، وصلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة. وقال: من نوى الصبر على طاعة الله،

صبره الله عليها وقواه لها، ومن عزم على الصبر عن معاصي الله، أعانه على ذلك، وعصمه منها، نعمة منه تعالى، غادية ورائحة على أهل معصيته، فكيف ييأس من رحمته أهل محبته. السند عن الحسن البصري رحمه الله، ونفعنا بهم آمين.

ثم قال الناظم رضي الله عنه وأرضاه:

[والثوري الحبر الشحيح بدينه   الخائف المتخشع المتضرع]

هو سفيان بن سعيد الثوري، الكوفي، عالم الأمة، وعابدها وزاهدها، كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث النبوي. ولد رضي الله عنه سنة سبع وتسعين، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. كان رحمه الله يمكث اليومين والثلاثة، لايأكل حتى يضرُّ به الجوع، شغلا عنه بما هو فيه من العبادة، وقوموا ثيابه التي عليه حتى النعل، فبلغ درهما وأربعة دوانق.

وقال رحمه الله تعالى: قال لي أبو حبيب البدوي: ياسفيان! إن منع الله منك عطاء، فإنه لم يمنعك من بخل ولاعدم، وإنما هو نظر واختبار. وكان يقول: لو أن عبدا عَبَدَ الله بجميع المأمورات، إلا أنه يحب الدنيا، إلا نودي عليه يوم القيامة على رءوس أهل الجمع: ألا إن هذا فلان بن فلان قد أحب ماأبغض الله، فيكاد لحم وجهه يسقط من الخجل. وكان يقول: ازهد في الدنيا ونم ولا عليك. وكان إذا ذكروا عنده الموت يمكث حينا لاينتفع به أحد. وجعل رضي الله عنه على نفسه ثلاثة أشياء: أن لايخدمه أحد، ولايطوى له ثوب، ولايضع لبنة على لبنة. وقال: من رأى نفسه على أخيه بالعلم والعمل، حبط أجر عمله وعلمه، ولعل أخاه يكون أورع منه عما حرم الله عز وجل. وقال: إن الملكين ليجدان ريح الحسنات والسيئات، إذا عقد القلب على ذلك، فكما لايؤذونك لاتؤذهم.

وقال رحمه الله تعالى: إني لاأعرف محبة الرجل للدنيا، بتملقه إلى أهل الدنيا، وإرساله السلام لهم. وقال: هذا زمان لايأمن فيه الخامل على نفسه، فكيف المشهور فيه. وقال: طلبت العلم ولم تكن لي فيه نية، ثم رزقني الله تعالى النية، ومااستودعت قلبي شيئا فخانني. تعلموا العلم، فإذا علمتموه فاكظموا عليه، فلاتخلطوه بضحك ولالعب. وقال: إنما العلم الخشية. وقال: كان يقال لاتكونن حريصا على الدنيا تكن حافظا.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لما أن غسلت سفيان الثوري، وجدت في جسده مكتوبا: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.

وقال الوليد بن أسلم رحمه الله تعالى: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يارسول الله، بمن تأمر؟ قال: عليك بسفيان الثوري. قال يحيى رضي الله عنه: كثيرا ماكنت أرى سفيان مقنع الرأس، يشتد في جنازة العبد والأمة. وقال عطاء الخفاف: مالقيت سفيان الثوري إلا باكيا، فقلت: ماشأنك؟ قال: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا. وإلى نحو ذلك، أشار سيدنا الناظم بقوله: [الخائف المتخشع].

وذكر عنه يوسف بن أسباط، أنه بات من أول الليل أو أثناه إلى بعد الفجر يتفكر في الآخرة والمِطْهَرَة بيده. وقال ابن وهب: رأيته يصلي بعد المغرب، ثم سجد سجدة لم يرفع رأسه، حتى نودي بصلاة العشاء. وكان ربما يأخذ في التفكر، فينظر إليه الناظر، فيقول: مجنون. وكان في جيبه رقعة ينظر فيها كثيرا، فنظرت، فإذا فيها مكتوب: سفيان الثوري! اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى.

ثم قال الناظم رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين:

[وأبي حنيفة الإمام ومالك   والشافعي وأحمد المتمنع]

أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت بن زوطى، بضم الزاي وفتح الطاء، بن تباه الكوفي، مولى بني تيم، عبد الله بن ثعلبة، هو الإمام الأعظم، أحد الأربعة المشهورين، ولد بالكوفة سنة ثمانين، ونشأ بها، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة أو إحدى أو ثلاث وخمسين، خلاف فيه. والجمهور على الأول في السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي، بل قيل في يوم واحد. وكان يقول: أنا في بركة دعوة صدرت من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وجاء عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس الأحرار: والله ماوقع علينا رق قط.

ولد جدي سنة ثمانين، وذهب به ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو صغير، فدعا له بالبركة في ذريته. ونحن نرجو من الله الكريم أن يكون قد استجاب ذلك لعلي فينا. ولد في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وتفقه في زمان التابعين، ولقي ستة من الصحابة، أنس بن مالك بالبصرة، وعبد الله بن الحارث بن جرء، وعبد الله بن أنيس، وعبد الله بن أبي أوفى، وواثلة بن الأسقع، ومعقل بن يسار، وفي جابر بن عبد الله اختلاف، وسمع عطاء بن أبي رباح، والزهري، وقتادة، وتفقه على حماد بن أبي سليمان، وزاد بعضهم أنه أدرك سهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة بمكة، وهما صحابيان. وسمع أباإسحاق السبيعي، ومحارب بن دثار، والهيثم بن حبيب الصواف، ومحمد بن المنكدر، ونافع بن عمرو بن هاشم بن عروة، وسماك بن حرب. وعن الفضيل بن عياض، قال: كان أبو حنيفة فقيها معروفا بالإفضال، صبورا على تعليم العلم بالليل والنهار، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة في الحلال والحرام. وكان يحسن ويدل على الحق، هاربا من السلطان.

وعن الإمام الشافعي، قال: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

وفي رواية في الكلام. وعن ابن المبارك: مارأيت في الفقه والورع مثل أبي حنيفة. وعن وكيع: مالقيت أفقه من أبي حنيفة، ولاأحسن صلاة منه. وعن النضر بن شميل: كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة. وعن سفيان بن عيينة: ماقدم مكة في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة. وعن ابن المبارك: أن أباحنيفة صلى خمسا وأربعين سنة الصلوات الخمس بوضوء واحد. وضرب بالسياط على رأسه حتى انتفخ وجهه ليلي القضاء، فلم يل. وقال: الضرب في الدنيا بالسياط أهون علي من مواقع الحديد في الآخرة. وسجن على ذلك ومات في السجن، وختم القرآن في الموضع الذي مات فيه سبعة آلاف مرة، ولم يفطر ثلاثين سنة، وصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة. وكان يسمع بكاؤه في جوف الليل حتى يرحمه جيرانه.

وقال بعضهم: رأيت أباحنيفة وقد ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة بالليل، وستين ختمة بالنهار. وكان يختم القرآن في كل ركعة مدة ثلاثين سنة. وقام ليلة بهذه الآية: [بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر]، يرددها ويبكي ويتضرع.

قال علي بن عاصم: لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض، لرجح به. وكان الثوري إذا سئل عن دقيقة، يقول: لايحسن أن يتكلم في هذه إلا أبوحنيفة. قال أبوحنيفة: صحبت حمادا عشرين سنة، وماصليت صلاة إلا استغفرت لحماد مع والدي، ولكل من قرأت عليه. وذكر الخطيب في تاريخه: أن أباحنيفة رأى في المنام أنه نبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعث من يسأل محمد بن سيرين، فقال: صاحب هذه الرؤيا: يثور علما، لم يسبقه إليه أحد. وفي رواية فقصصتها على ابن سيرين، فقال لي: لئن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد صلى الله عليه وسلم. وفي رواية الرائي له ذلك غيره.

وكان رضي الله عنه يقول: ماأتانا عن الله ورسوله قبلناه على الرأس

والعين، وماأتانا عن الصحابة اخترنا منه أحسنه، ولم نخرج عن أقاويلهم، وما أتانا عن التابعين، فهم رجال، ونحن رجال. وكان يقول: قولنا هذا رأي، وهو أحسن ماقدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه، فهو أولى بالصواب. وفي رواية: فمن قدر على غير ذلك، فله مارأى، وكان إذا حلف صادقا في عرض كلامه، تصدق بدينار، وإذا أنفق على أهله نفقة، تصدق بمثلها، وإذا اكتسى ثوبا جديدا، كسا بقدر مثله على الشيوخ والعلماء، وإذا وضع بين يديه طعام، أخذ ضعف مايأكل، ثم يعطيه لفقير، ولايكاد يسأل حاجة إلا قضاها، ولمابلغ مسعرا موته، قال: مات أفقه المسلمين.

دفن رضي الله عنه في مقابر الخيزران، شرقي بغداد، وبني عليه قبة عالية ببغداد، وهو مشهد كبير. وسمع بعد موته صوت بالليل ثلاث ليال شعرا:

ذهب الفقه فلافقه لكم	فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعمان فمن هذا الذي	يحيي الليل إذا ما سجفا

وكان رضي الله عنه حسن السمت، والوجه، والثوب، والعقل، والمواساة. وكان رضي الله عنه ربعة من الرجال، أحسن الناس منطقا، وكان يعرف بريح الطيب، إذا خرج من داره، أو أقبل. وكان يقول: إذا ارتشى القاضي، فهو معزول، وإن لم يعزل. وكان يقول: إنما أدركت ماأدركت بالحمد والشكر. وكان يقول: لو أن عبدا عبد الله حتى صار مثل هذه السارية، ثم إنه لم يدر مايُدْخل بطنه، أحلال أو حرام، ماتقبل منه. وكان يقول: الملح مع الطعام شهوة. وكان يقول: من هان عليه فرجه، هان عليه دينه. وكان يقول: الاشتغال بهؤلاء الناس حمق كبير. ورؤي بعد موته، يقول: غفر لي بقول الناس ماليس في. وكان يقول: لو لم تبغض الدنيا، إلا لأن الله يعصى فيها لكانت تبغض.

وروي أن الإمام أباحنيفة بنى خمسة وسبعين مسجدا كلها بالعراق.

وقال الناظم رضي الله عنه: [ومالك]، يعني به إمام دار الهجرة، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، نسبة إلى بطن من حمير، يقال له ذو أصبح. أبوه أنس تابعي، ليس هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الخزرجي الأنصاري.

ولد سنة ثلاث وتسعين، أو أربع، أو خمس، أو سبع وتسعين، خلاف فيه. وحمل به في البطن ثلاث سنين. وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة، ودفن بالبقيع وعليه قبة. وقال عند موته بعد ماتشهد [لله الأمر من قبل ومن بعد]، عمره ثلاث وثمانون سنة. سمع نافعا، والزهري، ومحمد بن المنكدر، وأباالزبير، وعبد الله بن دينار، وأباحازم، وخلائق من التابعين. وروى عنه يحيى الأنصاري، والزهري، وهما من شيوخه؛ وابن جريج، والأوزاعي، والثوري، وابن عيينة، وشعبة، والليث بن سعد، وابن المبارك، وابن علية، والشافعي، وابن وهب، والقعنبي، ويحيى القطان، وابن مهدي، وخلائق. وأجمعت طوائف العلماء على إمامته، وجلالته، وعظيم سيادته، وتبجيله، وتوقيره، والإذعان له في الحفظ والتثبيت، وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر. وفي هذه المسألة خلاف سبق في ذكر الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم.

قال الشافعي: لولا مالك وسفيان، لذهب علم أهل الحجاز. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يوشك أن تضرب أكباد الإبل. وفي رواية: آباط المطي في

طلب العلم، فلايجدون عالما أعلم من عالم المدينة]. رواه الترمذي وغيره، قال الترمذي حديث حسن.

وقد روي عن سفيان بن عيينة، أنه قال: هو مالك بن أنس. وعن الشافعي مثله. وعن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي، قال: أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة. وقال أيضا: مارأيت أحدا أعقل من مالك بن أنس. وعن أيوب بن سويد الرملي: مارأيت أحدا قط أجود حديثا من مالك بن أنس. وعن حماد بن زيد: ماخلف مالكا مثله. وابن مهدي: ماأقدم على مالك في صحة الحديث أحدا. ومثله عن ابن القطان، وبنحو ذلك. قال خلائق من الأئمة: وكانوا يقتتلون على باب مالك من الزحام.

قال بعض العلماء: أخذ مالك عن تسعمائة شيخ. منهم ثلاثمائة من التابعين، وستمائة من تابعيهم ممن اختاره، وارتضى دينه، وفقهه، وقيامه بحق الرواية. وعن محمد بن رمح: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة في المنام، فقلت: يارسول الله! مالك والليث يختلفان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مالك، مالك، مالك، ورث جدي، يعني إبراهيم الخليل عليه السلام. وفي رواية: فبأيهما نأخذ؟ وقال الدراوردي: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر مالك بن أنس، فقال له: إلي، إلي، فأقبل مالك حتى دنا منه، فسل خاتمه من خنصره، فوضعه في خنصر مالك. ورأى رجل آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ حِجْرَ مالكٍ مسكا منثورا، وقال: ضمه إليك وبثه في أمتي. فبكى مالك، وقال: الرؤيا تسر ولاتغر، وإن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله.

وقيل لأخت مالك: ماكان شغله في البيت؟ قالت: المصحف والتلاوة. وقال الشافعي: إذا ذُكِرَتِ العلماء، فمالك النجم، ومأحد

أمن علي من مالك. وكان مالك رحمه الله طويلا جسيما، عظيم الهامة، أبيض الرأس واللحية، قيل تبلغ لحيته صدره، إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه، وسدل طرفها بين كتفيه.

وقال أحمد بن شعيب النسائي: أمنُ الناس على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبة بن الحجاج، ومالك بن أنس، ويحيى بن سعيد القطان، وما أحد عندي بعد التابعين أنبل من مالك، ولاأحد أمن على الحديث منه. وكان مالك رحمه الله تعالى يقول: بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء عليهم السلام. وكان يقول: مثل المنافق في المسجد كمثل العصافير في القفص، إذا فتح باب القفص طارت. وكان يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما هو نور يضعه الله في القلب. وكان يقول: حق على من طلب العلم أن يكون له وقار، وسكينة، وخشية. وكان يمشي في أزقة المدينة حافيا ماشيا. وكان يقول: أنا أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة.

وقول الناظم متع الله به ورضي عنه آمين: [والشافعي وأحمد المتمنع]، فالشافعي هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف. وهو ثالث أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، وتاسع أجداده. ذكر العلماء أنه ولده هاشم بن عبد مناف ثلاث مرات، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته.

وكان مولده في بلاد غزة، بعسقلان أو فلسطين، وقيل باليمن، وحمل إلى مكة، وهو ابن سنتين بعد موت أبيه، ونشأ بالحجاز أو بمكة، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ موطأ مالك، وفتح الله عليه مالم يفتح على غيره، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، وصنف كتبه

القديمة ببغداد، وكتبه الجديدة بمصر. ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة في آخر يوم من رجب، ودفن بعد العصر في يومه. وفي رواية توفي ليلة الجمعة بعد المغرب، ودفن بالقرافة الصغرى، وقبره بها يزار، وعليه ضربت قبة عظيمة.

وروى الطيالسي في مسنده، والبيهقي في المعرفة حديث: [لاتسبوا قريشا، فإن عالمها يملأ الأرض علما].

قال الإمام أحمد وغيره: هذا العالم هو الشافعي. وقال أحمد أيضا: بلغني عنه عليه السلام، أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة، رجلا يقيم لها أمر دينها، قال: وكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى.

قال الإمام أحمد بن حنبل: كان الإمام الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من عوض أو خلف؟ قاله لابنه عبدالله، لما قال له: أي رجل الشافعي كان؟ فإني أسمعك تكثر الدعاء له.

وقال إسحاق بن راهويه: لقيني أحمد بن حنبل، فقال لي: تعال حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله، فأراني الشافعي.

وكان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول: ماأحد من أصحاب الحديث حمل محبرة، إلا وللشافعي عليه منة. قال المروزي: سمعت الربيع بن سليمان يقول مثل ذلك، قال: إن أصحاب الرأي كانوا يهزأون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعي، وأقام الحجة عليهم. قال هلال بن العلاء: الشافعي فتح للخلق الأقفال. وقال المزني: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: لو أن الدنيا عُلِّقَتْ تباع في السوق، لما اشتريتها برغيف، لما أرى فيها من الآفات. وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: يحتاج طالب العلم إلى ثلاثة أشياء؛ طول العمر، وسعة اليد، والذكاء. وقال أبو زرعة: سمعت ابن جرز يقول: رأيت

فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، وأن الله قد نزل لفصل القضاء، وكأن الخلائق قد حشروا، وكأن مناديا ينادي من بُطْنَان العرش: ألا أدخلوا أباعبد الله وأباعبد الله وأباعبد الله الجنة، فقلت لملك إلى جنبي: من هؤلاء؟ فقال: مالك وسفيان والشافعي.

نشأ رضي الله عنه في ضيق عيش، في حجر أمه. وكان يجالس العلماء، ويكتب مايستفيده في العظام ونحوها، لعجزه عن الورق، حتى ملأ منها خبايا. وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي. ثم قدم إلى المدينة، فلزم الإمام مالكا، وقرأ عليه الموطأ، فأعجبته قراءته، وقال: سيكون لك شأن. وسن الشافعي يومئذ ثلاث عشرة سنة.

ثم رحل إلى اليمن، واشتهر بها. ثم رحل إلى العراق، وجد في الاشتغال بالعلم، ونشر علم الحديث، وأقام مذهب أهله، ونصر السنة، واستخرج الأحكام منها. ورجع كثير من العلماء عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه.

قال الربيع: رأيت على باب الإمام الشافعي سبعمائة راحلة، تطلب سماع كتبه. وكان يقول: إذا صح الحديث، فهو مذهبي.

وقال رضي الله عنه: وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم، على أن لاينسب إلي منه حرف، ووددت إذا ناظرت أحدا أن يظهر الله الحق على يديه.

ومن كلامه رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. وأظلم الظالمين لنفسه، من تواضع لمن لايكرمه، ورغب في مودة من لاينفعه، وقبل مدح من لايعرفه. وقال رضي الله عنه: لاشيء أزين بالعلماء من الفقر والقناعة والرضى بهما.

وقال رحمه الله: صحبت الصوفية، واستفدت منهم حرفين: الوقت سيف، وأفضل العصمة أن لاتجد. وقال: من أحب أن يقضى له بالحسنى، فليحسن بالناس الظن، وأبين مافي الإنسان ضعفه، فمن

شهد الضعف من نفسه، نال الاستقامة مع الله تعالى، ومن طلب العلم بعز النفس لم يفلح، ومن طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح. تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه. دققوا مسائل العلم، لئلا تضيع دقائقه، جمال العلماء كرم النفس؛ وزينة العلم الورع والحلم، ولاعيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه. ليس العلم ماحفظ، إنما العلم مانفع. فقر العلماء اختيار، وفقر الجهال اضطرار، والمراء في العلم يقسي القلب، ويورث الضغائن. من ولي القضاء ولم يفتقر فهو لص، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه.

وقال رضي الله عنه: الناس في غفلة عن هذه السورة: [والعصر إن الانسان لفي خسر.] وقال رضي الله عنه: من غلبته شدة الشهوة للدنيا، لزمته العبودية لأهلها؛ ومن رضي بالقنوع، زال عنه الخضوع لأهلها؛ ومن أحب أن يفتح عليه بنور القلب، فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبغض من يريد بعلمه الدنيا.

وقال رضي الله عنه: لابد للعالم من ورد من أعماله، يكون بينه وبين الله. وقال: لواجتهد أحدكم كل الجهد على أن يرضي الناس كلهم عنه، فلاسبيل له، فليخلص العبد عمله بينه وبين الله. وقال رحمه الله: لايعرف الرياء إلا المخلصون، ولو أوصى رجل لأعقل الناس، صرف إلى الزهاد، والعاقل من عقله عقله عن كل مذموم، ومن لم تعزه التقوى، فلاعز له، وطلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد.

وقال رحمه الله تعالى: أصحاب المروءات في جهد. وقال: ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته. ولاتقصر في حق أخيك اعتمادا على مروءته. ولا تبذل وجهك لمن يهون عليه ردك. من برك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك، ومن نم لك نم عليك، ومن وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه جهرا وعلانية فقد فضحه وشانه، ومن سام بنفسه فوق مايساوي، رده الله إلى قيمته.

وكان رضي الله عنه قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام. وفي رواية: وماكان ينام من الليل إلا يسيرا. وكان يختم في كل يوم ختمة. وقال: ماكذبت قط، ولاحلفت بالله صادقا ولاكاذبا، وماتركت غسل الجمعة قط، وماشبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي. وكان لايسأله أحد شيئا إلا احمر وجهه حياء، وفرق عشرة آلاف دينار في مجلس واحد. وكان كثير الأسقام، منها البواسير، كانت دائما تنضح الدم، ولايجلس للحديث، إلا والطشت تحته يقطر الدم فيه. وكان مقتصدا في لباسه. وكان نقش خاتمه [كفى بالله ثقة] لمحمد بن إدريس. وكان ذا هيبة. وكان يقول: أحب لكل مسلم أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الربيع: دخلت عليه ليلة مات، فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولكأس المنية شاربا، ولسوء أعمالي ملاقيا، وعلى الكريم واردا.

رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

وأما الإمام أحمد، فقوله في وصفه: [المتمنع]، إشارة إلى ماحصل له من المحنة في مسألة البدعة، لأنه رحمه الله تعالى حبس ثمانية وعشرين شهرا، كان فيها يضرب كل ليلة بالسياط إلى أن يغمى عليه، وينخس بالسيف، ثم يرمى على الأرض، ويداس عليه. ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم، وتولى بعده الواثق، فاشتد الأمر على أحمد، وولي بعده المتوكل، فرفع المحنة عن أحمد، وأمر بإكرامه، وكتب إلى الآفاق بأن القرآن غير مخلوق، لما ظهر له من كون أحمد على الحق، ولم يزالوا بعد الضرب يقطعون اللحم والجلد من مقاعد أحمد سنين عديدة بعد انتهاء المحنة. ولهذا قال بشر بن الحارث رحمه الله تعالى: امتحن أحمد بعد ماأدخل الكير، فخرج ذهبا أحمر، وهو الإمام أبو عبد الله، أحمد بن حنبل

بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس. وقيل: ابن إدريس بن عثمان بن عوف بن قاسط بن ذهل بن شيبان. وقيل: ابن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة. حمل من مرو، وأمه حامل به إلى بغداد.

قال رضي الله عنه: ولدت سنة أربع وستين ومائة، وطلبت الحديث سنة سبع وسبعين ومائة. ومات رحمه الله وله سبع وسبعون سنة، سنة إحدى وأربعين ومائتين. وقيل: مات يوم الجمعة غدوة ثاني عشر ربيع الأول، ودفن بعد العصر، وضريحه يزار ببغداد. وكان أسمر، مديد القامة، يخضب بالحناء. قال بعضهم: كنا نتوهم أنه أسن من الشافعي، فإذا الشافعي أكبر منه بأربع عشرة سنة.

قال هلال بن العلاء: أربعة لهم منة على الإسلام، وذكر منهم أحمد بن حنبل، حيث ثبت في المحنة، ولم يقل بخلق القرآن.

وكان رضي الله عنه يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما ضرب ضعف. فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة. وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو، وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام ختمة، وفي كل سبع ليال ختمة، فكان يمكث ثلاثا لايطعم، وكان إذا ورد عليه أمر يغمه، لم يطعم ولم يفطر إلا على شربة ماء، وواصل، وقد يأخذ الثمان لايأكل.

وسئل عن مسألة في الورع، فقال: أستغفر الله، لايحل أن أتكلم في الورع، وأنا آكل من غلة بغداد، ولو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنها. وقال له ابنه عبد الله وهو صبي: ياأبت! هب لي قطعة، يعني شيئا يسيرا من الفضة، فقال: أبوك لايملك قطعة، ويوم لايملك قطعة أحب إليه من يوم يملك قطعة. وقال صالح بن أحمد: قال أبي عند وفاته: هذا إبليس قائم بحذائي، عاضٌ على أنامله، يقول: ياأحمد فتني، فأقول: لا، حتى أموت. وصرفت إليه رحمه الله الأموال وقت المحنة، فلم يأخذ منها شيئا. جاءته خمسمائة ألف، فلم يقبل منها شيئا،

وهو محتاج إلى رغيف يأكله. وكان مجاب الدعوة، وكان إذا جاع أخذ كسرة يابسة فنفضها من الغبار، ثم صب عليها الماء حتى تبتل، ويأكلها بالملح. وكان أكثر إدامه الخل. وحج خمس حجات، ثلاث منها ماشيا، وينفق في كل حجة عشرين درهما. وأرسل له الخضر رجلا، فقال له: ياأحمد، إن ساكن السماء ومن حول العرش راضون عنك، بما صبرت نفسك لله تعالى.

ولما مرض اجتمع الخلق على بابه لعيادته، فلما قبض صاح الناس وارتجت الدنيا لموته، فحزر من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف، ومن النساء ستون ألفا، سوى من كان في الطرق، والسفن، والسطوح، فإنهم بذلك يكونون أكثر من ألف ألف. وفي رواية: فبلغوا ألفي ألف وخمسمائة ألف، وأسلم يومئذ عشرون ألفا من اليهود، والنصارى، والمجوس.

وقال رحمه الله تعالى: رأيت رب العزة في المنام، فقلت: يارب! ماأفضل ماتقرب به المتقربون إليك؟ فقال: بكلامي ياأحمد. فقلت بفهم وبغير فهم؟ قال بفهم وبغير فهم.

وقال الناظم رضي الله عنه:

[تلك الأئمة والدعاة إلى الهدى والحق من أهل المقام الرابع]

[تلك] اسم إشارة إلى المذكورين الأربعة خصوصا، والماضين من أول من ذكرهم، فإنهم كلهم أئمة في الدين، دعاة إلى الهدى والحق. قال الأستاذ القشيري في رسالته: سمعت محمد بن الحسين يقول؛ سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول؛ سمعت بلالا الخواص يقول: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه، ثم إني أُلْهِمْتُ أنه الخضر، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ فقال: أخوك الخضر. فقلت له: أريد أن أسألك، فقال: سل. فقلت: ماتقول في الشافعي؟ فقال:

هو من الأوتاد. فقلت: ماتقول في مالك بن أنس؟ فقال: هو إمام الأمة. فقلت: ماتقول في أحمد بن حنبل؟ قال: رجل صديق. فقلت: ماتقول في بشر بن الحارث؟ فقال: لم يخلق بعده مثله. فقلت: بأي وسيلة رأيتك. فقال: ببرك لأمك. . . . انتهى.

فهم الهداة الهادون، المهتدون، السالكون طريق الحق والهدى، الداعون إلى ذلك بأعمالهم وأقوالهم وسائر أحوالهم، المتصفون بما يدعون إليه من الهدى والحق، بل هم بأعلى مقامات الدين ومنازل اليقين. وإليه أشار الناظم بقوله: [من أهل المقام الرابع]، أي الدرجة العالية من العلم بالله، والمعرفة به، والعبادة له، والخوف منه، والإخلاص والصدق في عبوديته وتوحيده، بهم يحفظ الله حجته، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فباشروا روح اليقين، فاستلانوا ماستوعره منه المترفون، وأنسوا مماستوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك أولياء الله من خلقه، وعماله في أرضه، والدعاة إلى دينه، بهذا وصفهم وأمثالهم أمير المؤمنين، وإمام المتقين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه. ثم قال: [واشوقاه إلى رؤيتهم].

والمقام الرابع في التوحيد مقام وراء لباب التوحيد، ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها، فمن اتبع هواه أو سخط على الخلق، خرج عنه، وهو من مقامات الصديقين. والمقام الرابع درجة فوق هذا، وهذان المقامان من مقامات صفوة الله من عباده، وموضع نظره، ومعادن أنواره، وخزائن أسراره.

قال شيخنا الناظم نفع الله به في كتابه [الدعوة]: ومنهم وعنهم تؤخذ أسرار الدين وحقائقه؛ من الإخلاص، والصدق، والزهد،

والتوكل، وأشباهها، من مقامات الدين، ودرجات اليقين؛ فمنهم من جمع الله له بين الظاهر والباطن، ونفع به الخاص والعام، والجمع بين الشريعة والحقيقة والطريقة؛ مثل الإمام زين العابدين، وولده الباقر، وولده الصادق، والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، ومثل الحارث المحاسبي، والجنيد، ومثل صاحب الرسالة القشيري، وحجة الإسلام الغزالي، والشيخ السيد محيي الدين عبد القادر، وصاحب العوارف، ومثل سيدنا شيخ الشيوخ السيد الفقيه محمد بن علي التريمي، والشيخ المعظم السقاف، وولده القدوة عمر المحضار، والقطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأخيه الجامع علي بن أبي بكر وغيرهم من السادة الأشراف الحسينيين آل باعلوي كثير يطول عددهم؛ كشيخنا ومولانا شيخ الإسلام عبدالله بن علوي الحداد، صاحب النظم، نفعنا الله ببركاتهم، وأمدنا بأمدادهم، وغمرنا بأسرارهم، وأدخلنا في شفاعتهم ونفاعتهم دنيا وأخرى، واللائذين بنا في خير وعافية.

وقول سيدنا الناظم جزاه الله خيرا، ونفعنا به آمين:

[وأبي علي وأبي إسحاقهم　　　ووهيبْ وردي اللطيف المنزع]

[أبو علي]، هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، اليربوعي، الخراساني، من ناحية مرو، وقيل إنه ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، كتب الحديث بالكوفة، ثم تحول إلى مكة، فاستوطنها إلى أن توفي بها في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة.

سمع الحديث من جماعة، منهم: سليمان التيمي، وحميد الطويل، ويحيى الأنصاري، وجعفر الصادق، وعطاء بن السائب، ومجالد بن سعيد، وسفيان الثوري. وروى عنه خلائق، منهم: الثوري، وابن عيينة، ويحيى القطان، وابن المبارك، والشافعي، والحميدي،

والقعنبي، وأجمعوا على توثيقه، والاحتجاج به، وصلاحه، وزهده، وورعه.

قال إسحاق بن إبراهيم: مارأيت أحدا أخوف على نفسه، وأرجى للناس من الفضيل. وكان شديد الهيبة للحديث، وكان يثقل عليه الحديث جدا. قال رضي الله عنه: من عرف الناس استراح. قال بعضهم يعني أنهم لايضرون ولاينفعون.

وقال رحمه الله: ماأدرك من أدرك عندنا بكثرة صلاة، ولاصيام، ولكن بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة. قال شيخنا الناظم، يعني مع كثرة الصلاة والصيام. وقال الفضيل: ترك العمل بسبب الناس رياء، والعمل بسببهم شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وقال رحمه الله: إذا أحب الله عبدا أكثر همه وغمه، وإذا أبغض الله عبدا وسع عليه دنياه. قال ابن المبارك: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن. وقال الفضيل: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي، على أن لاأحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه. وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، مارأيته ضاحكا ولامبتسما إلا يوم مات ولده علي. فقلت له في ذلك، فقال: إن الله أحب أمرا فأحببت ذلك الأمر. وقال الفضيل: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلُقِ حماري وخادمي. وقال: من جلس إلى صاحب بدعة لم يعط الحكمة. وقال: لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال.

وسئل رضي الله عنه عن التواضع، فقال: تخضع للحق، وتنقاد له، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه، وقال في قوله تعالى: [إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين] الذين يحافظون على الصلوات الخمس. وكان يقول: جعل الشر كله في بيت واحد، وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا. وثلاث يقسين

القلب: كثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الكلام. وخير العمل أخفاه، أمنعه من الشيطان، أبعده من الرياء. ومن شُكْر النعمة أن يحدث بها، أبى الله إلا أن يجعل أرزاق المتقين من حيث لايحتسبون. ولاعمل لمن لانية له، ولاأجر لمن لاخشية له. طوبى لمن استوحش من الناس، وأنس بربه، وبكى على خطيئته. وأصل الزهد الرضا عن الله تعالى. وقال: أشتهي مرضا بلا عُوَّادٍ.

وقال رحمه الله تعالى: من فهم معنى القرآن استغنى عن كتابة الحديث. وكان يستسقي على الدوام، وينفق من ذلك على نفسه وعياله. وكان يقول: من طلب أخا بلا عيب، صار بلا أخ، ولاتواخ من إذا غضب كذب عليك. ولو أن أهل العلم زهدوا في الدنيا، لخضعت لهم رقاب الجبابرة. ومن علامة الزهد أن يفرحوا إذا وصفوا بالجهل عند الأمراء ونحوهم.

وسبب توبته رضي الله عنه، أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدرات إليها، سمع تاليا يتلو: [ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله،] فقال: يارب، قد آن، ورجع. فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم؛ نرتحل، وقال قوم حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا. فتاب، وأمنهم.

وقول الناظم رضي الله عنه ونفعنا به: [وأبي إسحاقهم]، أراد به إمام الزهاد والعباد أباإسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كورة بلخ. كان من أبناء الملوك، فخرج يوما متصيدا، فأثار ثعلبا أو أرنبا، وهو في طلبه، فهتف به هاتف: ألهذا خُلقتَ، أم بهذا أُمرتَ؟ ثم هتف به هاتف من قربوس سرجه: والله، مالهذا خلقت، ولا بهذا أمرت. فنزل عن دابته، وصادف راعيا لأبيه، فأخذ جبة الراعي من صوف، فلبسها وأعطاه فرسه ومامعه، ثم إنه دخل البادية، ثم دخل مكة، فصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام ومات بها في بلاد

الروم مجاهدا، سنة إحدى وستين ومائة، وقبره بصُور. كان يأكل من عمل يده مثل الحصاد، وحفظ البساتين وغيرها. ورأى في البادية رجلا، علمه اسم الله الأعظم، فدعا به بعده، فرأى الخضر عليه السلام، فقال: إنما علمك أخي داود اسم الله الأعظم، وهو داود البلخي. هذا بدء أمره.

وكان رضي الله عنه كبير الشأن في باب الورع. يحكى عنه أنه قال: أطب مطعمك، ولاعليك أن لاتقوم الليل، ولاتصوم النهار. وقيل: كان عامة دعائه: اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك. وقيل له: إن اللحم قد غلا، فقال: أرخصوه بالترك، أي لاتشتروه. وفي رواية في بدء أمره رحمه الله تعالى سمع صوتا ماهذا العبث؟ [أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون؟] اتق الله، وعليك بالزاد ليوم القيامة.

قيل: كان أبوه أدهم رجلا صالحا، فولد إبراهيم بمكة، فسار به على العباد والزهاد، فيقول: ادعوا الله له. فيرى أنه قد استجيب لبعضهم. قال بعضهم: مارأيت إبراهيم بن أدهم إلا ذكرت الله تعالى، ورق قلبي.

وكان رضي الله عنه مرة في سفينة فاضطربت بأهلها، فقال: ياحي حين لاحي، وياحي قبل كل حي، وياحي بعد كل حي، ياحي ياقيوم، يامحسن يامجمل، قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك. فهدأت السفينة من ساعتها.

ومن كلامه رضي الله عنه: ومن أراد الراحة، فليخرج الخلق من قلبه. اتخذ الله صاحبا، وذر الناس جانبا. من عرف مايطلب، هان عليه مايبذل؛ ومن أطلق بصره، طال أسفه؛ ومن طال أمله، ساء عمله؛ ومن أطلق لسانه، قتل نفسه. وقال له المنصور أبو جعفر: كيف شأنكم ياأبا إسحاق؟ قال رضي الله عنه آمين:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع.

صلى رحمه الله خمس عشرة صلاة بوضوء واحد.

ومن كلامه: ماصدق الله عبد أحب الشهرة. وقال: نعم القوم السوّال، يحملون زادنا إلى الآخرة. وقال: كثرة النظر إلى الباطل تذهب معرفة الحق من القلب. وقال: اعلم أنك لاتنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب، أولها: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة؛ والثاني: تغلق باب العز وتفتح باب الذل؛ والثالث: تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد؛ والرابع: تغلق باب النوم وتفتح باب السهر؛ والخامس: تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر؛ والسادس: تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.

وقال نفع الله به: من علامة العارف بالله، أن يكون أكثر همه الخير والعبادة، وأكثر كلامه الثناء والمدحة. وقال في قوله تعالى: [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض]، من حب العلو أن تستحسن شسع نعليك على شسع نعل أخيك. وكان إذا لم يجد الطعام الحلال، يأكل التراب. ومكث شهرا يأكل الطين. وقال: لو لا أن أتخوف أن أعين على نفسي ماكان لي طعام إلا الطين حتى أجد الحلال. وقال: اطلبوا العلم للعمل، فإن أكثر الناس قد خلطوا فيه. قال له بعض العلماء: عظني، قال: كن ذنبا ولاتكن رأسا، فإن الذنب ينجو، والرأس يذهب. وكان إذا رأيته كأنه ليس فيه روح، لو نفخته الريح لوقع. وكان يحفظ كرما، فمر به جندي فقال: أعطنا من هذا العنب، فقال: لا، ماأمرني به صاحبه. فأخذ يضربه بسوط، فطأطأ رأسه، وقال: اضرب رأسا طالما عصى الله تعالى، فأعجز الرجل ومضى.

وقال سهل بن إبراهيم: صحبت إبراهيم بن أدهم فمرضت،

فأنفق علي نفقته، فاشتهيت شهوة، فباع حماره، وأنفق علي من ثمنه، فقلت: فعلى ماذا أركب؟ فقال: على عنقي، فحملني ثلاث منازل.

وقول الناظم رضي الله عنه وأرضاه: [ووهيب وردي اللطيف المترع]، فهو الإمام الجليل الحفيل، طبيب القلوب، أبو آمنة عبد الوهاب وهيب بن الوردي المكي رضي الله عنه وأرضاه، وجمعنا وإياه في الجنة، وأحبابنا آمين. قال: بينما أنا واقف في بطن الوادي، إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبي، فقال: ياوهيب! خف الله عز وجل لقدرته عليك، واستحي منه سبحانه وتعالى لقربه منك، قال: فالتفت فمارأيت أحدا.

وعن الإمام بشر بن الحارث رضي الله عنه قال: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم؛ وهيب بن الوردي، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن اسباط، وسليم الخواص. وكان سفيان إذا قام إلى وهيب يقول: قوموا بنا إلى الطيب. وحلف وهيب أن لايراه الله ولاأحد من خلقه ضاحكا حتى تأتيه الرسل من قبل الله عز وجل عند الموت، فيخبرونه بمنزلته عند الله. وكانوا يرون له الرؤيا أنه من أهل الجنة، فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه ويقول: قد خشيت أن يكون هذا من قبل الشيطان. فلما حضرته الوفاة سمعوه يقول: ياصادق الوعد، وياوفي العهد! وفيت وماوفيت لك.

وكان رحمه الله تعالى ونفع به مبالغا في الورع حتى نحل جسمه ومات هُزَالاً. قيل له: أيجد طعم العبادة من يعصي الله تعالى؟ قال: لا، ولا من هَمَّ بالمعصية. ودخل وهيب على محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى، وهو بذي طوى يعوده، فمسح يده عليه، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فشفي. وقال: لو قرأها صادق على جبل لزال. وكان تتبين خضرة البقل في بطنه من الهزال، وكان مشغولا بالتعبد عن الرواية: مات في سنة ثلاث وخمسين ومائة، وكان يسمع الهواتف وهو ساجد: ارفع رأسك فقد غفر لك.

وقول سيدنا الناظم: [اللطيف المترع] لعله إشارة إلى قصته مع سفيان الثوري، ويوسف بن اسباط، التي ذكرها الإمام الغزالي، حيث اختار مااختاره الله دونهما.

وقول سيدنا الناظم أعلى الله درجاته:

[وابن المبارك والذي سبق الأولى   في زهده داود طي الأورع]

[فابن المبارك]، عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن، عالم خراسان، المجمع على إمامته، تنزل الرحمة بذكره، وترتجى المغفرة بحبه، وهو من تابع التابعين. ولد سنة ثمان عشرة، وقيل تسع عشرة ومائة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة. مات بهِيْت، مدينة معروفة على الفرات، ودفن بها لمارجع من الغزو. وكانت اقامته بخراسان. أبوه عبد تركي لرجل من التجار من بني حنظلة، وأمه تركية خوارزمية، عمره ثلاث وستون سنة.

قال عبد الرحمن بن مهدي: حدثني ابن المبارك، وكان نسيج وحده، وهو عندي أفضل من الثوري. وقوله: نسيج وحده، بالسين المهملة وبالجيم، معناه لانظير له، وأصله أن الثوب إذا كان رفيعا جدا لم ينسج على منواله غيره. وقال أيضا: الأئمة أربعة: الثوري، ومالك، وحماد بن زيد، وابن المبارك. وقال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين. وقال سفيان: ابن المبارك، هو عالم أهل المشرق والمغرب ومابينهما. صنف كتبا كثيرة في أبواب العلم، والزهد، والحث على الجهاد. لم يجتمع في أهل العلم في زمانه مااجتمع فيه. كان فقيها، عالما، ورعا، حافظا، يعرف السنين، رحّالا في جمع العلم، شجاعا، ينازل الأبطال، أديبا، يقول الشعر، سخيا بمايملك. وكان إذا سافر تحمل سفرته على عجلة من كبرها، فإذا نزل طرحها فورد من احتاج إليها.

وقال أبو إسحاق الطالقاني: رأيت بعيرين مملوءين دجاجا مشويا

لسفرة ابن المبارك. وكان يطعم أصحابه الفالوذج والخبيص، ويظل هو نهاره صائما. وكان إذا اشتهى شيئا، لايأكله إلا مع ضيف، ويقول: بلغنا أن طعام الضيف لاحساب عليه. وقال له رجل قد ذهب بصره: ادع الله لي! فقام طويلا يدعو الله، فرد الله عليه بصره.

وقال المعتمر بن سليمان: عبد الله بن المبارك فقيه العرب والعجم. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: ورب هذا البيت مارأت عيناي مثل عبد الله بن المبارك. وقال ابن أبي رزمة: لم تكن خصلة من خصال البر إلا اجتمعت في ابن المبارك حياء، وتكرما، وحسن خلق، وحسن صحبة، وحسن مجالسة، والزهد، والورع، وكل شيء. ورآه زكريا بن عدي في المنام، فقال: مافعل الله بك؟ فقال: غفر لي برحلتي في الحديث، وقيل له رحمه الله تعالى: إلى متى تطلب العلم؟ وفي رواية: تطلب الحديث؟ فقال: إلى أن أموت.

قال سفيان الثوري: إني لأجهد سنة لأن أكون مثل ابن المبارك في ثلاث أيام فما أقدر عليه. وقال سلام بن أبي المطيع: ماخلف ابن المبارك بالمشرق مثله. وقال شعبة: ماقدم علينا من ناحيته مثله. وقال آخر منهم: مارأيت أعقل ولاأكثر اجتهادا في العبادة منه. وقال يحيى بن معين فيه: سيد من سادات المسلمين. وقال آخر: مارأيت أطلب للعلم منه في الآفاق، في الشامات، والعراق، والحجاز، وخراسان، بل واليمن. وبلغ مشائخه أربعة آلاف شيخ.

ومن كلامه رضي الله عنه وأرضاه ونفع به: من بخل بالعلم ابتلى بثلاث، إما بموت، فيذهب علمه؛ أو بالنسيان، أو يبتلى بالسلطان. وقال: أول مايوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة ماينفق على عياله من الحلال. وسئل عن التواضع، فقال: التكبر على الأغنياء. وسئل: من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. وكان يقول: لولا فضيل بن عياض ماتجرت. قال: العجب أن ترى أن عندك شيئا

ليس عند غيرك، والكبر أن تزدري الناس. وقال: من طاب أصله، طاب محضره. وقال: دخل سفيان الثوري الحمام، فدخل عليه الحمام غلام صبيح الوجه، فقال: أخرجوه، فإن مع كل امرأة شيطانا، ومع كل غلام بضعة عشرة شيطانا. وقال رحمه الله تعالى: كم من مركوب خير من راكبه، وأطوع لله وأكثر ذكرا. وكان يقول: من شرط العالم أن لاتخطر محبة الدنيا على قلبه. وقيل له: من سفلة الناس؟ قال: الذين يتعيشون بدينهم. وقال: كيف يدعي رجل أنه أكثر علما، وهو أقل خوفا وزهدا ومن علامة من عرف نفسه أن يكون أذل من الكلب. ومن ختم نهاره بالذكر، كتب نهاره ذاكرا. ورب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كثير تصغره النية. كن محبا للخمول، كارها للشهرة. دعواك الزهد من نفسك تخرجك عن الزهد. لأن أرد درهما من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بستمائة ألف ألف.

وكان يقول: أربع كلمات انتُخِبَتْ من أربعة آلاف حديث: لاتثقن بامرأة، ولاتغترن بمال، ولاتُحَمِّلَنَّ معدتك مالا تطيق، وتعلم من العلم ماينفعك فقط. وكان يقول: من أنا حتى يكتب قولي. وكان يقول: إن كان المال قد قل، فإن العمر قد نفد، إذا قيل له: أقلل من صلة الناس.

وقول سيدنا الناظم نفعنا الله به ورضي عنه آمين: [والذي سبق في زهده داود طي الأورع] هو الإمام علما وعملا وحالا أبو سليمان داود بن نصير الطائي. وكان كبير الشأن. ورث عشرين دينارا، فأكلها في عشرين سنة. وكان يعطي الحجام دينارا، فقيل له: هذا إسراف، فقال: لاعبادة لمن لامروءة له.

وسبب زهده أنه كان يمر ببغداد يوما، فنحاه عن الطريق المطر، فوقف بين يدي حميد الطوسي، فالتفت داود، فرأى حميدا، فقال داود: أف لدنيا سبقك بها حميد. فلزم البيت، وأخذ في الجهد والعبادة. أو سببه

أنه سمع نائحة تنوح: بأي خديك يبدأ البلى، وأي عينيك إذا سالا؟
وقيل: سبب زهده أنه كان يجالس أباحنيفة، فقال له: ياأباسليمان،
أماالأداة فقد أحكمناها. فقال داود: أي شيء بقي. فقال: العمل به.
قال داود: فنازعتني نفسي إلى العزلة، فجالستهم أول سنة. كانت تمر بي
المسألة وأنا أشهى إلى الكلام فيها من العطشان إلى الماء، ولاأتكلم.
وكان يقول في الليل: إلهي، همك عطل علي الهموم، وحال بيني وبين
الرقاد. وترَكَ الخبز، لأن بين مضغه وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

ولما توفي رآه بعض الصالحين وهو يعدو، فقال له: مالك؟ فقال:
الساعة تخلصت من السجن. فاستيقظ الرجل وارتفع الصياح بموته.
وكان سفيان الثوري يقول: اللهم سلم سلم؛ وداود يقول: اللهم
خلص خلص. ويقول: إنما يسأل السلامة من لم يقع، فأما من وقع،
فإنما يسأل الخلاص. ورآه بعضهم في المنام أذن وصلى بجماعة، فقيل له:
أليس قد مُتَّ؟ قال: لم أَمُتْ، ولكن نمتُ، وأنا في كنف الله وجواره،
حي مرزوق. وقال له أبو الربيع العابد: أوصني! فقال: صم عن
الدنيا، واجعل فطرك الآخرة، وفِرّ من الناس كما تفر من الأسد. وقال:
إني لأستحي من الله، أن أخطو خطوة في لذة. وقال: اليأس سبيل
أعمالنا هذه، ولكن القلوب تحن إلى الرجاء.

ومما أسند عن ابن عمر مرفوعا: المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر
على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لايخالط الناس، ولايصبر على
أذاهم. صام رضي الله عنه أربعين سنة لايعلم به أهله.

وقول الناظم رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين آمين:

[ويليه معروف على قدم الوفا وكذا السري إلى الجنيد الألمعي]

فأما[معروف] فهو أبو محفوظ، معروف بن فيروز الكرخي، نسبة
إلى كرخ، بغداد. كان من المشائخ الكبار، مجاب الدعوة، يُستسقى

بقبره. يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب، وهو من موالي علي بن موسى الرضا. مات سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين. وهو أستاذ السري السقطي. وقد قال له يوما: إذا كانت لك إلى الله حاجة، فأقسم عليه بي. وكان أبواه نصرانيين، فأسلما معروفا إلى مؤدبهما وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، ويقول: بل هو الواحد. فضربه يوما فهرب معروف. وفي رواية أنه بقي أياما لايشرب شرابا، ولايطعم طعاما، ولايستظل بجدار، وجعل أبواه يبكيان، ويقولان: ليته يرجع على أي دين شاء فنوافقه. فلما كان بعد مدة، طرق الباب فقيل: من؟ قال: معروف. قالوا: على أي دين؟ فقال: الدين الحنيفي. فأسلم أبواه علي يديه.

قال السري: رأيته كأنه تحت العرش، فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم به يارب، فيقول: هذا معروف الكرخي، سكر من حبي، فلا يفيق إلا بلقائي.

وقال معروف رحمه الله تعالى ونفع به؛ قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل، فإن ذلك الذي يقربك إلى مولاك. فقلت: وماذاك؟ فقال: داوم طاعة ربك، وحرمة المسلمين، والنصيحة لهم.

ورؤي في المنام بعد موته، فقيل له: مافعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقيل: بزهدك وورعك؟ فقال: بل بقبول موعظة ابن السماك، ولزومي الفقر، ومحبتي للفقراء. وموعظة ابن السماك أنه سمعه معروف يقول: من أعرض عن الله بكليته، أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه، أقبل الله إليه برحمته، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه. ومن كان مرة ومرة، فالله يرحمه وقتا ما. قال، فوقع كلامه على قلبي، وأقبلت على الله، وتركت جميع ماكنت عليه، إلا خدمة مولاي، علي بن موسى الرضا. وذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك هذا موعظة، إن

اتعظت. وقيل لمعروف في مرض موته: أوص، فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا. ومر رضي الله عنه بسقاء، يقول: رحم الله من يشرب. فتقدم فشرب وهو صائم، وقال: رجوت دعاءه. وقيل له: إنه بلغنا أنك تمشي على الماء، فقال: مامشيت على الماء قط، ولكن إذا هممت بالعبور على الدجلة، يجمع لي طرفاها، فأتخطاها.

وكان يصلي العشاء إذا أراد بمكة، ويصبح ببغداد. وكان شديد الخوف، سمعه بعض جيرانه ليلة يبكي، وينوح في السحر، وينشد شعرا:

أي شيء تريد مني الذنوب　　　شغفت بي فليس عني تغيب.

وقال بعضهم: ربما كنا معه وهو قاعد يتفكر، ثم يفزع ويقول: ياغوثاه! ياغوثاه! وأخذ مرة في الأذان، فاضطرب وارتعد حتى قال: أشهد أن لاإله إلاالله، فقام شعر حاجبيه ولحيته، واضطرب حتى خيف أنه لايتم أذانه، وانحنى حتى كاد أن يسقط.

ومن كلامه رضى الله عنه ونفع به: إذا أراد الله بعبد خيرا، فتح الله له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل. وإذا أراد الله بعبد شرا، أغلق عليه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.

وقال رحمه الله: إذا أراد الله بعبد خيرا، زوى عنه الخذلان، وأسكنه بين الفقراء الصادقين. وإذا أراد الله بعبد شرا، عَطَّلَهُ عن الأعمال الصالحة، وثقلها عليه، وأسكنه بين الأغنياء. وقال: لولا إخراج حب الدنيا من قلوب العارفين، ماقدروا على فعل الطاعات. والعارف يرجع إلى الدنيا اضطرارا، والمفتون يرجع إليها اختيارا. وقال أيضا: الدنيا أربعة أشياء: المال، والكلام، والمنام، والطعام. فالمال يطغي، والكلام يلهي، والمنام ينسي، والطعام يقسي.

وقال السري؛ سمعت معروفا يقول: من كابر الله صرعه، ومن

نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه حفظه ومنعه، ومن تواضع له رفعه. وقال نفع الله به: للأولياء علامات، همهم الله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه. وسئل: بأي شيء يخرج حب الدنيا من القلب؟ فقال: بصفاء الود، وحسن المعاملة. وقال له رجل: كيف أصل إلى الله؟ فأراه عبدا، معصب الرجل على باب أمير، إشارة إلى الانكسار لله، والوقوف ببابه.

ومن دعائه رضي الله عنه: يامن وفق أهل الخير للخير، وأعانهم عليه؛ وفقنا للخير، وأعنا عليه. ورأى بعضهم بشرا في المنام في بستان، وبين يديه مائدة، فقال له: مافعل الله بك؟ فقال: أباحني الجنة بأسرها، قال: أين أخوك أحمد بن حنبل؟ قال: هو قائم على باب الجنة، يشفع لأهل السنة، قال: فمافعل معروف؟ فحرك رأسه، وقال: هيهات! حالت بيننا وبينه الحجب. رفعه الله إلى الرفيق الأعلى، ورفع الحجاب بينه وبينه، فمن كانت له حاجة إلى الله، فليدع الله عند قبره، فإن الله يستجيب له. وقال بعضهم: قبر معروف ترياق، مجرب لقضاء الحوائج. وقال آخر: أربعة قبور ببغداد حصن لأهلها من جميع البلاء: أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر بن الحارث، ومنصور بن عمار. وقال بعضهم: مات أخ لي، فرأيته في المنام بعد عام، فقلت له: مافعل الله بك؟ فقال له: الآن أعتقت، لأنه دفن عندنا معروف الكرخي، فأعتق الله عن يمينه ثلاثين ألفا، وعن شماله ثلاثين ألفا، وبين يديه ثلاثين ألفا، ومن خلفه ثلاثين ألفا.

وقول سيدنا الناظم نفع الله به: [ويليه] أي يلي داود الطائي، معروف الكرخي [على قدم الوفا] أي بالقيام بعده بصدق الوفاء، في السيرة الحميدة، والطريقة السديدة، والآداب الشرعية، والنفس الأبية. [وكذا السري] السقطي، وإليه الجنيد، فإن الجنيد أخذ عن السري، والسري أخذ عن معروف، ومعروف أخذ عن داود.

فأما السري، فهو أبو الحسن سري بن المُغَلِّس السقطي، مات سنة سبع أو ثلاث أو إحدى وخمسين ومائتين ببغداد. وقبره بالشونيزية، ظاهر يزار. جاءه معروف الكرخي يوما في السوق، ومعه صبي يتيم، فقال: اكس هذا اليتيم، فكساه، ففرح معروف، وقال: بغض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه. قال: فقمت من الحانوت، وليس شيء أبغض إلي من الدنيا، وكل ماأنا فيه من بركة دعاء معروف.

وكان السري رحمه الله أوحد زمانه في الورع، والأحوال السنية، وعلوم التوحيد، وإليه ينتمي أكثر المشائخ ببغداد. قال الجنيد: مارأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة، ماروؤي مضطجعا إلا في علة الموت. وقال الجنيد أيضا: أخذ السري جلدة ذراعه، فمدها، فلم تمتد، ثم قال: وعزة الله تعالى لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته، لصدقت. ثم غشي عليه، فدار وجهه، كأنه قمر مشرق. وكان السري به أدمة.

وقال أيضا: سمعت السري يقول: أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة، فقلت له: ماهو؟ فقال: لاتسأل من أحد شيئا، ولاتأخذ من أحد شيئا، ولايكون معك شيء تعطي أحدا. وقال: سمعته يقول: أشتهي أن أموت، ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أخاف أن لايقبلني قبري، فأفتضح. وسمعته يقول: اللهم مهما عذبتني بشيء، فلاتعذبني بذل الحجاب.

ودخلت عليه يوما، وهو يبكي، فقلت له: مايبكيك؟ فقال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: ياأبتي! هذه الليلة حارة، وهذا الكوز أعلقه هاهنا، حتى يبرد، فأخذته من يده، فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لايشرب الماء المبرد في الكيزان. وتناولت الكوز، فضربت به الأرض.

قال الجنيد: فرأيت الخزف المكسور لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب.

ومن كلام السري رضي الله عنه: التصوف اسم لثلاث معان، وهو الذي لايطفي نور معرفته نور ورعه. ولايتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولاتحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله تعالى. وقال: أقوى القوة أن تغلب نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه، كان عن أدب غيره أعجز. ومن علامات الاستدراج للعبد عماه عن عيبه، وإطلاعه على عيوب الناس. كيف يستنير قلب الفقير وهو يأكل من مال من يغش في معاملته، ويعامل الظلمة، وأكلة الرشا. وقال: من سكن إلى قول الناس فيه إنـه ولي الله، فهو في يد نفسه أسير، وثلاثة من علامة سخط الله عـلى العبد، كـثرة اللعب، والاستهزاء، والغيبة.

وكان يقول: إياكم ومجاورة الأغنياء، وقراء الأسواق والأمراء، فإنهم يفسدون كل من جالسهم، ومارأيت شيئا أحبط للأعمال، ولاأفسد للقلوب، ولاأسرع في هلاك العبد، من قلة معرفته بنفسه، ونظره في عيوب الناس.

وكان يقول: الدنيا أفاعي قلوب العلماء، وسحارة قلوب العباد والقراء، تلعب بهم، كما يلعب الصبيان بالكرة.

وكان يقول: خصلتان يباعدان العبد من الله، أداء نافلة بتضييع فريضة، وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب. وكان يبكي، ويقول: قد توعرت طريق الصالحين، وقل فيها السالكون، وهجرت الأعمال، وقل فيها الراغبون، ورفض الحق، ودرس هذا الأمر، فلاأراه إلا في لسان كل بطال، ينطق بالحكمة، ويفارق الأعمال، قد افترش الرخص، وتمهد التأويلات، واعتل بذلك العاصون. ثم يقول: واغمـاه! من فتنة العلماء! واكرباه! من حيرة الأدلاء!

وكان يقول: من أنس بربه في الظلام، نشرت غدا له الأعلام.
وكان يقول: هذا زمان عزلة ووحدة. وقال: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي الحمد لله مرة، لأنه قيل له مرة. وقع حريق ببغداد ونجا حانوتك، ندما على إرادته لنفسه خيرا مما للمسلمين. وقال: أنا أنظر في أنفي في اليوم، كذا وكذا مرة، مخافة أن يكون قد اسود، خوفا من الله تعالى مما أتعاطاه. وقال: من لم يعرف قدر النعم، سُلِبَها من حيث لايعلم. وقال: قليل في سنة خير من كثير في بدعة. كيف يقل عمل مع تقوى. ومن أطاع من فوقه، أطاعه من دونه. والأدب ترجمان العقل، ولسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه مايضمره القلب.

وأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفع به؛ [إلى الجنيد الألمعي] أراد به سيد الطائفة الصوفية وإمامهم. كان إليه يرجع في السلوك، وغالب طريق لباس الخرقة الصوفية، الجنيد بن محمد الزجاج. كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك يقال له القواريري، أصله من نهاوند، ومنشأه ومولده بالعراق ببغداد. وكان فقيها على مذهب أبي ثور، وأفتى بحلقته، وعمره حينئذ عشرون سنة، وأخذ أيضا عن الزعفراني، واعترف له الإمام ابن سريج بأن ماحصل له من بركته. وأبو ثور، هو إبراهيم بن خالد، الكلبي، البغدادي، أخذ الجنيد عن الشافعي، وكذا الزعفراني أخذ عن الشافعي، صحب الجنيد خاله السري السقطي الماضي ذكره، وصحب الحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب، وأبا حمزة البغدادي. مولده ببغداد بعد العشرين ومائتين، أو قبيلها. مات رحمه الله يوم السبت في شوال، سنة سبع أو ثمان وتسعين ومائتين. وقبره ببغداد ظاهر، يزوره الخاص والعام.

وسئل عن العارف، فقال: من نطق عن سرك، وأنت ساكت. وقال: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك

الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات. وقال: إن العارفين بالله أخذوا الأعمال الصالحة عن الله، وإليه يرجعون فيها، ولو بقيت ألف عام، لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها، والذي يسرق ويزني، أحسن حالا من الذي يقول بإسقاط الأعمال.

وقال رضي الله عنه: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم. وقال: إن أمكنك أن لاتكون آلة بيتك إلا خزفا، فافعل. وكذلك كانت آلة بيته.

وقال رحمه الله تعالى: لو أقبل صادق على الله تعالى ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله. وقال: من لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث لايقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وماأخرج الله علما إلى الأرض، وجعل للخلق إليه سبيلا، إلا وجعل لي فيه حظا. نقل عنه النووي في الروضة قبيل الصيام: أن أخذ صدقة التطوع أفضل من صدقة الفرض. وكان كل يوم يدخل حانوته، ويسبل الستر، ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يعود إلى بيته. وختم القرآن عند موته، ثم ابتدأ من البقرة وقرأ سبعين آية، ثم مات رحمه الله تعالى ونفع الله به.

وقال رحمه الله: الغفلة عن الله أشد من دخول النار. وقال: حاجة العارفين إلى كلاءة الله ورعايته. وقال: الوقت إذا فات لايستدرك، وليس شيء أعز من الوقت. وقال: فتح كل باب شريف بذل المجهود. وقال: لاتقوم بما عليك، إلا بترك مالك، وأكثر الناس علما بالآفات، أكثرهم آفات. وقال: مشى رجال باليقين على الماء، ومات على العطش، أفضل منهم يقينا. وقال: من عرف الله لايُسَرُّ إلا به. وقيل له: على مايتأسف المحب من أوقاته؟ قال: على زمان بسط أورث قبضا، وزمان أنس أورث وحشة.

وقال نفع الله به وبعلومه: إن الله يخلص إلى القلوب من بره على

حسب مايخلص للقلوب إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك، وقال: التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: ومن أشار إلى الله والتفت إلى غيره، ابتلاه بالمحن، وحجب ذكره عن قلبه، وأجراه على لسانه، فان انتبه وانقطع إلى الله وحده، كشف عنه المحن، وإن دام على السكون إلى غيره، نزع من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبسه لباس الطمع فيهم، فتزداد مطلبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته عجزا، وموته كمدا، وآخرته أسفا، نعوذ بالله من الركون إلى غير الله.

وقال: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة. وقال: المريد الصادق غني عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خيرا، أوقعه الله في الصوفية، ومنعه صحبة القراء. وقال: التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة. التصوف عنوة لاصلح فيها، هم أهل بيت لايدخل معهم غيرهم، والتوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدوث، والخروج عن الأوطان، وقطع المحاب، وترك ماعلم وجهل، وأن يكون الحق مكان الجميع.

وقال: علم التوحيد قد طُوِيَ بساطه منذ عشرين سنة، والناس يتكلمون في حواشيه، ومبنى النصوف على السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة، والعزلة، ولبس الصوف، والسياحة، والفقر، وذلك أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولاتصفو القلوب لعلم الآخرة إلا إذا تجردت من الدنيا، فاعمل في ابتداء أمرك على إخراج حب الدنيا من قلبك، واحذر أن لايبقى عليك منها دقيق هوى كامن فيك، فيوقفك ذلك عن النفاد والترقي، ومارأيت أحدا عظم الدنيا، فقَرَّتْ عينه فيها أبدا. ومن فتح على نفسه باب نية حسنة، فتح الله عليه سبعين بابا من التوفيق، وعكسه بعكسه.

وقال نفع الله به: الحكايات جند من جنود الله، يقوي بها قلوب

المريدين. قيل له: هل في ذلك من شاهد؟ قال: نعم، قوله تعالى: [وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك]، أشار إلى أن الحكايات في أحوال أهل الطريقة، يقوي الله بها قلوب أهل الإرادة.

ولما حضرته الوفاة، دخل عليه الجريري، فقال له: ألك حاجة؟ فقال: نعم، إذا مت فغسلني، وكفني، وصل علي. فبكى الجريري، وبكى الناس حوله، ثم قال الجنيد: وحاجة أخرى تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة إذا انصرفوا من الجنازة، حتى لايقع لهم تشتيت. فبكى الجريري، وقال: والله لئن فقدنا هاتين العينين، مااجتمع منا اثنان. فكان الأمر كذلك بعد موت الجنيد، حتى كان رجل مصاب في خربة حوله، قال للجريري بعد موت الجنيد: أتُراني أرجع إلى تلك الخربة، وقد فقدت ذلك السيد. ثم أنشأ يقول شعرا رضي الله عنه آمين:

وأسفى من فراق قوم	هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي	والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي	حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب	وكل ماء لنا عيون

ثم غاب، فكان آخر العهد به، نفع الله بهم آمين.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه وأرضاه:

[والحافيّ المدعو ببشر حبذا ... من زاهد متبتل مستجمع]

أي، جامع للفضائل من الزهد، والعبادة، والخوف، وغيرها من مقامات الدين، فهو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، العالم الورع، المتقشف الزاهد، الكبير الشأن. أوحد وقته علما وحالا. أصله من مرو، وسكن بغداد، ومات بها عاشر المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين. صحبه الفضيل بن عياض.

مر رضي الله عنه ببعض الناس، فقالوا: هذا رجل لاينام الليل، ولايفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة. فبكى بشر، فقيل له في ذلك، فقال: إني لاأذكر أني سهرت ليلة كاملة، ولاأني صمت يوما، ثم لم أفطر من ليلته. ولكن الله سبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثر مما يفعله العبد، لطفا منه سبحانه وكرما.

ثم ذكر بشر ابتداء أمره، وسبب توبته، أنه أصاب في الطريق كاغدة، مكتوب عليها اسم الله تعالى، قد وطئتها الأقدام، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية، فطيب بها الكاغدة، وجعلها في شق حائط، فرأى فيما يرى النائم، كأن قائلا قال له: يابشر! طيبت اسمي، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة.

وقال رحمه الله تعالى ونفع به: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يابشر! أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا، يارسول الله. قال: باتباعك لسنتي، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي، هذا هو الذي بلغك منازل الأبرار.

قال ابن الجلاّ: رأيت ذاالنون، وكانت له العبارة، ورأيت سهلا، وكانت له الإشارة، ورأيت بشر بن الحارث، وكان له الورع، فقيل له: إلى من كنت تميل؟ فقال: إلى بشر بن الحارث، أستاذنا.

قال بشر نفع الله به: إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة، ماصفا لي ثمنه، وقيل له: بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال: أذكر العافية، فأجعلها إداما. واشتهى رحمه الله الباقلا سنين، فلم يأكله، فرؤي بعد وفاته، فقيل له: مافعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وقال: كل يامن لم يأكل، واشرب يامن لم يشرب. ورؤي أيضا، فقيل له: مافعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأباحني نصف الجنة، وقال لي: يابشر! لو سجدت لي على الجمر، ماأديت شكر ماجعلته لك في قلوب عبادي.

ومن كلامه: لايجد حلاوة الآخرة. رجل أحب أن يعرفه الناس. وقال: الحلال لايحتمل السرف، والنظر إلى الأحمق سخنة عين، والنظر إلى البخيل يقسي القلب، والدعاء ترك الذنوب، ولاتجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد، ولاتكون كاملا حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فيك خير وأنت لايأمنك صديقك؟

وأوحى الله إلى داود عليه السلام: أني لم أخلق الشهوات إلا للضعفاء من عبادي، أما الأبطال فمالهم ولها. وأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه الصلاة السلام: اغضب لي أشد مما تغضب لنفسك. وقال بشر أيضا: من لم يحتمل الغم والأذى، لم يقدر أن يدخل فيما يحب، وعقوبة العالم حبه للدنيا، ولم أر شيئا أفضح لهذا العبد من بطنه، ولاتجالس إلا من يعينك على آخرتك، وإذا لم تطع فلاتعص، وحبك لمعرفة الناس رأس حب الدنيا، بحسبك أن قوما موتى تحيي القلوب بذكرهم، وأن قوما أحياء تقسو القلوب بذكرهم.

وقال بشر:

موت التقي حياة لانفادلها قد مات قوم وهم في الأرض أحياء

وكان يتمثل ببيتي محمود الوراق رحمه الله تعالى، ونفعنا بهما وجميع المسلمين آمين:

مكرم الدنيا مهانٌ مستذل في القيامه
والذي هانت عليهِ فله ثم الكرامه

وقال أيضا رحمه الله:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يُزيّن بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور

وسُمع أيضا رحمه الله تعالى يقول شعرا:

أقسم بـالله لـرضـح النـوى	وشـرب مـاء القُلُب المـالحـة
أعـز لـلإنسـان من حـرصـه	ومن سؤال الأوجـه الكـالحـة
فـاستغـن بـالله تكـن ذا غنى	مغتبـطا بـالصفقـة الـرابحـة
اليـأس عـز والتقـى سؤدد	ورغبـة النفس لهـا فـاضحـة
من كـانت الـدنيـا بـه بـرة	فـإنها يـومـا لـه ذابحـة

وقال: ماأقبح أن يطلب العالم، فيقال: هو بباب الأمير. وقال يوم ماتت أخته: إن العبد إذا قصر في طاعة الله، سلبه الله تعالى من يؤنسه. وقال: لايجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس. وقال: دخلت داري يوما، فوجدت رجلا جالسا فيه، فقلت له: كيف دخلت داري بغير إذني؟ فقال: أنا أخوك الخضر. فقلت: ادع الله لي. فقال: هون الله عليك طاعته. فقلت: زدني. فقال: وسترها عليك. وفي رواية أخرى كهذه. فقلت له: علمني شيئا أنتفع به. فقال: قل أستغفر الله عز وجل، وأسأله التوبة من كل سبب تبت منه. ثم رجعت إليه، وأستغفر الله عز وجل، وأسأله التوبة من كل عقد عقدته لله على نفسي، ففسخته ولم أوف به، وأستغفر الله عز وجل، وأسأله التوبة من كل نعمة أنعم بها علي طول عمري، واستعنت بها على معصيته، وأسأله الحفظ والحمية من ذلك.

وقال رضي الله عنه: الفقراء ثلاثة. فقير لايسأل، وإن أعطي لايأخذ، فذاك من الروحانيين. وفقير لايسأل، وإن أعطي أخذ، فذاك من أوسط القوم. وفقير إعتقد الصبر ومدافعة الوقت، فإذا طرقته الحاجة، خرج إلى عبيدالله، وقلبه إلى الله بالسؤال، فكفارة مسألته صدقه في السؤال. وكان يقول: ياطالب العلم، إنما أنت متلذذ متفكه بالعلم، تسمع وتحكي لاغير، لو عملت بما علمت لتجرعت مرارة العلم، ويحك، إنما يراد بالعلم العمل، فاسمع ياأخي وتعلم ثم اعمل،

واهرب، فإن طلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا لا على طلبها. وكان يقول: إني لأُجِلّ الله أن أذكره عند من لايعرفه ولايتعرفه.

وقال رحمه الله: لاتؤثر على حذف العلائق شيئا، فإني لو أجبت نفسي إلى ماتشتهي من المطعم والملبس، لخفت أن أكون مكاسا أو شرطيا. قيل له: لم لاتتزوج، وتخرج عن مخالفة السنة، فقال: إني مشغول بالفرض عن السنة، يعني بالفرض مجاهدة النفس وتصفيتها عن الأخلاق الرديئة، وقال: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، وعكسه بعكسه، ولايسأل الله عبدا قط، لم حسنت ظنك بعبادي؟

وقال في مرض موته: إلهي، رفعتني فوق قدري، ونوهت باسمي، وشهرتني بين الناس، فأسألك بوجهك الكريم أن لاتفضحني غدا يوم القيامة. وقال: غنيمة الفقير في هذا الزمان غفلة الناس عنه، وإخفاء مكانه عنهم، فإن لقاء غالب الناس خسران، ولايفلح فقير يقول: بأي شيء آكل الخبز. وسكون النفس إلى المدح أشد عليها من ذل المعصية. ولايضر الثناء على من عرف نفسه. وقال: كان العلماء موصوفين بثلاثة أوصاف: صدق اللسان، وطيب المطعم، وكثرة الزهد في الدنيا. وقال بشر: أربعة رفعهم الله تعالى بطيب المطعم: وهيب بن الوردي، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسليمان الخواص.

وأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به:

[والتستري أبي محمد سهلهم العالم المتحقق المتضلع]

فهو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري. هو أحد أئمة القوم، وأكابر علمائهم المتكلمين في علوم الأخلاق، والرياضات، وعيوب الأفعال. وله الكرامات الظاهرة، ولم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع. صحب خاله محمد بن سوار، ولقي ذاالنون المصري عند خروجه إلى مكة في سنة ثلاث وسبعين

ومائتين. وتوفي سنة ثلاث وثمانين، وقيل وسبعين ومائتين عن نحو من ثمانين سنة.

قال سهل رحمه الله تعالى: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار. وكان يقوم الليل فربما كان يقول: ياسهل! اذهب فنم، فقد شغلت قلبي. وقال لي يوما: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك لسانك: الله معي، الله ناظري، الله شاهدي. فقلت ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته، فقال: قل كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة أحد عشر مرة، فوقع في قلبي حلاوة، فلما كان بعد سنة، قال لي: احفظ ماعلمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري.

ثم قال لي خالي يوما: ياسهل! من كان الله معه، وهو ناظر إليه وشاهده، كيف يعصيه. إياك والمعصية! فحفظت القرآن وأنا ابن ست، أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة. فسألت علماء البصرة فلم يشف أحد عني شيئا، فخرجت إلى عبادان، إلى رجل يعرف بأبي حبيب، فأجابني عنها، فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه، وأتأدب بآدابه، ثم رجعت إلى تستر، فيشتري لي بدرهم الفرق من الشعير، فيطحن، ويخبز، فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية بحتا بغير ملح ولاإدام، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة. ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال، ثم خمسا، ثم سبعا، ثم عشرا، ثم خمس عشرة، ثم عشرين، ثم خمسا وعشرين ليلة، وكنت عليه عشرين سنة. ثم خرجت أسيح في الأرض سنين، وكنت أقوم الليل كله.

وقوله: بحتا، أي خالصا كما فسره بقوله بغير ملح ولاإدام، يقال

خبز بحت، وماء قراح، وأعرابي قح، ودم عبيط، وخمر صراح، أي خالص. وقوله: وقعت لي مسألة، وذكر بعضهم أن المسألة هل للقلب سجود؟ وأن جواب أبي حبيب له، لما قال له: أيسجد القلب، قال: إلى الأبد، يعني إذا حصل سجود القلب لايرفع رأسه أبدا من سجدته، وهو ثباته على تلك القدم، وإن تقلبت أحواله، وكم ولي كبير، ماحصل له سجود القلب، بل ولا علم أن للقلب سجودا . . . . انتهى.

ومن كلامه رضي الله عنه: يلزم الصوفي ثلاثة أشياء: حفظ سره، وصيانة فقره، وأداء فرضه. ومنه: الله قبلة النية، والنية قبلة القلب، والقلب قبلة البدن، والبدن قبلة الجوارح، والجوارح قبلة الدنيا.

وقال نفع الله به: أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء برسول الله، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق. وقال: لقد أيس العلماء في زماننا هذا عن هذه الثلاث الخصال: ملازمة التوبة، ومتابعة السنة، وترك أذى الخلق. وقال: من أخلاق الصديقين أن لايحلفوا بالله، لاصادقين ولاكاذبين، ولايغتابون، ولايغتاب عندهم، ولايشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا. وقال: فتنة العامة دخلت عليهم من ضياع العلم، وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات، وفتنة العارفين من تأخير الحق الواجب، وأيما قلب فيه سوى الله تعالى، فالشيطان مسلط عليه، وكل من لم يؤثر الله على نفسه ودنياه، فهو جاهل. وأدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخره أن تقف عند الشبهة، ولايستحق الرئاسة إلا من صرف جهله عن الناس، وحمل جهلهم، وترك مافي أيديهم، وبذل مافي يده، ومن أحب أن يطلع الناس على مابينه وبين الله، فهو غافل، وعيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء في العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس في الأكل والشرب، والضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم.

وسئل عن الولي، فقال: الذي توالت أفعاله في الموافقة. وقال: مخالطة الولي للناس ذل، وتفرده عنهم عز. وقلما رأيت وليا إلا منفردا، وإياكم و معاداة من شهره الله بالولاية. طوبى لمن تَعَرَّفَ بالأولياء، فإن معرفتهم يستدرك بها مافاته من الطاعات، أو يشفعون له عند الله، لأنهم أهل فتوة، ومن لم يكن مطعمه من الحلال، لم يكشف عن قلبه حجاب، وتسارعت إليه العقوبات، ولاتنفعه صلاته، ولاصيامه، ولاصدقته. وإنما حجب الخلق عن الملكوت بسوء المطعم. وحياة القلوب التي تموت بذكر الحي الذي لايموت. ومن كمل إيمانه لم يخف من شيء سوى الله. وخيار الناس العلماء الخائفون، وخيار الخائفين المخلصون الذي اتصل إخلاصهم بالموت.

وقال رضي الله عنه: قسمت عقلي، ومعرفتي، وقوتي على سبعة أجزاء: فأترك الأكل حتى تذهب منها ست، ويبقى جزء، فإذا خفت أن يذهب، وتتلف معه نفسي، أكلت بقدر البُلغة، خوفا أن أكون أعنت على نفسي. فبهذا صح لي أن آكل الحلال دائما، فأنا في ذلك حجة الله على أهل زماني. . . . انتهى بمعناه أو قريب منه.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[وأبي المحاسبة الذي يعزى لها نعم الولي وبالرعاية قد رعي]

سمي المحاسبي لكثرة محاسبة نفسه، فلهذا كناه سيدنا الناظم بها، كما يقال أبوالجود وأخوالكرم. لهذا قال: [التي يعزى لها] ونعم الولي، كلمة مدح مستعملة كثيرا عكس بئس، أطال النحاة الكلام عليها. وقوله: [بالرعاية قد رعي]، الرعاية كتاب للشيخ المذكور، عظيم في السلوك، يقال للشيخ: صاحب الرعاية إذا ذكر، ولاشك أنه برعاية الله سبحانه وتعالى قد رعي، وبعين عنايته قد حظي. وكذلك برعايته لنفسه، وأحواله في رضا مولاه، جوزي برعاية الله له، وهدايته إياه

طريق الحق، من باب [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين]. ويدل على فضيلة محاسبة النفس، بل وجوبها قوله تعالى: [ياأيها الذين آمنوا اتقواالله، ولتنظر نفس ماقدمت لغد]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: [حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا]. وفي الحديث: [إذا هممت بأمر، فتدبر عاقبته].

ثم إن المشار إليه في هذا البيت، هو الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي. أوحد زمانه علما، وورعا، ومعاملة، وحالا، من أكابر العلماء، وأفاضل مشايخ القوم في العلوم الظاهرة، وعلوم الأصول، والمعاملات. له التصانيف المشهورة، وهو أستاذ أكثر البغداديين، بل إمام المسلمين في الفقه، والتصوف، والحديث، والكلام. وتصانيفه أصول لمن يصنف في هذه العلوم.

قال إمامنا، حجة الإسلام، في [الإحياء]، في كتاب ذم البخل والمال: والمحاسبي من خير هذه الأمة في علوم المعاملة. وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس، إلى آخر ماقاله. أصله من البصرة، ومات ببغداد، سنة ثلاث وأربعين ومائتين رضي الله عنه. وهو محتاج إلى درهم، وخلف أبوه ضياعا وعقارا، فلم يأخذ منه شيئا. قيل إن أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئا، وقال: صحت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لايتوارث أهل ملتين. وميراثه منه سبعون ألف درهم. وكان إذا مد يده إلى شبهة تحرك على إصبعه عرق، فيمتنع من الأكل.

قال الإمام ابن خفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا؛ الحارث بن أسد، المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبي محمد رويم، وأبي العباس بن عطا، وعمر بن عثمان المكي، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق. وعن الجنيد قال: مر بي الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: ياعم، تدخل الدار، فدخل. وكان في البيت شيء من طعام عرس حمل

إلينا، فقدمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم قام وألقاها في الدهليز، وقال: أردت أُسِرُّكَ، ولكن بيني وبين الله علامة أن لايسوغني طعاما فيه شبهة، فلم يمكنني ابتلاعه. ثم دخل ثانيا، وقدمت إليه كسرا كانت لنا، فأكل، وقال: إذا قدمت لفقير شيئا، فقدم إليه مثل هذا... انتهى.

فانظر إلى حفظ الله له ورعايته، كما ذكرنا آنفا، مماقد يشير كلام سيدنا الناظم إليه من قوله: [وبالرعاية قد رعي].

ومن كلامه نفع الله به: من صح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين الله تعالى ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة... انتهى.

وهذا من باب قوله تعالى: [والذين جاهدوا فينا]، والمراقبة، على وجه من وجوهها، من مقامات المحاسبة، كما ذكره في الإحياء، في كتاب المحاسبة من المنجيات.

ومن كلامه رحمه الله: أول بلية للعبد تعطيل القلب من ذكر الآخرة، وحينئذ تحدث الغفلة في القلب. وأنشدوا بين يديه مرة:

أنا في الغربة أبكي ... مابكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي ... عن مكان بمصيب
عجبا لي ولتركي ... وطنا فيه حبيبي

فقام وتواجد حتى رق له كل من حضر.

وسئل عن المتوكل، هل يلحقه طمع من طريق الطباع؟ فقال: خطرات لاتضره شيئا. وكلامه رضي الله عنه في العلوم والرياضات، وغير ذلك كثير، نقل منه في إحياء علوم الدين نحو سبع ورق، في محل واحد، في كتاب ذم البخل والمال، من ربع المهلكات.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[ومؤلف القوت الذي انتفع النهى ... بكتابه أحسن به من لوذعي]

المؤلف الذي يجمع بين أصناف العلوم، ويؤلفها في محل. وكتاب القوت، هو قوت القلوب المشهور، وهو كتاب عظيم جليل، غاية في فنه، كان الإمام شهاب الدين السهروردي، صاحب العوارف، يسميه ديوان الإسلام. وكان الإمام أبوالحسن الشاذلي يقول: قوت القلوب فيه النور، والإحياء فيه العلم.

وقوله: [الذي انتفع النهى به] أي أهل النهي وذوو العقول، بحذف المضاف، والنهى جمع نهية، وهي العقل. أشار بذلك نفع الله به إلى انتفاع الإمام، حجة الإسلام الغزالي، بقوت القلوب المذكور، كما شافهني بذلك شيخنا الناظم عند قراءة القصيدة العينية هذه عليه، وفيما كتب إلي من قوله: ومما يذكر في ترجمة سيدنا الشيخ عبد الله بن أحمد بن عيسى، أنه قرأ على أبي طالب بمكة كتابه قوت القلوب. وأن الإمام الغزالي انتفع بذلك الكتاب انتفاعا كثيرا، ونقل منه في الإحياء في مواضع كثيرة بعزو، وبدونه. وإلى ذلك الإشارة الواقعة في القصيدة العينية بقولنا: [ومؤلف القوت الذي انتفع النهى] . . . . . إلى آخره، انتهى ماكتبه إلي.

فأما مؤلف القوت المذكور، فهو شيخ الإسلام، قدوة الأولياء الكرام، العالم الكبير الرباني المحقق، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، الواعظ المكي. كان صالحا مجتهدا في العبادة. وله مصنفات في التوحيد. وكان يستعمل الرياضة كثيرا، قيل أنه هجر الطعام زمانا، واقتصر على أكل الحشائش والبقول المباحة، حتى اخضر جلده من كثرة تناولها. ولقي جماعة من المشائخ في علم الحديث، وعلم الطريقة. وأخذ عنهم، ولم يكن من أهل مكة. وإنما كان من أهل الجبل، وسكن مكة، ودخل البصرة بعد وفاة ابن سالم البصري. وأقام ببغداد، فوعظ الناس. وتوفي في جمادى الآخرة، سنة ست وثمانين وثلاثمائة. ودفن قريبا من جامع الرُّصافة. شرقي بغداد.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه آمين:

[وتلاه من بعث الرسالة ناصحا للقوم من أهل الجناب الأرفع]

أي تلا أبا طالب المكي من بعث الرسالة، أي نشرها، وأثارها، وأرسلها، وأظهرها حال كونه ناصحا، في نيته وفعله للقوم الكرام الصوفية، ومن أراد سلوك طريقهم، وهو الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري، أحد العلماء الأعلام في الشريعة والحقيقة. أخذ الطريقة عن الأستاذ أبي علي الحسن بن علي الدقاق، والإمام أبي عبد الرحمن السلمي. ودرس الفقه على أبي بكر الطوسي، والكلام على أبي بكر بن فُورَك، وأبي إسحاق الإسفرائني، وبرع في ذلك، وعقد لنفسه الإملاء في الحديث، وتفرد في زمنه بمجالس الوعظ والتذكير. وله في الفروسية، واستعمال السلاح الباع الطويل. أصله من ناحية استواء، توفي أبوه وهو صغير، فتعلم الأدب، وحضر مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق، فلما سمع كلامه أعجبه، ووقع في قلبه، فسلك طريق الإرادة، فقبله الدقاق، وأقبل عليه، وجذبه بهمته، وأشار عليه بالاشتغال بالعلم، فطلبه على ماذكرنا آنفا من العلماء. وهو مع ذلك يحضر مجلس الدقاق، وزوجه ابنته مع كثرة أقاربها. وكانت صالحة من أهل العلم. ثم سلك مسلك المجاهدة والتجريد، وأخذ في التصنيف، فصنف التفسير الكبير، المسمى بالتيسير في علم التفسير، من أجود التفاسير، وصنف الرسالة في رجال الطريقة، وخرج إلى الحج في رفقة الإمام أبي محمد الجويني، والإمام الحافظ أحمد البيهقي، وجماعة. وسمع منهم الحديث ببغداد والحجاز. قال ابن السمعاني: لم يـر أبو القاسم مثل نفسه، في كماله وبراعته.

ولد رضي الله عنه في ربيع الأول، سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وتوفي في ربيع الآخر، سنة خمس وستين وأربعمائة، عن تسع وثمانين

سنة. ودفن إلى جنب أستاذه أبي علي بالمدرسة. أدرك الإمام الغزالي من حياته خمس عشرة سنة، لأن ولادة الغزالي في سنة خمسين وأربعمائة، كما أن القشيري أدرك من حياة أبي طالب المكي عشر سنين، لأن وفاة أبي طالب سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وولادة القشيري سنة ست وسبعين وثلاثمائة، فليتأمل.

ومناقب القشيري أشهر من أن تشهر. وكلامه في العلوم والمعارف معروف في السطور والصدور، كالإمام أبي طالب، فلم ننقل ذلك عنهما هنا. وقد نقلت من رسالته غالب ماأذكره في أحوال المشائخ المذكورين في هذه القصيدة التي علقت عليها هذا التنبيه. وسيجيء النقل عنها، وعن قوت القلوب، عند التنبيه على كلمات الوصية آخر القصيدة.

وقول سيدنا الناظم نفعنا الله به:

[والحجة الحبر الذي باهى به		أهل النبوة خير كل مشفع]

خير فاعل باهى به، هو نبينا سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخير الخلائق أجمعين، محمد رسول الله، رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، والتابعين لهم بإحسان، وعلينا معهم أجمعين. وأهل النبوة منصوب اللام مفعوله، لأنه عليه السلام باهى بالغزالي نبي الله موسى، ونبي الله عيسى عليهما الصلاة السلام في رؤيا حق، من إمام قطب، هو السيد الجليل، الشيخ أبو الحسن الشاذلي، رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام: أفي أمتكما حبر كهذا؟ فقالا: لا. ولهذا وصفه الناظم بالحبر، كما قد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا المذكورة.

فالغزالي وهو الإمام حجة الإسلام، عالم العلماء الأعلام، وارث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حسنة الدهور والأعوام، زين الملة والدين، مجدد طريقة سيد المرسلين، مقتدى الأمة أجمعين، أبو حامد

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، النيسابوري، رحمه الله تعالى، حظي من الله في جميع أحواله، من حسن التصانيف وجودتها، وجزالة العبارة وسهولتها، وحسن الإشارة، وكشف المعضلات، ومن التبحر في جميع العلوم، ورسوخ القدم فيها، مع ماخصه الله سبحانه وتعالى به من حسن السيرة، وطهارة السريرة، وكمال الاستقامة، وحقيقة الزهد، والعزوف عن الدنيا، والإعراض عن جاهاتها، مع تيسيرها وإطراح حَشَمِها، ومن عُلُوِّ المراقي العرفانية، والتغلغل في العلوم الحقانية، والإشراف على غايات الغايات من العلوم العقلية، والمذاهب المختلفة، الفاسدة والحقيقية.

ولد رضي الله عنه ونفع به وبعلومه بطوس، سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة النبوية. وابتدأ بها مع صباه في طلب العلم، ثم قدم نيسابور، ولازم دروس إمام الحرمين، وجد واجتهد، حتى تخرج في مدة قريبة، وصار أوحد زمانه، وجلس للإقراء، وإرشاد الطلبة، في أيام شيخه الإمام. وكان يتبجح به، ووقع له اتفاقات حسنة في مناظرات العلماء. ودرس في النظامية، المدرسة المعروفة ببغداد، وصار إمام العراق، بعد أن حاز إمامة خراسان. وارتفعت منزلته على أكابر الوقت، ثم ترك بغداد، وخرج عما كان فيه من الجاه، واشتغل بحقائق التقوى، وسلوك الطريقة. وأخذ في التصانيف العظيمة، التي لم يسبق إليها، مثل الإحياء، وسار إلى المقدس مقبلا على مجاهدات النفس، ثم عاد إلى طوس مقبلا على نصح العباد وإرشاد الخلق. ولم يذكر له رضي الله عنه شيخ خاص في الطريقة، لكنه اجتمع بجماعة من أهلها، أشار إلى شيء من ذلك في كتابه [المقصد الأسنى]. وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف.

قال بعضهم: وُزِّعَتْ تصانيفه على أيام عمره، فبلغ كل يوم كراس. وعن الإمام النووي عن بعض شيوخه المعتمدين، قال: وزعت

تصانيف الإمام الغزالي على أيام عمره، فخص كل يوم منها أربعة كراريس. هكذا سمعت شيخنا الناظم. ومن تأمل تصانيفه رحمه الله، عرف مكانه من العلم، وعلو درجته في الدين، ولهذا قال بعضهم: لو بعث الله نبيا بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لبعث الإمام الغزالي، ولكانت معجزته في كتبه. والمراد لو جاز ذلك، ولكنه غير جائز. وإنما هو من باب التقدير، كقوله تعالى: [ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه]. وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة. فكان على رأس المائة الخامسة الإمام حجة الإسلام، كما قاله جماعة من العلماء الأكابر، منهم الإمام ابن عساكر. ولم يختلف النقل في الإمام الغزالي فيما علمنا أنه المجدد في ذلك الوقت.

وعن الإمام أحمد بن حنبل: أن على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز الخليفة، وعلى رأس المائة الثانية الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وكذا ذكر ذلك غيره. وذكروا على رأس المائة الثالثة أباالحسن الأشعري، والرابعة، أبابكر الباقلاني، وفي ذلك خلاف. وذكروا أيضا باقي السنين، وذكر ذلك سيدنا وشيخنا الناظم في كتابه [الدعوة التامة] وبسط بعض بسط، ولاشك ولاارتياب أنه، أعني شيخنا عبد الله بن علوي الحداد علوي، مجدد الدين، ومحيي الإيمان في قلوب المسلمين، بإذن رب العالمين، والله بكل شيء عليم.

وسمعته، أعني شيخنا، يقول: كان رجل يخطي على الإمام الغزالي، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: أنت تتكلم على الغزالي لأنه أحيى سنتي؟ وضربه بنعل، فثار جذاما.

وكان سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي يقول لأصحابه: من كانت له إلى الله حاجة، فليتوسل بالغزالي.

وروى الإمام اليافعي بإسناده، عن الشيخ الكبير أحمد الصياد، اليمني الزبيدي، وهو معاصر للغزالي، قال: بينما أنا يوما قاعد، أنظر إلى أبواب السماء مفتحة، وعصبة من الملائكة نزلوا، ومعهم خلع خضر، ومركوب نفيس، وقفوا على قبر، وأخرجوا صاحبه وألبسوه، وأركبوه، وصعدوا به من سماء إلى سماء، حتى جاوز السبع السموات، وخرق الحجب، ولاأعلم إلى أين بلغ انتهاءه. فسألت عنه، فقيل: هذا الإمام الغزالي. . . . انتهى.

وذكروا أن حجة الإسلام أقام في القطبية ثلاثة أيام.

ومن مصنفات سيدنا الإمام الغزالي، البسيط، والوسيط، والوجيز، والخلاصة في الفقه. وقد رأيتهن، وطالعت فيهن بحمد الله تعالى.

ومن كتبه: [معيار العلم]، و[ميزان العمل]، و[المنقذ من الضلال]، و[القسطاس المستقيم في الرد على أهل التعليم]، و[مشكاة الأنوار]، و[المقصد الأسنى بشرح أسماء الله الحسنى]، و[كتاب إلجام العوام عن علم الكلام]، و[منهاج العابدين]، و[بداية الهداية]، و[الدرة الفاخرة]، و[جواهر القرآن]، و[الأربعين الأصل]، و[فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة]، و[كيمياء السعادة]، و[نصيحة الملوك]، و[الاقتصاد في الاعتقاد]، و[الرسالة اللدنية]، وكتاب في الرد على بعض المنكرين لبعض ألفاظ من إحياء علوم الدين. وكل هذه الكتب قد وقفت عليهن بحمد الله.

ومن كتبه: [كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة]، و[المبادى والغايات]، و[تلبيس إبليس]، و[شفاء الغليل في القياس والتعليل]، و[كتاب المقاصد والانتصار]، و[المأخذ]، و[القول الجميل]، و[المستظهري]، و[الأماني]، و[مقصد الخلاف]، و[كتاب في الوقف وحدوده]، و[كتاب في خواص القرآن]، و[حقيقة القولين]،

و[المستصفى]، و[المنحول والمتحل في علم الجدل]، و[تهافت الفلاسفة]، و[محل النظر، والمضنون به]، و[ياقوت التنزيل - أربعين مجلدا]، و[أسرار علم الدين والقربة]، و[الأنيس في الوحدة]، و[أخلاق الأبرار]، وغير ذلك. و[إحياء علوم الدين]، المشار إليه بقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[وبوضعه الإحياء فاق فيا له   من فائق وكمثله لم يوضع]

[فالإحياء] منصوب بوضعه، وفي ذلك إشارة معنوية، وعبارة نحوية، هي أن المصدر يعمل عمل فعله عند أهل فن الإعراب. [وبوضعه] جار ومجرور، ومضاف ومضاف إليه، والإحياء مفعول به، فاعله وضعه الذي هو مضاف ومضاف إليه، والوضع مصدر وضع، يضع، والضمير عائد إلى الغزالي. ومن الإشارة فيه أن الإحياء للقلوب منصوب ظاهر، غير خاف، بوضع الغزالي الإحياء الذي هو الكتاب المشار به إلى الإحياء الذي هو مصدر أحيى، يحيي، كما ذكرنا آنفا في شيخنا الناظم، أن الله سبحانه وتعالى أحيى به الإيمان والإيقان، في قلوب أهل الغفلة من أهل الإسلام. والدليل عليه الشهود والعيان، والذوق والعرفان، الذي هو أوضح من كل برهان. والعجب ممن استعظم أمر من أحيى ميتا من قبره، وهو يرى كل وقت إحياء أموات الجهل والغفلة، من قبور جهلهم وغفلتهم، مع كونه أحيى نافعا عند الله المحيي المميت، لا إله إلا هو، يختص برحمته من يشاء من عباده.

وقوله [كمثله] أي كتاب إحياء علوم الدين، أي لم يوضع في الإسلام مثل إحياء علوم الدين. وقد قال ذلك بعض العلماء في كتاب الحلال والحرام منه.

قال شيخنا في كتابه [النصائح الدينية] بعد قوله قلت، وجميع الإحياء لم يؤلف في الإسلام مثله في فنه. كما يعرف ذلك ويتحققه من نظر

فيه وتأمله من أهل العلم والانصاف، يعني: إذا عرف ذلك من نفسه، فما بعد العيان بيان، كيف وقد أجازه وقرره الشارع الذي لاينطق عن الهوى، محمد صلى الله عليه وسلم في الواقعة الكشفية، للشيخ أبي الفتح جمال الحرم زين القراء، قال: دخلت المسجد الحرام فطرأ علي حال أخذني عن نفسي، فوقعت على جنبي الأيمن تجاه الكعبة المشرفة، وأنا على طهارة، وأنا أطرد النوم عن نفسي، فأخذتني سنة بين النوم واليقظة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في أكمل صورة، وأحسن زي، من القميص والعمامة، ورأيت الأئمة الأربعة: الشافعي، ومالكا، وأبا حنيفة، وأحمد، رحمهم الله، يعرضون عليه مذاهبهم، وهو يقررهم عليها، ثم أمر بطرد شخص من المبتدعة، فتقدمت إليه أنا، وقلت: يارسول الله، هذا الكتاب يعني الإحياء معتقدي، ومعتقد أهل السنة، فلو أذنت لي، فقرأته عليك، فأذن لي، فقرأت عليه من كتاب قواعد العقائد: بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب قواعد العقائد، وفيه أربعة فصول، حتى انتهيت إلى قوله: وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي، محمدا صلى الله عليه وسلم إلى كافة العرب، والعجم، والإنس، والجن. فرأيت البشاشة في وجهه، ثم التفت، وقال: أين الغزالي؟ وإذا هو به واقف بين يديه، فقال: هاأناذا، يارسول الله صلى الله عليك وسلم. ورد عليه السلام، وناوله يده المباركة، فأكب الغزالي عليها يقبلها، وما رأيت النبي أشد سرورا بقراءة أحد عليه، مثل ماكان بقراءتي عليه الإحياء، فانتبهت والدمع يجري من عيني، من تلك الأحوال والكرامات، . . . انتهى. بحذف يسير، ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر. والشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، وغيرهما.

وكذلك تصفحه صلى الله عليه وسلم الإحياء ورقة، ورقة، من أوله إلى آخره، في رؤيا الشيخ الإمام الكبير الفقيه، أبي الحسن ابن حرزهم. ثم قوله عليه السلام: إن هذا لشيء حسن ، ثم مناولته الإحياء لأبي بكر الصديق، ونظره فيه واستجادته له. وقوله: والذي

بعثك بالحق، إنه لشيء حسن. ثم مناولته لعمر الفاروق ونظره فيه، وقوله كذلك، كما رواه الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، عن الشيخ شهاب الدين ابن بنت الميلق الشاذلي، عن شيخه العارف بالله ياقوت العرشي الشاذلي، عن شيخه العارف بالله أبي العباس المرسي، عن شيخه العارف بالله أبي الحسن الشاذلي. وكان معاصرا لابن حرزهم. وسبب رؤياه أنه هم بإحراق الإحياء منكرا له، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر الصديق، وعمر، والإمام الغزالي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يشتكي ابن حرزهم، وناول النبي صلى الله عليه وسلم الإحياء، فتصفحه ورقة ورقة إلى آخر ماذكرناه. وفيها أنه عليه السلام أمر بتجريد ابن حرزهم من قميصه، وضربه، وحده حد المفتري. ثم بعد خمسة أسواط، تشفع فيه الصديق، ورضي عنه الغزالي، فاستيقظ وأثر الضرب في ظهره، وأعلم أصحابه، وتاب إلى الله تعالى، وبقي مدة متألما من الضرب. ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم مسح ظهره، فعوفي، ثم لازم مطالعة الإحياء، ونال المعرفة بالله تعالى. قال أبو الحسن الشاذلي: مات وأثر السياط ظاهر على ظهره.

وقال الإمام محي الدين النووي: كاد الإحياء أن يكون قرآنا. وقال الشيخ الكازروني: لو محيت جميع العلوم، لاستخرجت من الإحياء. وقال بعض المالكية: الناس في فضلة علوم الغزالي. وقال العراقي: المخرج أحاديث الإحياء هو من أجل كتب الإسلام. وقال الشيخ إسماعيل الحضرمي اليمني: الإمام الغزالي سيد المصنفين.

وأما تعظيم ساداتنا، السادة الأشراف الأكابر، آل أبي علوي، رضي الله عنهم ونفع بهم للإحياء، فكثير جدا. وكان سيدنا القطب الأوحد، تاج العارفين، وشيخ مشائخ أولياء الله المقربين، عبدالله العيدروس، يكاد يحفظه نقلا، ويحث عليه، وعلى التزام مطالعته، والعمل به، بقوله وفعله، ويقول: عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب

والسنة، أعني الشريعة المشروحة، في الكتب الغزالية، وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام الغزالي.

وقال نفع الله به: وبعد، فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة. وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين، وبقية المجتهدين، حجة الإسلام الغزالي، في كتابه العظيم الشأن، الملقب أعجوبة الزمان، إحياء علوم الدين، الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة. وهو موضع نظر الله، وموضع نظر رسول الله. فمن أحبه وطالعه، وعمل بما فيه، فقد استوجب محبة الله، ومحبة رسول الله، وملائكته، وأنبيائه، وأوليائه. وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة، وصار عالما في الملك والملكوت، ولو بعث الله الموتى، لما وصوا الأحياء، إلا بما في الإحياء.

واعلموا أن مطالعة الإحياء، تحضر القلب الغافل في لحظة، كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج والعفص والماء. وتأثيرها ظاهر مجرب عند كل مؤمن. وأجمع العلماء العارفون بالله تعالى، على أنه لاشيء أنفع للقلب، وأقرب إلى رضا الرب سبحانه، من متابعة الغزالي، ومحبة كتبه. وكتب الغزالي لباب الكتاب والسنة، ولباب المعقول والمنقول، والله وكيل على ماأقول. . . . انتهى.

ومن كلامه، أعني العيدروس: أنا أشهد سرا وعلانية، أن من طالع كتاب الإحياء، فهو من المهتدين. وقال: من أراد طريق الله، وطريق رسول الله، وطريق العارفين بالله، وطريق العلماء بالله، أهل الظاهر والباطن، فعليه بمطالعة كتب الغزالي، خصوصا إحياء علوم الدين، فهو البحر المحيط.

وقال رضي الله عنه: اشهدوا علي أن من وقع على كتب الغزالي، فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة.

ومن كلامه رضي الله عنه: من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما،

فعليه بمطالعة كتب الغزالي، وخصوصا البحر المحيط، إحياءه أعجوبة الزمان، إحياء علوم الدين، فيه جميع الأسرار، وبداية الهداية، فيه التقوى، والأربعين الأصل، فيه شرح الصراط المستقيم، ومنهاج العابدين، فيه الطريق إلى الله، وكتاب الخلاصة في الفقه، فيه النور.

ومن كلامه: السر كله في اتباع الكتاب والسنة، وهو اتباع الشريعة، والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين. بخ بخ لمن طالع الإحياء أو كتبه، أو سمعه، نطق معاني معنوي القرآن، ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلوب الرسل والأنبياء والعلماء، والملائكة، بل سر حقائق الكائنات والمعقولات، أن لاشيء أنفع وأقرب إلى رضا الله، كمتابعة الغزالي ومحبة كتبه، وهي قلب المنقول والمعقول. وأنفع يوم ينفخ إسرافيل في الصور، ويوم نقر في الناقور، والله وكيل على ماأقول. . . . . انتهى بحذف يسير جدا، لايخل إن شاء الله.

ولسيدنا وشيخنا عبد الله بن علوي الحداد باعلوي صاحب المنظومة:

بإحياء علوم الدين تحيى قلوبنا	ويكشف عنا غمنا وكروبنا
كتاب حوى العلم الذي هو نافع	مؤلفه أستاذنا وطبيبنا
كتاب حوى علم الكتاب وسنة	وماقاله أواهنا ومنيبنا
مواريث أسلاف لنا وأئمة	مضوا وعلى آثارهم مستجيبنا
إذا نشرت أعلامه وعلومه	وأبصرها علامنا ومصيبنا
تحقق أن العلم فيه بأسره	ولم يسترب في مثل هذا أريبنا
وقد أطنب الشيخ الإمام بوصفه	أبو المكرمات العيدروس حبيبنا
وكم غيره من عارف ومحقق	وحبر عليم والإله حسيبنا
وتمت وصلى الله في كل ساعة	على المصطفى الهادي شفيع ذنوبنا
[والشيخ محي الدين فرد زمانه	الجيلي المشهور زاكي المنبع]

أراد به سيد السادات، وإمام أهل الولايات، السيد الشريف، الشيخ القطب، الفرد الغوث، عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون، لقب به لأنه أدم اللون، ابن عبد الله المحض، ويلقب أيضا بالمَجِلّي من الإجلال. والمحض، أي الخالص في الشرف، ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد رضي الله عنه سنة سبعين وأربعمائة، أو إحدى وسبعين، بجيلان. ودخل بغداد، وهو ابن ثمان عشرة سنة، منسوب إلى جيل بكسر الجيم. ويقال أيضا جيلاني، منسوب أيضا إلى جده جيلان. وهو أبو عبد الله الصومعي، وهو من صلحاء جيلان وزهادهم. وكان به يعرف، لأنه يعني الشيخ عبد القادر سبطه، لأن أم الشيخ عبد القادر فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي، وهو من صلحاء جيلان وزهادهم. كان له أحوال عظيمة، وكرامات خارقة. وكذلك أم الخير أمة الخيار، فاطمة أم الشيخ عبد القادر، لها حظ من الخير والصلاح، ولها قدم في هذا الأمر. سمع منها كثيرا تقول: كان ولدي عبد القادر لا يرضع في نهار رمضان. وأخوه الشيخ أبو أحمد، سنه دون سنه. نشأ نشأة صالحة. ومات بجيلان شابا، وعمته أم محمد عائشة بنت عبد الله، لها كرامات ظاهرة، يستسقي بها أهل جيلان، وماتت بها.

وكان سيدنا الشيخ عبد القادر أدم اللون، نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية، طويلها، أسمر، مقرون الحاجبين. له صوت جهوري. وسبب تلقيبه بمحيي الدين، أنه كما قال: مر في بعض سياحاته بشخص مريض، متغير اللون، نحيف البدن، فقال له: أجلسني! فلما أجلسه الشيخ عبد القادر، نما جسده، وحسنت صورته، وصفا لونه، فقال: أتعرفني؟ أنا الدين، وكنت قد دثرت كما

رأيتني. وقد أحياني الله بك أنت محيي الدين. ثم لقيني رجل، فقال لي: ياسيدي محيي الدين، فلما قضيت الصلاة أُهْرِعَ الناس إلي يقبلون يدي، ويقولون: يامحيي الدين، وما دعيت به قبل.

وأما بداية أمره نفعنا الله به، فقال رضي الله عنه: مكثت خمسا وعشرين سنة متجردا، سائحا في براري العراق، وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء، ثم أستفتح القرآن، وأنا واقف على رجل واحدة، ويدي في وَتِدٍ مضروب في حائط، خوفا من النوم، حتى أنتهي إلى آخر القرآن في السحر. وكنت أمكث الثلاثة الأيام إلى الأربعين، ولاأجد ماأقتات به. وكان النوم يأتيني في صورة، فأصيح عليه، فيذهب، وتأتيني الدنيا، وزخارفها وشهواتها، في صور حسان وقبائح، فأصيح عليها، فتفر هاربة، وأقمت في برج إحدى عشرة سنة، وعاهدت الله فيه، أن لاأطعم طعاما حتى أُلَقَّمَ. ولاأشرب حتى أسقي، فبقيت فيه مدة أربعين يوما، ماآكل شيئا. ثم جاء رجل ومعه خبز وطعام، فوضعه بين يدي ومضى. فكادت نفسي تقع على الطعام، من شدة الجوع، فقلت: والله، لاأخلف ماعاهدت ربي عليه. فسمعت صارخا من بطني ينادي: الجوع! الجوع! فاجتاز بي الشيخ أبو سعيد المخزومي، فسمع الصارخ، فدخل علي، فقال: ماهذا؟ قلت: هذا قلق النفس، وأما الروح فساكنة إلى مولاها عز وجل. فقال: تعال إلى باب الأزج، ومضى وتركني، فقلت: ماأخرج إلا بأمر. فجاءني أبو العباس الخضر، فقال: قم، وانطلق إلى أبي سعيد، فجئته، فقال: ألم يكفك قولي حتى أمرك الخضر؟ ثم أدخلني داره، فوجدت طعاما مهيأ، فجلس يلقمني حتى شبعت، ثم ألبسني الخرقة بيده، ولازمت الاشتغال عليه. وكنت قبل ذلك في سياحتي، فأتاني شخص، مارأيته قبل، فقال لي: هل لك في الصحبة؟ قلت: نعم، قال؛ بشرط أن لاتخالفني، قلت: نعم، قال: اجلس هنا حتى آتيك. وغاب عني سنة. ثم عاد إلي، وأنا في

مكاني ذلك، فجلس عندي ساعة، ثم قام، وقال: لاتبرح حتى أعود، فغاب سنة أخرى، ثم عاد إلي وأنا في مكاني ذلك، فجلس عندي ساعة، وقال: لاتبرح، وغاب سنة ثالثة، ثم عاد ومعه خبز، فقال: أنا الخضر، وقد أمرت أن آكل معك. فأكلنا. ثم قال: قم، فادخل بغداد، فدخلنا جميعا، وقوتي في هذه السنين من المنبوذات. وفي رواية: وتأتيني طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله تعالى. وتأتيني الشياطين في صور مزعجات شتى، فيقويني الله عليهم، وتبرز نفسي في صورة، فتارة تتضرع إلي فيما تريده، وتارة تحاربني، فينصرني الله عليها، وأقمت زمانا في خرائب المدائن، آخذ نفسي بطريق المجاهدات، فسنة آكل المنبوذات، وسنة لاآكل، ولاأشرب، ولاأنام. واغتسلت ليلة أربعين مرة. ودخلت في ألف فن، وكنت أمشي حافيا في الشوك وغيره. وماهالني شيء إلا سلكته، وماغلبتني نفسي فيما تريده قط، ولاأعجبني شيء من زينة الدنيا قط، منذ كنت صغيرا. وجاءني مرة شخص، كريه المنظر، منتن الريح، وقال: أنا إبليس، أتيتك أخدمك. فقد أعييتني، وأعييت أتباعي، فقلت: اذهب! فأبى، فجاءته يد من فوقه، وضربت أم رأسه، فغاص في الأرض. ثم أتاني ثانيا، بيده شهاب نار، يقاتلني به، فأتاني رجل متلثم، راكب فرسا أشهب، وناولني سيفا، فنكص إبليس على عقبيه. ثم رأيته ثالثا جالسا بالبعد مني، وهو يبكي، ويحثو التراب على رأسه، ويقول: قد أيست منك، قلت: اخسأ يالعين! فإني لاأزال أحذر منك، فقال: هذا أشد علي. فكشف لي عن أشراك كثيرة، ومصائد حولي، فقلت: ماهذا؟ فقيل: أشراك الدنيا، فتوجهت في أمرها سنة، حتى انقطعت كلها. ثم كشف لي عن أسباب متصلة بي. فقلت: ماهذا؟ فقيل: أسباب الخلق. فتوجهت في أمرها سنة أخرى، فتقطعت كلها. ثم كشف لي عن باطني، فرأيته مُناطا بعلائق كثيرة، فقلت: ماهذا؟ فقيل: هذه إرادتك واختياراتك. فتوجهت في أمرها سنة أخرى، فتخلص قلبي، ثم كشف لي عن نفسي، فإذا أدواؤها باقية،

وهواها حي، وشيطانها مارد، فتوجهت في ذلك سنة أخرى، فبرئت الأدواء، ومات الهوى، وأسلم الشيطان. وماوصلت إلى مطلوبي بعد، فجئت إلى باب التوكل، لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة، فجزته. ثم باب الشكر، كذلك. ثم باب الغنى، كذلك. ثم باب المشاهدة، كذلك. ثم باب الفقر، فإذا هو خال، فدخلت منه، وفتح لي فيه الكنز الأكبر. وقال رضي الله عنه: والله ماأكلت حتى قيل لي كل، ولاشربت حتى قيل لي اشرب.

وكان الشيخ تاج العارفين أبو الوفا يوما، يتكلم على الناس فوق الكرسي، فدخل الشيخ عبد القادر إلى مجلسه، وهو يومئذ شاب، أول مادخل بغداد، فقطع الشيخ أبو الوفا كلامه، وأمر بإخراج الشيخ عبد القادر، فأخرج، فتكلم، فدخل الشيخ عبد القادر، فأمر بإخراجه ثانيا، ثم دخل، فاعتنقه الشيخ تاج العارفين، وقبل بين عينيه، وقال: قوموا لولي الله ياأهل بغداد، ماأردت إهانته، بل لتعرفوه. ثم قال: ياعبد القادر، الوقت الآن لنا، فيصير لك كل ديك، يصيح ويسكت، إلا ديكك، فإنه يصيح إلى يوم القيامة. وأعطاه سجادته وقميصه، ومِسْبَحَتَهُ وقصعته وعكازته، وقيل له: خذ عليه العهد، فقال: على جبينه داعي المخزومي، يعني أبا سعيد المبارك بن علي. ثم قال: ياعبد القادر، لك وقت، فإذا جاء، اذكر هذه الشيبة، ومسك على كريمته. وكانت سبحته إذا وضعها الشيخ عبد القادر على الأرض، تدور حبة حبة، وأخذها بعده الشيخ علي بن الهيتي، ثم الشيخ محمد بن قائد.

وقال الشيخ حماد الدباس: رأيت على رأس الشيخ عبد القادر علمين، وقد نصبا من البهموت الأسفل، إلى الملكوت الأعلى، يعني حال شبابه. وسمعت الشاوْش يصيح له في الأفق بألقاب الصديقين. وتفقه سيدنا الشيخ عبد القادر رحمه الله بأبي الوفا علي بن عقيل، وأبي الخطاب محفوظ بن أحمد، وأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى، وأبي

سعيد المبارك بن علي المخزومي، مذهبا، وخلافا، وفروعا، وأصولا. واستمع الحديث النبوي من جماعة، منهم؛ أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني، ومحمد بن عبد الكريم، ومحمد بن علي بن ميمون، وأحمد بن مظفر، وجعفر بن أحمد القاري، وعلي بن محمد الكرخي، وإسمعيل بن أحمد الأصفهاني، وعبد القادر بن محمد، وعمه عبد الرحمن، وهبة الله، ومحمد الهاشمي، وغيرهم. وقرأ الأدب على أبي يحيى زكريا بن علي التبريزي. وصحب الشيخ العارف بالله حماد بن مسلم الدباس، وأخذ عنه علم الطريقة، وتأدب به، ولقي جماعة من أكابر المشائخ. وتلقى عنهم العلوم الشرعية، والفنون الدينية. ثم أظهره الله تعالى للخلق، وأوقع له القبول، والهيبة، والجلال، وأظهر الحكم من قلبه على لسانه. وعمر مدرسة أستاذه أبي سعيد المخزومي، ووسعها جدا، وتصدر للتدريس بها، والفتوى والوعظ، وقصده الطلبة من العلماء والصلحاء. وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق، وسلمت إليه أَزِمَّةُ المعارف، فأصبح قطب الوقت المرجوع إليه. وصنف كتبا مفيدة، وأملى فوائد مزيدة. ولقب بإمام الفريقين، وموضح الطريقين، وتلمذ له خلق كثير، ولبس منه الخرقة خلائق لايحصون، وإليه يرجع جمهور شيوخ اليمن.

وقال يوسف بن أيوب الهمداني، الشيخ الكبير: ياعبد القادر تكلم على الناس! حفظت الفقه وأصوله، والخلاف، والنحو، واللغة، وتفسير القرآن، فكيف لايصح لك أن تتكلم. اصعد على الكرسي، فإني رأيت فيك عرقا سيصير نخلة.

وقال الشيخ علي بن أبي بكر اليعقوبي: أخذ الشيخ علي بن الهيتي بيدي، وأتى بي إلى سيدي الشيخ عبد القادر، وقال: أطلب منك له خلعة باطنة. فأطرق مليا، فرأيت بارقة من نور صدرت منه، واتصلت بي، فرأيت في الوقت الحاضر أصحاب القبور وأحوالهم والملائكة في مقاماتهم، وسمعت تسبيحهم باختلاف لغاتهم، وقرأت المكتوب على

جبين كل إنسان، وكشف لي عن أمور جليلة، وقال لي: خذها ولاتخف. وأنا إلى الآن أستضيىء بنور تلك البارقة في طرق الملكوت.

وقال الشيخ أبوعمروالصريفيني: كنت ليلة بصريفين مستلقيا على ظهري، فمرت خمس حمامات تقول إحداهن: سبحان من عنده خزائن كل شيء، وماينزله إلا بقدر معلوم. وسمعت الأخرى تقول: سبحان من بعث الأنبياء حجة على خلقه، وفضل عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم. والأخرى تقول: سبحان من أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى. والأخرى تقول: كل مافي الدنيا باطل، إلا ماكان لله ولرسوله. والأخرى تقول: ياأهل الغفلة عن مولاكم، قوموا إلى ربكم، رب كريم، يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم. فغشي علي، فأفقت. وقد نزع حب الدنيا من قلبي. فلما أصبحت عاهدت الله أن أسلم نفسي لشيخ يدلني على ربي. فاستقبلني شيخ وافر الهيبة، فقال: السلام عليك ياعثمان! فرددت عليه، وأقسمت عليه: من أنت؟ وكيف عرفتني؟ قال: أنا الخضر، كنت الساعة عند الشيخ عبد القادر، وقال: جذب البارحة رجل اسمه عثمان. وقد قبل، وأقبل عليه، ونودي؛ مرحبا بك عبدي، وقد عاهد عهدا، فأتني به. ثم قال لي: ياعثمان! الشيخ عبد القادر سيد العارفين في هذا العصر، وقبلة الوافدين في هذا الوقت، فعليك بملازمة خدمته، فما شعرت بنفسي إلا وأنا ببغداد في أسرع وقت. وغاب عني الخضر، فما رأيته منذ سبع سنين، فدخلت على الشيخ عبد القادر. فقال: مرحبا بمن جذبه مولاه إليه بألسنة الطير، وجمع له كثيرا من الخير. ياعثمان! سيهب الله لك مريدا اسمه عبد الغني بن نقطة، يعلو على كثير من الأولياء، ويباهي الله به الملائكة. ثم وضع على رأسي طاقية، فلما لمست رأسي، وجدت في يافوخي بردا اتصل بفؤادي، وانثلج قلبي، فكشف لي عن الملكوت، وسمعت العوالم بما فيها تسبح الله، باختلاف اللغات، وأنواع التقديسات، فكاد عقلي يذهب، فرماني الشيخ بقطنة كانت في يده،

فثبت الله على عقلي، وزادني تمكينا. ثم أجلسني في خلوة شهرا، فأخبرني فيها بجميع ماشاهدته، وكوشفت به من الغيوب، قبل أن أذكرها أنا له، وبين لي أصله وفرعه. وأخبرني بأمور وقعت، كما أخبر بعد ثلاثين سنة. . . . . . . انتهى.

وأخبر ولدا الشيخ عبدالقادر؛ عبدالرزاق وعبدالوهاب، أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يابني في رؤيا) ألا تتكلم؟ قلت: ياأبتاه، أنا رجل أعجمي، كيف أتكلم على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك، ففتحته، فتفل فيه سبعا، وقال لي: تكلم على الناس، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. فصليت الظهر، وجلست، وجاءني خلق كثير، فأُرْتِجَ عليَّ، فرأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائما بإزائي في المجلس، فقال: يابني! لم لاتتكلم؟ فقلت: ياأبتاه، قد ارتج علي، فقال: افتح فاك، ففتحته، فتفل فيه ستا. فقلت: لم لاتكملها سبعا؟ فقال: أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم توارى عني، فقلت: غَوَّاصُ الفكر، يغوص في بحر القلب، على درر المعارف. فيستخرجها إلى ساحل الصدر، فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان، فتشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة، في بيوت أذن الله أن ترفع. فهذا أول كلام، تكلم به على الناس على الكرسي، رضي الله عنه. وكان يجلس في مجلسه عشرة آلاف، ويموت السبعة من الرجال ونحوهم. وقال يوما: قد فتح لقلبي سبعون بابا من العلم اللدني، سعة كل باب كسعة مابين السماء والأرض. ثم تكلم بخصوص المعارف.

وكان يقول: مامن نبي خلقه الله ولا ولي، إلا وقد حضر مجلسي هذا، الأحياء بأبدانهم، والأموات بأرواحهم. ياغلام! اسأل عني منكرا ونكيرا، يخبراك عني عند مجيئهما إلى قبرك. ياغلام! سافر ألف عام، لتسمع مني كلمة. الولاية هاهنا. الدرجات هاهنا. في مجلسي تُفرق الخلع. ياأهل الأرض! ياأهل السماء! أنا مما لاتعلمون. ياأهل الأرض

شرقا وغربا، تعلموا مني، ياأهل العراق! الأحوال عندي كثياب معلقة، أيتها شئت لبست، أنا سياف، أنا قتال، لولا لجام الشريعة على لساني، لأخبرتكم بما تأكلون، وماتدخرون في بيوتكم. أنتم بين يدي كالقوارير.

وزار نفع الله به مرة الشيخ معروف الكرخي، فقال: السلام عليك ياشيخ معروف، عبرتنا بدرجة. ثم زاره بعد مدة، فقال: السلام عليك ياشيخ معروف، عبرناك بدرجتين. فقال له من القبر: وعليك السلام ياسيد أهل زمانه.

وقال رضي الله عنه لأصحابه: قد سلمت لي الأرض شرقها وغربها، ولم يبق ولي في ذلك الوقت، إلا أتاه، وسلم عليه بالقطبية.

وقال الشيخ العارف بالله أبو سعيد القيلوبي: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيره من الأنبياء، عليه وعليهم الصلاة والسلام، في مجلس الشيخ عبد القادر، ورأيت الملائكة عليهم السلام يحضرونه، طوائف بعد طوائف، ورأيت رجال الغيب والجان، يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت الخضر يكثر من حضوره، فسألته، فقال: من أراد الفلاح، فعليه بملازمة هذا المجلس. . . . انتهى.

وكان يكتب مايقوله في مجلسه أربعمائة محبرة. وكان كثيرا مايخطو في مجلسه، على رءوس الناس خطوات. وكان رضي الله عنه يجالس الضعفاء، ويصبر على طلبة العلم. ويتفقد من غاب من أصحابه، ويسأل عن شئونهم، ويحفظ ودهم، ويعفو عن سيآتهم. ويصدق من حلف له، ويخفي علمه فيه. ولايظن صديقه أن أحدا أكرم عليه منه، وليس أشد حياء منه، ويقبل الهدية، ويكافىء عليها. ويقبل النذور، ويأكل منها. وكان يخبز له كل يوم أربعة أو خمسة أرغفة، يؤتى بها آخر النهار. ويفرق منها على من حضر، كسرة، كسرة، والباقي يؤخره لنفسه.

وسئل: متى علمت أنك ولي؟ فقال: كنت، وأنا ابن عشر سنين، أذهب إلى المكتب، فأرى الملائكة يمشون حولي، وأسمعهم يقولون للصبيان: افسحوا لولي الله. وكنت صغيرا، كلما هممت ألعب مع الصبيان، سمعت قائلا يقول لي: لا، يامبارك. فألقي نفسي في حجر أمي. وكنت في زمن المجاهدة، إذا أخذتني سنة، أسمع قائلا يقول: ياعبد القادر، ماخلقت للنوم. قد أحييناك ولم تك شيئا، فلاتغفل عنا، وأنت شيء.

وقال الشيخ أبو النجيب السهروردي: صرف الشيخ عبد القادر في وجود الملك، وبوهي به في وجود الملكوت، وانفرد في عالم الكون في هذا الوقت، وصرف في قلوب الأولياء.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: بحر الشريعة عن يمين الشيخ عبد القادر، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء، اغترف.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي: الشيخ عبد القادر سيد أهل زمانه،عارفين،وأولياء، وعلماء، ومشائخ.

وقال الشيخ إبراهيم الأعزب: الشيخ عبد القادر، سيدنا، وشيخ المحققين، وإمام الصديقين، وحجة العارفين، وقدوة السالكين، إلى رب العالمين.

وقال الشيخ أبو يعزا: فضل به المشرق والمغرب، وعلمه ونسبه ميزاه على العلماء الأولياء.

وقال الشيخ أبو مدين: سألت الخضر عن الشيخ عبد القادر، فقال: هو إمام الصديقين، وحجة الله على العارفين، وهو روح في المعرفة، وشأنه الغربة بين الأولياء، وأنا أصرف مراتب الأولياء من وراء إشارته.

وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي: الشيخ عبد القادر سلطان الطريق، والمتصرف في الوجود على التحقيق. . . . انتهى.

وكانت وفاة سيدنا الشيخ عبد القادر سنة إحدى وستين وخمسمائة. ولنقبض عنان النقل، فإن أحوال الشيخ عبد القادر تبهر العقل، ويتعذر علينا إحصاء مافيه من الفضل، بعد أن انطلق بنا القلم، في تخصيص العلم، من ذي المشيئة والكرم والتفضلات. سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقول سيدنا الناظم نفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين:

[وكذا الرفاعي الرفيع مقامه والشاذلي الشاكر المتوسع]

[فالرفاعي] بكسر الراء، نسبة إلى رجل من الغرب، يقال له رفاعة. نقل هذا عن أهل بيته اليافعي عن ابن خلكان. وقول الشعراوي في الطبقات: منسوب إلى بني رفاعة، قبيلة من الغرب، يوافق ذلك. وقيل في نسبه أنه سيد حسيني. رأيت ذلك عن بعض أهل حضرموت، وجعل قول بعض الأولين من الغرب بالغين المعجمة، والله أعلم. ثم رأيت الشيخ علي بن أبي بكر علوي، جزم بذلك، وتبعه صاحب العقد النبوي، أعني أنه سيد حسيني. ورجحه سيدنا الناظم، والحمد لله.

والمذكور، هو الشيخ تاج العارفين، شيخ الشيوخ، صدر المقربين، قطب الأولياء، وإمام الأصفياء، أحمد أبو العباس بن أبي الحسن بن أحمد بن يحيى ين حازم ين علي بن رفاعة. نزل أبوه بالبطائح بالعراق، بقرية أم عبيدة، وتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد، فولدت له الشيخ أحمد في المحرم، سنة خمسمائة، قبل وفاة الإمام الغزالي بخمس سنين. وتوفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، يوم الخميس وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأولى. ودفن في قبر الشيخ يحيى البخاري. وكان آخر كلمة قالها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

كتابه [التنبيه] في مذهب الشافعي. وتخرج بخاله الشيخ منصور

الزاهد، ولم يعقب الشيخ أحمد، والمشيخة في بني أخيه. وكان موته بوجع البطن. وقيل: سمع أبياتا على لسان قوال، فاضطرب. وكان عند موته يمرغ وجهه في التراب، ويبكي، ويقول: العفو، العفو، اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخلق. ولاتصدَّر قط، ولاجلس على سجادة، تواضعا لله تعالى. وقد صنف العلماء في مناقبه، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره. وظهر زهده، وكثر علمه. واشتد تواضعه، وعظم إيثاره، لخمول نفسه. وأحد من خرق الله له العوائد، وقُلب له الأعيان، وصرفه في الوجود، وأنطقه بالمغيبات. وأحد من تُذكَر عنه القطبية، قد جمع الله له شتات المناقب، ومفرقات الفضائل. وله الكلام العالي على لسان الحقيقة. وانتهت إليه الرياسة في علوم الطريق. وشرح أحوال القوم ومنازلاتهم. وتلمذ له خلق لايحصون من أهل الأحوال الصادقة. وانتمى إليه عالم عظيم من كل جهة.

ومن كلامه رحمه الله تعالى: الزهد أساس الأحوال المرضية، والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله تعالى، والمنقطعين إليه، والراضين عنه، والمتوكلين عليه. فمن لم يحكم أساسه في الزهد، لم يصح له شيء مما بعده. والفقر لباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، ومنية المريدين، وغنيمة العارفين، ورضا رب العالمين، وكرامة لأهل ولايته.

ومن كلامه نفع الله به: الأنس بالله تعالى لايكون إلا لعبد قد كملت طهارته، وصفا ذكره، واستوحش من كل مايشغله عن الله تعالى. فعند ذلك آنسه الله تعالى به، وأراده بحق حقائق الأنس، فأخذه عن وجد طعم الخوف لما سواه. وكان يقول: التوحيد وجدان تعظيم في القلب، يمنع من التعطيل والتشبيه. وكان يقول: أحب لأصحابي الجوع والعُرْيَ، والفقر والذل والمسكنة، والشفقة على الإخوان مما يقرب إلى الله. ومن شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت

الأحمر، فيودع كل نفس مايصلح له، فلايضيع له نفس. وكان يقول: إذا تعلم أحدكم شيئا من الخير فليعلمه الناس، يثمر له الخير.

وقال رضي الله عنه: طريقتنا مبنية على ثلاثة أشياء؛ لانسأل ولانرد ولاندخر. وكان يمشي إلى المجذومين والزمناء، يغسل ثيابهم، ويفلي رؤسهم ولحاهم، ويحمل إليهم الطعام، ويأكل معهم، ويجالسهم، ويسألهم الدعاء، ويقول: الزيارة لمثل هؤلاء واجبة. ومر على صبيان يلعبون، فهربوا منه هيبة، فصار يتبعهم، ويقول: اجعلوني في حل، فقد روعتكم، ارجعوا إلى ماكنتم عليه. وقال لصبي مرة: من أنت؟ فقال له: ايش فضولك. فصار يرددها، ويقول: أدبتني ياولدي، جزاك الله خيرا. وكان يزور المرضى إلى مسيرة يوم ويومين، ويرجع ويخرج إلى الطريق ينتظر العميان، فيقودهم. وإذا قدم من السفر وقرب من أم عبيدة، بلده، يشد وسطه، ويخرج حبلا مدخرا معه، ويجمع حطبا، ويحمله على رأسه. فإذا فعل ذلك، فعل الفقراء كلهم مثله. فإذا دخل البلد، فرق الحطب على الأارامل، والمساكين، والزمناء، والعميان، ونحوهم.

ووقع له أنه تجلى عليه الحق بالتعظيم، فصار يذوب حتى كان نقطة ماء. ثم تداركه الله سبحانه وتعالى باللطف، فصار يجمد شيئا شيئا، حتى رجع إلى جسمه المعتاد، فقال: لولا لُطْفُ الله بي، مارجعت إليكم.

ولقيه مرة فقراء فسبوه، وقالوا: ياأعور! يادجال! يامن يستحل المحارم، ويبدل القرآن، ياملحد! ياكلب! فكشف رأسه، وقبل الأرض، وقال: ياأسيادي! اجعلوا عُبَيْدَكُمْ في حل. وصار يقبل أياديهم وأرجلهم، ويقول: ارضوا عني، وحلمكم يسعني. فلما أعجزهم، قالوا: مارأينا فقيرا قط مثلك، يحمل منا هذا الشتم كله ولايتغير. فقال: هذا من بركاتكم. ثم التفت إلى أصحابه، وقال: ماكان إلا الخير

أرحناهم من كلام، كان مكتوما عندهم، وكنا نحن أحق بهم من غيرنا، فربما مايحملهم.

وكتب إليه إبراهيم البُستي كتابا فيه، أي أعور! الدجال، أي مبتدع. يامن جمع بين الرجال والنساء حتى ذكر الكلب بن الكلب. فلما قرأه، قال: صدق فيما قال، جزاه الله عنا خيرا. ثم أنشد يقول شعرا:

فلست أبالي من رماني بريبة إذا كنت عند الله غير مريب.

ثم أرسل الجواب، فيه: من هذا اللاَّشَيْءَ أحمد، إلى سيدي الشيخ إبراهيم البستي رضي الله عنه. أما قولك الذي ذكرته، فإن الله خلقني لما يشاء، وأسكن فيَّ مايشاء، وإني أريد من صدقاتك أنك تدعو لي، ولاتخلني من حلمك. فلما وصل الكتاب إلى البستي، هام على وجهه، فما عرفوا أين ذهب. وأراد الفقراء ضرب فقير، لزلة وقعت منه. فأخذ الشيخ ثيابه، ونام مكانه، فضربوه واشتفوا من ضربه. ثم كشف عن وجهه، فغشي عليهم لما وجدوه، فقال: ماكان إلا خير، أكسبتمونا الأجر والثواب.

وقال في مرض موته: أقبل على الخلق بلاء عظيم، فتحملته عنهم، وشريته بما بقي من عمري، فباعني. وكان لايُطَيِّرُ البعوضة من جسمه، ويمكث للجرادة إذا وقعت عليه، تتظلل به حتى تطير. وإذا نامت على كمه الهرة وقت الصلاة، قطعه. وإذا صلى، خاطه. وإذا رأى فقيرا يقتل قملة، يقول: لاواخذك الله، شفيت غيظك بقتل قملة. وداوى كلبا أجرب، كان أخرجه أهل بلده، وضرب عليه مظلة، وحَتَّ جَرَبَهُ بخرقة، وطلاه، وأطعمه، وأسقاه، وغسله بماء سُخِّنَ، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

وقول سيدنا الناظم: [والشاذلي الشاكر المتوسع] أراد به الشيخ الإمام، السيد الشريف، حجة الصوفية، زين العارفين، أستاذ الأكابر، علم المهتدين، القطب الغوث، أبا الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار

بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. عرف باالشاذلي، بالشين والذال المعجمة، نسبة إلى شاذلة. وقد سمع في بعض الهواتف: إنما أنت الشاذِّلي، بتشديد الذال، منشأه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة، بلدة قريبة من تونس. وإليها ينسب.

توفي رحمه الله بصحراء عيذاب، قاصدا للحج. ودفن هناك، في شهر القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، بعد وفاة سيدنا وبركتنا السيد محمد بن علي باعلوي المقدم بثلاث سنين. ترجمه الشيخ ابن عطاء في كتابه [لطائف المنن]. وذكر أنه أثنى عليه الشيخ ابن أبي منصور. وذكره قطب الدين القسطلاني في جملة مشائخه. وأنه ذكره الشيخ ابن النعمان، وشهد له بالقطبية. واعترف له عز الدين بن عبد السلام، وأخذ عنه، والعارف مكين الدين الأسمر. وأخذ أعني الشيخ أبا الحسن الشاذلي عن الشيخ عبد السلام بن مشيش. وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني، وغيرهما، ولم يدخل في طريق القوم، حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة.

وقال الشيخ ابن دقيق العيد: مارأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وكان، أعني الشيخ أبا الحسن، يقول: والله، إنه ينزل علي المدد، فأرى سريانه في الحوت في الماء، والطير في الهواء. ويسألوني عن المسألة لايكون لها عندي جواب. فأرى الجواب مسطرا على الدواة والحصير والحائط. فقال له بعضهم: فأنت إذنْ القطب! قال: أنا عبد الله، أنا عبد الله.

وقال: والله، ماولى الله وليا، إلا وضع حبه في قلبي، قبل أن يوليه، ولارفض عبدا، إلا وألقى بغضه في قلبي، قبل أن يرفضه، وقال: والله، لقد جئت في هذا الطريق بما لم يأت به أحد. وقيل له: من هو شيخك؟

قال: كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام، والآن أعوم في عشرة أبحر. خمسة من الآدميين؛ محمد صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. وخمسة من الروحانيين؛ جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، والروح.

وقال رضي الله عنه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: ياعلي! طهر ثيابك من الدنس، تحظ بمدد الله في كل نفس. قلت: يارسول الله! وماثيابي؟ قال: اعلم أن الله تعالى قد خلع عليك خمس خلع؛ خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام. فمن أحب الله، هان عليه كل شيء. ومن عرف الله، ضعف لديه كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا، ومن آمن بالله، أمن من كل شيء، ومن أسلم لله، فلايعصيه، وإن عصاه، اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه، قبل عذره. ففهمت حينئذ قوله تعالى: [وثيابك فطهّر].

وقال الشيخ أبو العباس: جُلْتُ في ملكوت الله تعالى، فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش، وهو رجل أشقر، أزرق العينين، فقلت له: ماعلومك وما مقامك؟ فقال: أما علومي فأحد وسبعون علما. وأما مقامي فرابع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال. قلت: فما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي؟ قال: زاد علي بأربعين علما؛ وهو البحر الذي لايحاط به.

وقال الشيخ أبو العباس: قال رجل للشيخ؛ ماتقول في الخضر، أحي هو أم ميت؟ فقال: الفقيه ناصر الدين، يفتي أنه حي. والشيخ عبد المعطي لقيه، وأنا لقيته، وسبَّابته، ووسطاه سواء. وقال أيضا: لقيت الخضر في صحراء عيذاب، فقال لي، أبا الحسن! أصحبك الله اللطف الجميل. وكان لك صاحبا في المقام وفي الرحيل.

قال ابن عطاء في لطائفه: واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه أهل هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه، والأخذ عنه. واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر إلى حد التواتر الذي لايمكن جحده. وقد جاء أنه لما توفي رسول الله صلى لله عليه وسلم سمعوا قائلا يقول من جوف البيت: أن في الله خلفا من كل هالك، وعوضا من كل فائت. وأن المصاب من حرم الثواب. قال الراوي: كانوا يرون أنه الخضر.

واعلم أن من أنكر وجود الخضر فقد غلط، أو قال إنه غير خضر موسى، أو من قال إن لكل زمان خضر. أو إن الخضرية رتبة يقوم بها رجل في كل زمان. ولاتغتر بكلام ابن الجوزي في كتابه [العجالة] . . . . . انتهى كلام ابن عطاء بحذف. وقد ذكرنا في هذا الشرح من لقيه ممن ترجمناه، وسيأتي ذكر من لقيه من الآتين في هذا الشرح، ولو تتبعنا ذلك، لطال الكتاب بذلك.

وقال الشيخ أبو الحسن نفع الله به: قلت يوما، وأنا في سياحتي، إلهي! متى أكون لك عبدا شكارا؟ فإذا علي يقال لي، إذا لم تر منعما عليه غيرك. فقلت: وكيف وقد أنعمت على الأنبياء، والعلماء، والملوك؟ فإذا علي يقال لي، لولا الأنبياء، لما اهتديت؛ ولولا العلماء، لما اقتديت؛ ولولا الملوك، لما أمنت. فالكل نعمة مني عليك. . . . انتهى بحذف منه. وهكذا عادتي في الشرح كثيرا أنقل مختصرا.

وقال: جعت مرة ثمانين يوما، فخطر لي أنه حصل لي من هذا الأمر شيء، فإذا امرأة حسناء تقول: منحوس، منحوس، جاع ثمانين يوما. فأخذ يُدِلُّ على الله بعمله، وأنا لي ستة أشهر لم أذق طعاما قط. وقال: أشكل علي حديث [إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة] فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لي: يا مبارك! ذاك غين الأنوار، لاغين الاعتبار. وكذا حديث [من سكن خوف الفقر

قلبه، قلما مايرفع له عمل] فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم يقول لي: يامبارك! فرق بين خطر وسكن.

وقال: رأيت الصديق في المنام يقول لي: ياغلام! علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد، ووجود الراحة منها عند الفقد. . . . انتهى.

وأخذ عنه جماعة من الأكابر؛ مثل الشيخ الكبير أبي العباس أحمد المرسي الأنصاري، والصِقِلّي، ومحمد القرطبي، وأبي الحسن البجائي، وأبي عبد الله البجائي، والوجهاني، والجزار، ومكين الدين الأسمر، والبوني، واللقَّاني، والشيخ جبريل، وغيرهم من أكابر الأولياء.

ومن كلامه نفع الله به: إذا كثرت عليك الخواطر والوساوس، فقل: سبحان الملك الخلاق، [إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز]. وقال: لاتشم رائحة الولاية، وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها، فإذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في جماعة، فلا تعبأنَّ به، ومن لم يزدد بعلمه وعمله، افتقارا إلى ربه، وتواضعا لخلقه، فهو هالك.

وقال رضي الله عنه: ماثمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة، فمن أُعطيَهما وجعل يشتاق إلى غيرهما، فهو عبد كذاب، أو ذو خطأ في العلم والصواب؛ كمن أكرم بشهود الملك، فاشتاق إلى سياسة الدواب. وقال: احذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس، وانشر علمك ليصدقه الله.

وقال رحمه الله ونفعنا به: إذا ضيق الله عليك المعيشة، فاعلم أنه يريد أن يواليك، فاثبت. وإياك والضجر. وقال: من صبر على ماابتلاه الله به، وترك المعاصي، وأيقن بوعد الله ووعيده، فهو الإمام، وإن قلت أتباعه. والتصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية. وقال: أثبت أفعال العباد، بإثبات الله تعالى، ولايضرك ذلك،

وإنما يضرك الإثبات بهم، ومنهم. وقال: حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى، في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها، ولن يصل العبد إلى الله تعالى، وبقي معه شهوة من شهواته، ولامشيئة من مشيئاته. ومن أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل مايريد، وهو لايجد من نفسه بعض مايريد. وطالب نفسك بإكرامك لهم، ولاتطالبهم بإكرامهم لك، لاتتكلف إلا نفسك، وإن أردت أن لايصدأ لك قلب، ولايلحقك هم ولاكرب، ولا يبقي عليك ذنب، فأكثر من قول: [سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لاإله إلا هو، اللهم ثبت علمها في قلبي، واغفر لي ذنبي، واغفر للمؤمنين والمؤمنات. وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى]. وإن أردت الصدق في القول، فأكثر من قراءة: [إنا أنزلناه في ليلة القدر]. وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك، فأكثر من قراءة: [قل هو الله أحد]. وإن أردت تيسير الرزق، فأكثر من قراءة: [قل أعوذ برب الفلق]. وإن أردت السلامة من الشر، فأكثر من قراءة: [قل أعوذ برب الناس]. . . . . انتهى.

قال الإمام الشعراوي: قال بعضهم؛ أقل الإكثار سبعون مرة كل يوم إلى سبعمائة. . . . . انتهى.

وقال الشيخ أبو الحسن: أربع لاينفع معهن علم؛ حب الدنيا، ونسيان الآخرة، وخوف الفقر، واليأس. وإذا توجهت لشيء من عمل الدنيا والآخرة، فقل: ياقوي ياعزيز! ياعليم ياقدير! ياسميع يابصير! وإذا تداينت فتوجه إلى الله بقلبك، وتداين عليه يكون أداؤه عليه. وقل: [اللهم عليك تداينت، وعليك توكلت، وإليك أمري فوضت]. هذا حاصل معنى مانقل عنه.

وقال شيخنا الناظم: وهذا لمن تداين لقربة أو ضرورة. وقال الشيخ، أعني أبا الحسن رضي الله عنه: خصلة واحدة إذا فعلها العبد،

صار إمام الناس من أهل عصره، وهي الإعراض عن الدنيا، واحتمال الأذى من أهلها. وخصلة واحدة تحبط الأعمال، ولاينتبه لها كثير من الناس، وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى، [ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم]. ومن غفل عن قلبه، اتخذ دينه هزؤا. ومن اشتغل بالخلق، اتخذ دينه لعبا، فنسأل الله العافية.

وقول الناظم رضي الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين:

[وكصاحب الغرب المنير شعيبه والسهروردي العوارف فاتبع]

فالأول هو الشيخ الإمام صدر المقربين، وإمام الصديقين، وأستاذ المحققين، وعين أعيان الأولياء المقربين، شعيب بن الحسن أو الحسين المغربي، نسبة إلى جهة الغرب. كما قال سيدنا الناظم نفع الله به: [وكصاحب الغرب المنير]. و[المنير] صفة الغرب لإنارته الباطنة، بمثل هذا الشيخ المنير شعيبه. وإلى كون المغرب أشرق نوره بشعيب. أشار بعض صلحائه بقوله رحمه الله تعالى شعرا:

تبدت لنا أعلام علم الهدى صدقا فصار بشمس الدين مغربنا شرقا
وأشرق منها كل ما كان آفلا فأصبح نور السعد قد ملأ الأفقا

إلى أن قال: [وأخرجها من كل جهل وظلمة].

وقول سيدنا الناظم [شعيبه] إشارة إلى مائه، ومنه تسقي الأرض، وهو الشعب الذي تسيل منه الأودية بقدرها. وإليه أشار صاحب الشعر الماضي بقوله رحمه الله تعالى ونفع به:

سقيت بعلم يا شعيب قلوبنا فاسمك من شعب القلوب قد اشتقًا

وكنيته أبو مدين، وولده مدين مدفون بمصر. وعليه قبة عظيمة، وقبره يزار. وأما الشيخ أبو مدين، فإنه مدفون بتُلْمُسَان، بأرض المغرب في جبانة العباد. وقبره ثَمَّ يزار. وأما سبب خروجه من بلده بجانة إلى

تلمسان، أن سلطان المغرب أمر بإحضاره ليتبرك به. فلما وصل تلمسان، قال: مالنا وللسلطان! الليلة نزور الإخوان. فنزل واستقبل القبلة وتشهد. وقال: هاقد جئت وعجلت إليك رب لترضى. ثم قال: الله الحي القيوم. وفاضت روحه الشريفة، وقد ناهز الثمانين سنة.

وكان رضي الله عنه أحد أوتاد المغرب وأقطابه، وأركان هذا الشأن، وأحد من أظهره الله إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكنه في الأحوال. وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بفنون الحكم والأسرار. وتخرج به جماعة من الأكابر، وتلمذ له خلائق من أهل الطريقة. وانعقد الإجماع على فضله. فقد ذكر الشيخ أبو الحجاج الأقصري، قال: سمعت شيخنا عبد الرزاق يقول؛ لقيت الخضر وسألته عن شيخنا أبي مدين، فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت، ذاك آتاه الله مفتاحا من السر المصون بحجاب القدس، مافي هذا الوقت أجمع لأسرار المرسلين منه. ومات الشيخ أبو مدين بعد ذلك بيسير، وهو سنة ثمانين وخمسمائة.

وذكر الشيخ ابن العربي في كتابه [الفتوحات المكية] أنه وبعض الأبدال مرا على الحية المحدقة بجبل قاف، فسلما عليها، فردت، وقالت من جملة كلامها: ماعلى الأرض دابة تجهل أبا مدين، إنه والله ممن اتخذه وليا. وأنزل محبته في قلوب العباد، فلايكرهه إلا كافر أو منافق. وأكثر في هذا الكتاب من ذكر الشيخ أبي مدين. وأشار إلى علو درجته، وتمكينه، وهو أشهر من ترجع إليه شيوخنا، وأصولنا، آل باعلوي، السادة الحسينيون، التريميون في نسبة الخرقة الشريفة الشهيرة، ووصلة سند الصحبة المنيرة، لأن سيدنا، وإمامنا، وشيخ شيوخنا، محمد بن علي السيد الشيخ الفقيه لبس الخرقة الأنيقة في بدايته، ومبدأ مكاشفته، من الشيخ أبي مدين شعيب المذكور، بواسطة الشيخ عبد الرحمن المقعد، وبواسطة الشيخ عبد الله الصالح المغربيين. وذلك بإذن رباني يقظة وكشفا، مع بشارات عظيمة، سيأتي تفصيل ذلك عند ذكر ساداتنا المذكورين. وله،

أعني أبا مدين، كرامات. مر بسبع قد أكل نصف حمار، فقال لصاحب الحمار: خذ بأذن الأسد واستعمله مكان حمارك. فأخذ بأذنه وركبه، وصار يستعمله مكان حماره.

وقال رضي الله عنه: أوقفني الحق بين يديه، وقال: ياشعيب! ماذا عن يمينك؟ قلت: يارب، عطاؤك، قال: وماذا عن شمالك؟ قلت: يارب، قضاؤك، قال: ياشعيب! قد ضاعفت لك هذا، وغفرت لك هذا. طوبى لمن رآك أو رأى من رآك.

ومن كلامه نفع الله به: من تحقق بالعبودية، نظر أفعاله بعين الرياء، وأحواله بعين الدعوى، وأقواله بعين الإفتراء، وماوصل إلى صريح الحرية من بقي عليه من نفسه بقية. ومن كان الأخذ أحب إليه من العطاء، فما شم رائحة الفقر، والفقر أن لاتشهد سواه. والإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق، والإخلاص ماخفي على النفس درايته، وعلى الملك كتابته، وعلى الشيطان غوايته، وعلى الهوى إمالته.

ومن كلامه رحمه الله تعالى: الفقر فخر، والعلم غنم، والصمت نجاة، واليأس راحة، والقناعة غنى، والزهد عافية، ونسيان الحق خيانة، والإشتغال عنه دناءة، والحضور معه جنة، والغيبة عنه نار، والقرب منه لذة، والبعد عنه حسرة، والأنس به حياة، والإستيحاش منه موت.

ومن كلامه: الخمول نعمة على العبد، لو عرف شكرها. وطلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة، ومن قطع موصولا بربه، قطع به. ومن شغل مشغولا بربه، أدركه المقت، والمقل للأعمال لايصلح لبساط الحق تعالى. ومن خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعو إلى ذلك، فهو مفتون. وليس للقلب سوى وجهة واحدة، فإلى أي وجهة توجه حجب عن غيرها. وإذا سكن الخوف القلب، أورثه المراقبة. وأغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه. وأفقر الفقراء من ستر الحق حقه عنه.

ومن نظر إلى الأكوان، نظر إرادة وشهوة حجب عن العبرة فيها، والإنتفاع بها، وكل فقير لايعرف زيادته ونقصانه في كل نفس، فليس بفقير.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفع به آمين: [والسهروردي العوارف فاتبع] أراد به الشيخ الإمام، دليل الطريقة، وترجمان الحقيقة، أستاذ الشيوخ، قدوة العارفين، وعمدة السالكين، شهاب الدين أبا حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه التيمي البكري، نسبة إلى أبي بكر الصديق، وهو من بني تيم القرشي، مصنف كتاب العوارف. ولهذا أضافه إليه سيدنا الناظم، وأمر باتباعه.

تفقه على مذهب الإمام الشافعي، وتحقق فيه، وقرأ الخلاف والأدب. وعقد مجلس الوعظ سنين في مدرسة عمه أبي النجيب. وله قبول. تظهر في مجلس وعظه أحوال خارقة، ويتوب فيه كثير من حاضريه.

وكان يكتب إليه بالسؤالات أكابر عصره، ويجيب عليها، ثم انقطع ولازم بيته، وداوم الصوم والذكر والعبادة، إلى أن ظهر وعلا شأنه، ولم يكن في عصره مثله. وصحب عمه الشيخ أبا النجيب السهروردي، وأخذ عنه التصوف، وعلم الحديث، والفقه. وصحب الشيخ محيي الدين، القطب عبد القادر الجيلاني، وقال له: أنت آخر المشهورين بالعراق. فتح الله عليه بعلوم المعارف والأنوار، ووردت عليه الأحوال، وحصلت له المواهب، وصار شيخ زمانه بلا نزاع ولادفاع. وأخذ أيضا عن الشيخ أبي محمد بن عبد الله البصري، واجتمع بالشيخ علي الكردي، وله معهما قصص. وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ويكفي في معرفته كتاب العوارف، المشتمل على مكنون المعارف، ومصونات المحاسن واللطائف، المشتملة على درر المعارف، ويواقيت الحكم، ومابه حياة القلوب وشفاؤها من السقم.

وله من المؤلفات أيضا. رشف النصائح الإيمانية، وكشف الفضائح اليونانية، يرد فيها على الفلاسفة. والرحيق المختوم في المعارف. وله عقيدة جامعة، سماها أعلام الهدى، وغير ذلك.

وقال الشيخ ابن نقطه: كان الشيخ شهاب الدين شيخ العراق في وقته. وكان صاحب مجاهدة وإيثار، وطريقة حميدة، ومروءة تامة، وأوراد على كبر سنه.

وقال ابن النجار: كان شيخ وقته في الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعا الخلق إلى الله تعالى. وظهرت بركات أنفاسه في توبة العصاة.

وذكر غيره: أنه كان كثير الحج، وكتب إليه بعضهم؛ ياسيدي! إن تركتُ العمل أخلدت إلى البطالة، وإن عملت داخلني العجب؟ وكان له قبول كثير في مجلس وعظه، وله نفس مبارك، وأنشد يوما على الكرسي رحمه الله تعالى:

لاتسقني وحدي فما عوّدتي	أني أشح بها على جلاّسي
أنت الكريم فلا يليق تكرما	أن تعدَمَ الندماء دون الكاس

فتواجد الناس لذلك، وتاب في المجلس جمع كثير.

ولد رضي الله عنه ونفع به في رجب، سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسهرورد، بسين مهملة مضمومة، ورائين، الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة؛ بلدة من عراق العجم. ونشأ في حجر عمه أبي النجيب، وعمي آخر عمره وأقعد، ولم يخل بشيء من أوراده. ومات في المحرم، سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ببغداد.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه:

[وأصولنا وشيوخنا من سادة علوية نبوية فاسمع وعِ]

أصل الشيء مامنه يتفرع. وجمع الأصل أصول، والشيوخ جمع شيخ. ويجمع الشيخ على مشائخ وأشياخ ومشيخة. وبالأصول وقعت الولادة الأولى الطبعية. وبالشيوخ وقعت الولادة الدينية. وقد ورد عن نبي الله عيسى عليه السلام: لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين، فبالولادة الأولى حصل الارتباط بعالم الملك، وبالأخرى حصل الارتباط بعالم الملكوت. والمريد جزء شيخه، كما أن الولد جزء من الوالد.

وقوله: [من سادة] جمع سيد، من ساد غيره وزاد عليه. وقوله: [علوية] نسبة إلى علي، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرم وجهه في الجنة، وينسبون أيضا إلى جدهم علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى، وهو أول من سمي علوي. وقوله: [نبوية] نسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين الأكرمين.

ثم أمر رضي الله عنه بالسماع والوعي بقوله: [فاسمع وعِ] والمشار إليهم، هم السادة السنيون النبويون العلويون الحسينيون، بنوعلوي بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط بن علي بن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، من جمع الله لهم بين الولادتين بالنسبة الصحيحة، والسيرة المليحة، والشرف النبوي، والنسب المصطفوي، والوِراثة الدينية، والجزئية المحمدية، والبضعة الفاطمية المطهرة، في الإرادة الأزلية، مع ظهور كمال الطهارة، من البدع الخبيثة، وملازمة الكتاب والسنة، ومعانقة سيرة السلف، والفوز بالميراث النبوي المحمدي، والسر الأحمدي، فنسبهم الفاخر المتصل بسيد المرسلين، كعقد الدرر، وسمط الجواهر المعقود بالجوهرة اليتيمة، لعقد الرسالة الكريمة. وقد حققه الأئمة الأجلاء، وأجمع عليه القدوة العلماء، وامتلأت به الكتب من الطبقات، والتواريخ، والرسائل، والفوائد، والفتاوى، والإجازات، نظما ونثرا بحضرموت،

والشحر، وظفار اليمن، والسواحل، ومكة، والمدينة، والبصرة، وغيرها.

فممن ذكر ذلك، الإمام الفشلي، وابن أسد، وابن الجنيد، وابن ناصر الحميري، وعمر بن علي صاحب بيت حسين، والشيخ العارف بالله مدافع المعيني، وإبراهيم القريضي العدني، والإمام الجَنَدي، وابن سمرة، وبنو الحضرمي، وبنو عجيل مثل الشيخ أحمد بن موسى، وأبيه، والشيخ إسماعيل، ووالده القاضي محمد، وولده إسماعيل ومحمد بن كَبِّنْ، وعمر اليافعي، وولده القاضي عيسى، والعواجي، والسيد حسين الأهدل، وغيرهم من أهل اليمن. ومن علماء الحرمين الشريفين، من لايحصى، مثل ابن ظهيرة، والنوريين، ومحمد الطبري، وعبد الله بن أسعد اليافعي، وولده عبد الرحمن، والمراغي المدني، وولده، وأبي الفتح، والمَطَرِي، ومثل الإمام محمد بن عبد الصمد المقدشي من مقدشوه.

ومن علماء تريم مثل الشيخ الإمام سالم بن فضل بن عبد الكريم، وتلميذه فضل بن محمد بن عبد الكريم، ويحيى بن سالم بن فضل، وعبد الله بن أحمد فضل، ومحمد بن أحمد فضل، وفضل بن محمد، وأخيه سعد بن محمد، وغيرهم من بني فضل التريميين، ومن قدماء تريم بنو حاتم المشهورون بالعلم، منهم؛ علي بن محمد، وأبوبكر يحيى بن سالم، وكالإمام علي بن أحمد مروان، وصاحب كتاب الإكمال عبد الله بن عبد الرحمن بن عبيد، وسعيد باعبيد، والخطباء محمد بن أبي الحب، ووالده، وأعمامه، وإخوانه، وولده، والإمام علي بن ميمون، وأبي شكيل إبراهيم الخزرجي، والسلطان المبارك العالم عبد الله بن راشد. والفقهاء بنو حميد، كالفقيه حميد المؤذن، وحافظ باحميد، وحميش باحميد، وآل باعيسى كأحمد بن محمد، وآل باماجد كإبراهيم وأخيه، وكالفقيه المفسر أبي بكر بابكير.

ومن سائر حضرموت، مثل بني شراحيل، وأبوبكر بامهره، والفقيه محمد بن أبي بكر باعباد، وإبراهيم بن محمد باهرمز. ومن فقهاء شبام، مثل المحدث بن نعمان، وبني عقبه، والفقيه حماد، والفقيه سعيد بابصيل من الهجرين، ومن دوعن مثل يوسف بن أحمد باناجه، وأحمد باحسين، وآل باحسين كعبد الله باحسين، والفقيه باسالم، وعبد الله بن عثمان باعيسى، والفقيه الهويمل باعكايه. ومن الشحر بنو البستي، وبنو حسان، وبنو شكيل، وآل باقحطان، وبنو غشير.

وفي ذلك يقول سيدنا وبركتنا، وشيخ شيوخنا، العارف بالله السيد علي بن أبي بكر، بعد ذكره لهؤلاء الأئمة الذاكرين في المذكورين شعرا بقوله:

خلاصة أشراف حووا في ارتفاعهم مجامع مجد بانتساب وسنة
وعظم كمال مع جمال سرائر لهم في العلا نهج الهدى خير سنة

. . . إلى آخر ماقال نفع الله به وبسلفه، وسيأتي ذكره بأبسط من هذا عند قول سيدناالناظم [فهم الكثير الطيب المدعو لهم] إلى آخر الأبيات في ذكر مناقبهم.

فأما اتصال سلسلة نسبهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبعلي، وفاطمة رضي الله عنهما، فقد ذكرها سيدنا الناظم إلى جامع نسبهم محمد بن علي، صاحب مرباط، ثم من ولد ولده، الفقيه الإمام محمد بن علي، إلى الإمام عبد الله العيدروس، وأخيه الإمام علي.

وابتدأ، أعني سيدنا الناظم، بالإمام علي بن جعفر بن محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وذكر هو الأئمة الثلاثة مع ذكره للسلف أولا. وأشار إلى ذكر الإمام علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، وبنيه، وأمهما فاطمة الزهراء، بقوله فيما يأتي: [بيت النبوة والفتوة] إلى آخرالبيت. وبقوله [حين الزفاف ألاتعي] قبيله.

ويقوله الماضي: [علوية نبوية] وهم الذين نزلت فيهم آية المباهلة.
ففي صحيح مسلم، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية [ندع أبناءنا وأبناءكم . . . . . الآية] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: [اللهم هؤلاء أهل بيتي]. وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، ومشت فاطمة خلفه، وعليا خلفها.

أما أصل الأصول، ومنبع الفضل، وسبب أسباب الخيرات لهم، فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاتم النبيين، المرسل رحمة للعالمين، الرسول الكريم، الذي لاينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، الرسول الذي اسمه في الإنجيل أحمد، الرسول المصدق لما مع الرسل، ذو الخلق العظيم، الهادي إلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض، الذي أسرى به ربه، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله، السيد الكامل، الفاتح الخاتم، نور الأنوار، وسر الأسرار، أعلى المخلوقات منارا، وأتمهم فخرا، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال بعض العلماء: هذا النسب مجرب، إذا كتب لكل شيء مهم، وفيه حروف الاسم الأعظم، ومازال السلف يحفظونه ويوصون به.

وكان عدنان في زمن موسى أو عيسى عليهما السلام، خلاف.
وروى الطبراني عن أبي أمامة مرفوعا: انتهب ولد عدنان في عسكر موسى، فدعا عليهم، فأوحى الله إليه؛ لاتدع عليهم، فإن منهم النبي الأمي البشير النذير. . . . . انتهى.

وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وبينه وبين إسماعيل قيل

أربعون أبا. وقيل تسعة، وقيل سبعة. وعن ابن عباس؛ أنهم ثلاثون أبا. ولا خلاف في أن عدنان من ولد إسماعيل، ولا خلاف في نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان، وإنما الخلاف فيمن بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم، ومن بين إبراهيم وآدم، ولايعلم ذلك إلا الله.

وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: نطقت كل دابة لقريش ليلة حمله عليه السلام بإذن الله تعالى عن اسمه عليه السلام. وقالت: حملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة، وهو أمان لأهل الأرض وسراجها.

وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بمكة، يوم الإثنين، في شهر ربيع الأول عام الفيل. قال بعض العلماء وذلك متفق عليه، أي كالمتفق عليه. فإن فيه خلافا كثيرا، والجمهور على هذا. وقيل في يوم عاشوراء، وقيل في صفر، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في رجب، وقيل في رمضان. وروي هذا عن عمر رضي الله عنه؛ وهو يوافق ماقيل، إن أمه حملت به في أيام التشريق، والمشهور أنه ولد لثمان خلت من ربيع الأول، بل نقل بعضهم إجماع أهل التاريخ، وقيل لثنتي عشرة منه، وعليه العمل. وفي صحيح مسلم سئل صلى الله عليه وسلم عن صيام الإثنين، فقال: ذلك يوم ولدت فيه، وأنزل علي فيه النبوة. . . . . انتهى.

فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا. وقال لسان حاله شعرا:

فوجهي والزمان وشهر وضعى ربيع في ربيع في ربيع

وبين مولده وبين آدم خمسة آلاف وخمسمائة سنة. روى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل غير ذلك.

وولد صلى الله عليه وسلم مختونا على مااشتهر في الأخبار. رواه أبو نعيم، والخطيب، وابن عساكر، والطبراني، بل قال بتواتره. وروى

بعضهم أن جده ختنه يوم سابعه. وبعضهم أنه ختن عند حليمة، وأسماؤه القرآنية محمد، وأحمد، والرسول، والنبي، والشاهد، والبشير، والنذير، والمبشر، والمنذر، والداعي، والسراج المنير، والرءوف الرحيم، والحق، والمبين، والنور، وخاتم النبيين، والرحمة، والنعمة، والمصدق، والمذكر، والمزمل، والمدثر، وعبد الله، والكريم، والهادي، وطه، ويسّ، وهي صفات له صلى الله عليه وسلم، ويطلق عليها أسماء.

وأسماؤه في الأحاديث الصحيحة كثيرة معروفة. وخصائصه أفردت بالتصنيف للسيوطي وغيره. منها أنه أول النبيين، وأول من قال: [بلى] يومَ ألستُ، ولأجله خلق الخلق. وكتب اسمه على العرش، والجنان، والسموات، وجميع الملكوت، ومافيه. وأخذ الميثاق على النبيين بالإيمان به ونصره. وبأن له ألف اسم، وأوتي له كل الحسن والعلو إلى قاب قوسين أو أدنى. وصلاته بالنبيين والملائكة، ورؤيته لربه، وتأييده بالملائكة. وأنه إمام النبيين والمرسلين، وآدم ومن دونه تحت لوائه، وبالشفاعات والسجدات، وأول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخل، والكوثر، والوسيلة، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ. وكل سبب ونسب منقطع، إلا سببه ونسبه. وأمته غر محجلون، سيماهم في وجوههم من أثر السجود. . . إلى آخر الآية. وهم الشهداء على الناس.

ومن خصائصه أن الحق ذكر أعضاءه في التنزيل، بـ[قد نرى تقلب وجهك في السماء]، وبـ[لا تمدن عينيك]، [فإنما يسرناه بلسانك]، [ولا تجعل يدك]، [ألم نشرح لك صدرك]، [نزل به الروح الأمين على قلبك].

وأما معجزاته فلاتحد ولاتحصر. وأعظمها القرآن. والمشهور أن الذي أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتان؛ ثويبة الأسلمية،

جارية أبي لهب، بعد ثلاثة أيام من مولده، إلى مدة أربعة أشهر، بعد ماأرضعت عمه حمزة رضي الله عنه، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث، وأكملت رضاعه بلبن زوجها الحرث بن عبد العزى. ويرجعان إلى مضر في نسبهما. وكنية حليمة أم كبشة، وأرضعته أمه قبل ثويبة ثلاثة أيام أو سبعة. وذكر بعضهم غيرهن، خولة بنت المنذر، وأم أيمن، وامرأة سعدية غير حليمة. وذكر غيره ثلاثا،اسم كل واحدة منهن؛ عاتكة. وجعله المراد في قوله صلى الله عليه وسلم: وأنا ابن العواتك، وهن من سليم.

وقال غيره: إحدى العواتك،عاتكة بنت هلال بن عبد مناف بن قصي. والثانية عاتكة بنت قرة، أم وهب أبي آمنة، والأولى منهما عمة للثانية، والثانية عمة الثالثة. وأصل العاتكة في اللغة: المتضمخة بالطيب.

وكان ترقيص أخته الشَّيَّما له شعرا رضي الله عنهما:

هذا أخ لي لم تلده أمي ... وليس من نسل أبي وعمي
فديته من مخول ومعمى ... فأنمه اللهم فيما تنمي

وأول كلام تكلم به؛ لا إله إلا الله، قدوسا قدوسا، نامت العيون، والرحمن لاتأخذه سنة ولا نوم. وشق صدره في السنة الثالثة من مولده، أوالرابعة، أو غيرهما، وفي السادسة وفاة أمه على خلاف. ورعى عليه السلام الغنم لأهل مكة بالقراريط، الفضة أو هي موضع الرعي خلاف. وفي الخامسة والعشرين تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب. كانت تدعى في الجاهلية [الطاهرة]، أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم. وهو ابن خمس وعشرين سنة، وعاشت بعد النكاح أربعا وعشرين سنة ونيفا، فكل أولاده منها إلا إبراهيم. وهي سيدة نسائه، وأسبقهن إسلاما ونكاحا. ولم يتزوج

عليها. وباقي نسائه عائشة، وسودة، وحفصة، وزينب، وأم سلمة هند، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وأم حبيبة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي.

فالمشهورات من أزواجه عليه السلام، المتفق عليهن إحدى عشرة امرأة، خمس من قريش؛ خديجة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم حبيبة. وأما جويرية بنت الحارث الخزاعية، وسودة بنت زمعة، وزينب بنت خزيمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، عربيات، وصفية بنت حيي من سبط هرون بن عمران عليه السلام. وكان صداقه عليه السلام لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونش، أي ونصف، وذلك خمسمائة درهم. مات منهن في حياته خديجة، وزينب بنت خزيمة. وتوفي عن التسع البواقي.

وقد ذكر بعضهم أنه عليه السلام تزوج غير هؤلاء، وجملتهن اثنتا عشرة امرأة. وأم ولده إبراهيم مارية القبطية، وثلاث سراري غيرها ريحانة، وجاريتان أخريان. فريحانة بنت شمعون بن زيد من بني قريظة أو النضير، خلاف.

وأما أولاده عليه السلام، فمجموع الخلاف على ثمانية؛ اثنان متفق عليهما، القاسم وإبراهيم. والأصح أنهم ثلاثة ذكور، الثالث عبد الله، ويقال له الطيب والطاهر، والأربع البنات متفق عليهن، أكبرهن زينب، وأصغرهن فاطمة، سنا، وقيل؛ الأكبر رقية. وأم كلثوم لم يعرف لها اسم. وولدت فاطمة، وقريش تبني الكعبة، قبل النبوة بخمس سنين، أو سنة إحدى وأربعين من مولد أبيها. وأولاده كلهم قبل النبوة إلا إبراهيم. وتزوجها علي في السنة الثانية من الهجرة في صفر. وبنى بها في الحجة،

ولما بلغ عليه السلام أربعين سنة أو نحوها، أتاه جبريل عليه السلام بالرسالة، يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، بجبل

حراء، أول موضع للوحي. وأول قرآن أنزل: [اقرأ باسم ربك الذي خلق، . . . إلى قوله . . . مالم يعلم]. وذكر بعضهم أن نزول جبريل عليه السلام أربعة وعشرين ألف مرة، ولما أتت عليه إحدى وخمسون سنة، وتسعة أشهر، أسري به، وفرض عليه خمس صلوات. وكانت الصلاة قبل ذلك ركعتين بالغداة والعشي، بعد فرض التوحيد والدعوة. وظهرت الدعوة في الرابعة من النبوة.

ولما بلغ ثلاثا وخمسين سنة، هاجر إلى المدينة يوم الإثنين، لثمان من ربيع الأول. وفي الثانية من الهجرة أذن له في الجهاد، وفرض صوم رمضان، وفرضت الزكاة بعده أو قبله، خلاف. وفي الخامسة أو السادسة فرض الحج، وفي الخامسة بيعة الرضوان. وفي الثامنة أي من الهجرة فتح مكة. وفي العاشرة حجة الوداع، ووقفة عرفة فيها يوم الجمعة، بلا خلاف. ولم يحج غيرها بعد الهجرة. وعُمَره أربع، وغزواته سبع وعشرون، وسراياه ست وخمسون، صلى الله عليه وسلم تسليما، وعلى آله المطهرين، وأصحابه المهتدين، وأزواجه أمهات المؤمنين، والتابعين.

وأما الإمام علي، وزوجته البتول، وابناهما الحسنان، فلعل أن نذكرهم فيما بعد، تبركا بذكرهم. وحيث هم الأصل والمنبع. وإن كانت هذه القصيدة العينية إنما وضعت لذكر التابعين، وأتباعهم بالأصل، وهؤلاء الأربعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته. وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم جميعا في كتابه العزيز، وأثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن حيث إنهم أصل للمذكورين في القصيدة سببا ونسبا سنشير إلى أنموذج من فضلهم، كما أشرنا إلى مثل ذلك، من منبع كل شرف لهم، محمد صلى الله عليه وسلم.

فأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه آمين:

[الشيخ نور الدين ثم محمد ويليه عيسى ذو المحل الأرفع]

فذكر في هذا البيت ثلاثة من أصوله وشيوخه، العلويين النبويين الفاطميين الحسينيين، وهم عيسى، وأبوه محمد، وأبوه علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام علي رضي الله عنهم.

فأما الإمام السيد علي بن جعفر، فهو أبو الحسن شمس أهل البيت، وقمر عترة الرسول، ذو السر المصون، والعلم المكنون، نور الدين علي العريضي، نسبة إلى محل له يسمى العريض، تصغير عرض، على أربعة أميال من المدينة المشرفة. كان مقيما به، وبه مات.

كان رحمه الله عابدا وفيا، جوادا سخيا، عالما كبيرا، وهو أصغر أولاد أبيه سنا، وأطولهم عمرا، ومن أجلهم فضلاً. مات أبوه وهو طفل. أخذ عن أبيه، وصحبه، وأخذ عن أخيه موسى الكاظم بن جعفر، وعن الحسن بن زيد بن علي، وروى عنه ابناه محمد وأحمد، وحفيده عبد الله بن الحسن بن علي، وابن ابن أخيه إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر الصادق، والإمام البزي صاحب القراءة. وطال عمره حتى ألحق الاحفاد بالأجداد، وسمع الناس منه طبقة بعد طبقة.

وكانت ولادته بالمدينة المشرفة، ونشأ بها، ثم سكن العريض. وكان قبره بالعريض. وقد اندرس، ولكن أظهره السيد الجليل زين بن عبد الله بأحسن، وهو الآن معروف. وقال الذهبي في [الميزان]: علي بن جعفر الصادق روى عن أبيه، وأخيه موسى، والثوري، وروى عنه الجهضمي، والبزي، والأوسي، وجماعة، وروى له الترمذي في كتابه، . . . . . انتهى.

وقال أيضا في [الكاشف]، كتاب له، أعني الذهبي علي بن جعفر بن محمد، روى عن أبيه، وأخيه موسى، وروى عنه ابناه محمد وأحمد وطائفة. توفي سنة عشر ومائتين. . . . انتهى.

وأسند عنه في كتابه [الميزان]، أعني الذهبي، عن آبائه إلى علي رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: [من أحبني، وأحب هذين وأبويهما، كان معي في درجتي يوم القيامة]. . . . . انتهى.

وقال الشيخ ابن حجر الحافظ في كتابه [التقريب]: علي بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين من أكابر الطبقة العاشرة. . . انتهى.

وأثنى عليه اليافعي في تاريخه، وذكره القاضي عياض في كتابه [الشفاء]، وأسند عنه، وروى حديثا طويلا في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، وخرج له الإمام أحمد في مسنده، وذكره السيد ابن عنبة، والعمري، والسيد السمهودي.

وكان نفع الله به يؤثر الخمول، ويتوقى أسباب الشهرة والفضول. وخلف أولادا أعقب منهم أربعة رجال؛ أحمد الشعراني، والحسن، وجعفر الأصغر، ومحمد المذكور في القصيدة هذه، وهو الثاني من الثلاثة المذكورين في هذا البيت.

كان محمد رحمه الله ورضي عنه من الأئمة الكاملين، الفضلاء المنتخبين، متفقا على إماماته وجلالته، وعلمه وعمله، وورعه وبراعته. وكان ناسكا عابدا، سخيا كاملا، ملازما للسيرة السديدة، ومؤثرا للخمول، تاركا للشهرة، ولما لا يعني من الجاهات، ذكره في كتاب [بحر الأنساب]، وغيره من أهل التواريخ.

يكنى أبا عبد الله، ويلقب بجمال الدين. وكان ممن يشار إليه، وفي المشكلات يعول عليه، وفي ولده العدد الكثير، وهم متفرقون في البلاد، رحمة للعباد، ولله در القائل سيدنا ومولانا نور الدين، الإمام علي بن أبي بكر باعلوي، فيه أنشد، يقول رحمه الله تعالى شعرا:

فكم أهدى الخليقة من عماها وكم أرقى إلى أعلا المعالي

وقال أيضا رحمه الله : [بابن العريضي الذي مامثله]، أعني الجمال محمدا نور العلا، وله أولاد أعقب من خمسة رجال؛ الحسن، والحسين، وجعفر، ويحيى، وعيسى، وهو المذكور في هذه المنظومة، بقوله : [ويليه عيسى ذو المحل الأرفع].

وكانت ولادة محمد بن علي العريضي المذكور بالمدينة الشريفة، ونشأ بها، وصحب أباه، وتأدب به، ولم يزل تحت كنف أبيه، إلى أن انتقل والده، ولم تطب له الإقامة بالمدينة، فسكن البصرة. وكان الغالب عليه الزهد في الدنيا ورياستها. وكان ورعا سخيا، باذلا نفسه، ذكره السيد ابن عنبة، والعمري، وغيرهما. ومدحه كثير من الشعراء.

فأما ولده عيسى بن محمد بن علي العريضي، وهو الثالث من المذكورين في بيت القصيدة، فهو الإمام الكامل، مجمع الفضائل، السيد الحسيب، النسيب النجيب، الولي القريب، جوهرة الحسينيين، أبو الحسين عيسى بن محمد بن علي العريضي. كان رضي الله عنه ممن تفنن في العلوم، وفاق في أنواع الفضائل والفهوم، ذا سخاوة وفتوة، وعلو وحرية ومروءة. موطنه العراق، ذكره علماء التواريخ وأثنوا عليه.

وقال السيد ابن عنبة في كتابه [عمدة الطالب]، كان عيسى بن محمد نقيب الأشراف، أي المقدم عليهم، يقال له الرومي، لحمرة لونه، ويقال له الأزرق، لزرقة في عينيه. وكان كثير الزواج، ولهذا كثرت أولاده. وكان له ثلاثون ابنا وخمس بنات. توفي بالبصرة.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين :

[وأحمدْ وعبدالله مع علويهم   بصريهم وجديدهم مهما دعي]

أراد بهم أحمد بن عيسى، وابنه عبيدالله، وبني عبيدالله؛ علوي، وبصري، وجديد. فذكر في هذا البيت من أهل البيت خمسة؛ فأولهم :

السيد الإمام، والحبر الهمام، ذو العقل الكبير، والقلب المستنير، أبو الشيوخ عين السادات الأكابر، وأصل النجوم الزواهر، محيي السنة بعد الإندراس، شهاب الدين، المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق.

كان رضي الله عنه، وجزاه عنا خيرا، ممن فاق في المحاسن والفضائل، وعلا في المجد والأخلاق والشمائل، وارتفع في مقام السخاء والكرم والتنزه عن الرذائل. أصله من العراق، من مدينة البصرة. فلما كمل في الطاعة والعبادة، وتنورت بصيرته وأشرق عليه نور الولاية، وظهر فيه سر الخصوصية، مع كبر غريزة عقله، وطيب أصله، ظهرت له حقيقة عواقب الأمور، وانكشف له حقائق الدنيا والآخرة، ومافيهما وما بينهما من منافع وشرور. وشهدت عين بصيرته مايحصل في العراق من الفتن، والمحن، والإحن، فهاجر منها امتثالا لقول ربه تعالى: [ففروا إلى الله. . . .]الآية. واتباعا لجده رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بالهجرة، من أماكن الفتن في الدين ومظانها. وكانت هجرته سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

وكان له في العراق الجاه الواسع، والعيش الرغيد النافع، ولكنه كان له بعقله المستنير، وعلمه البسيط الغزير، نظرٌ عظيم في سموم الشهوات، وفيما به تحصل السعادة العظمى، والدرجات والفوز في العقبي، ولذة النظر إلى وجه الله المليك الأعلى، فزهد فيما سوى ذلك، فهاجر بنفسه ودينه وأهله، ومن قبل مشورته من عشيرته وأصحابه، عن وطنه في رضا ربه، واحتمل المشقة والتعب في ذلك، رغبة فيما هنالك، من جزيل الثواب، وحسن المآب، وزهدا في حظوظ الدنيا، وفرارا إلى حضرة المولى، وطلبا للسعادة العليا، ولمشقة الغربة علت للهجرة الرتبة.
فعنه عليه السلام: [الغربة موت شهادة]. فرحل بمن معه من البصرة إلى المدينة المشرفة، ثم إلى مكة المنيفة، ثم تنقل في قرى اليمن إلى

حضرموت، من بلد إلى بلد، إلى أن استوطن حضرموت. ثم استقر بتريم أولاده وذريته.

وكان في كل أحواله وأموره يطلب من الله الخيرة، ويكرر الاستخارة، وكل ذلك بأمر من الحق سبحانه وتعالى له. وإذن وإشارة، أعني ايداع السلالة النبوية، والعصبة العلوية، في البلد المحروسة، ببركة الرسول المصطفى. وقد رآه عليه السلام بعض الأخيار، يقول لأهل تريم: [إن لنا عندكم وديعة. من أغضبها أغضبنا، ومن أرضاها أرضانا]، أو ماهذا معناه.

وفيهم قال سيدنا الشيخ الإمام علي بن أبي بكر علوي، قال: واستمدادنا في ذكرهم هنا، بما قال شعرا رضي الله تعالى عنه ونفع به آمين:

فأعظم بسادات حووا في انتسابهم ... على شرفي مجد يطول ويكبر
بنو علوي الاكرمون بهم علت ... تريم ومن فيها يعز ويفخر
محبهم والجار يسمو بفضلهم ... وفضل نداهم للأباعد يغمر
وأسرارهم تمتد من بحر أحمد ... إلى جاههم أم البرايا وكبروا
هم العترة الكبرى ونسل محمد ... بهم نسأل الرحمن للحال يجبر
ويشملنا باللطف والفضل والرضا ... ويستر كل العيب والذنب يغفر

وخرج سيدنا أحمد بن عيسى المهاجر، ومعه ولده عبيد الله، وأولاده الثلاثة: علوي، جد بني علوي؛ وبصري، جد بني بصري؛ وجديد، جد بني جديد، إلى وادي حضرموت. وكلهم أشراف سنيون، علماء عاملون، ذائقون صالحون.

ولقد قال الشيخ الإمام فضل بن عبدالله بن فضل: خرجت مني كلمة حمدت الله عليها، قلت: من لم يحسن الظن بآل أبي علوي، مافيه خير. وكان له فيهم محبة أكيدة، وصفاء عقيدة. وكان صاحب

مراقبات عظيمة، ومحاسبات، وشدة ورع، واحتياط عما لايعني. ومع ذلك كان يطنب جدا في الثناء على آل باعلوي، والمدح لهم، والتبجيل والاحترام، ويذم من غفل عن قدرهم، ويشنع جدا عليه، ويستفظع أمر من قصر فيهم، أواستهان بهم. وهذا أعظم دليل على تضلعه في حقائق الدين، وامتلائه من التحقق باتباع سيد المرسلين، وانكشاف حجب عن بصيرته لتجلي حق اليقين.

ولقد رأت سلطانة بنت علي الزبيدي رحمهاالله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم دخل دار بعض السادة آل باعلوي، وهو يقول: [هذا دار الأحبة. هذا دار الأحبة].

ولقد أحسن سيدنا الناظم، أبو الحسن، أعني شيخنا صاحب القصيدة هذه، العينية، حيث قال من قصيدة له [وصاحب البيت أدرى بما فيه].

ثم قال رضي الله عنه آمين:

تحامى عن الدنيا وهاجر فارا ... إلى الله والأحداث ذات ضرام
من البصرة الخضراء يخترق القرى ... ويلحق أغوارا لها بآكام
إلى أن أتى الوادي المبارك فارتضى ... ومد به أطنابه لخيام
فأصبح فيه ثاويا متوطنا ... بذرية مزمومة بزمام
من البر والتقوى وحسن شمائل ... كرام السجايا أردفت بكرام
بهم أصبح الوادي انيسا وعامرا ... أمينا ومحميا بغير حسام

. . . . إلى أن قال:

أولئك وراث النبي ورهطه ... وأولاده بالرغم للمتعامي

أشار بذلك إلى أحمد بن عيسى، ومن تبعه من بني عمه، جد السادة بني الأهدل، وجد السادة بني قديم. ولما استولى أخوه الإمام محمد بن عيسى على العراق، أتى إليه، ووعظه موعظة عظيمة، فترك ذلك،

ورغب في الدار الآخرة، اقتداء بسلفه رضي الله عنهم أجمعين. وتخلف بالعراق ولد السيد أحمد بن عيسى محمد بن أحمد على أموالهم بالبصرة. وتوفي بها وله بها عقب. وتوفي السيد أحمد بن عيسى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

ومن أسباب ارتحاله إلى حضرموت، غلبة أهل البدع، ودخول الأذى على الأشراف العلويين، وشدة الإمتحان لهم، وظهور طائفة الزنج الملاعين، وفتكهم بالمسلمين، واستيلاؤهم على البصرة وماقاربها من البلاد، وسبوا نساء المسلمين، ونادوا على المرأة بدرهمين، وقتلوا في يوم واحد ثلاثمائة ألف.

وذكر الصولي أن جملة من قتلوه في تلك الواقعة؛ ألف ألف وخمسمائة ألف، وزعم كبيرهم بهبول أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زين العابدين. وهذا النسب لم يصح. وكان يسب عثمان، وعليا، وطلحة، والزبير، وعائشة، ومعاوية. وهذا رأي الازارقة.

وكان الخليفة يومئذ المعتمد بن المتوكل. وكان منهمكا في اللذات، وأموره بيد أخيه الموفق، فقام لهم، وقتل كبيرهم بهبول، وهبت ريح صفراء، ثم صارت خضراء، ثم سوداء، وامتدت في الأمصار، ووقع عقيبها بَرَدٌ عظيم، وزن البردة مائة وخمسون درهما، ومطرت قرية بحجارة سوداء وبيضاء.

وظهر بالبحرين القرمطي، أبو سعيد، نسبة إلى قرمطة، إحدى قرى واسط، وتفاقم أمره، وانضاف إليه بقايا الزنج. وكان ظهوره سنة ست وثمانين ومائتين، واستمر إلى أن مات، سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وأغار على البصرة سنة سبع وثمانين ومائتين، وسار إليه العباس الغنوي في عشرة آلاف، فكسره القرمطي، وقتل وحرق، وأسر جميع من معه، ورجع إلى المعتضد وحده، ثم فاض البحر، فغير كثيرا، وهبت ريح بالبصرة، قلعت عامة نخلها، وكثرت الأمراض والعلل

بالعراق سنة ثلاثمائة. وكلبت بها الكلاب والذئاب، فأهلكت خلقا كثيرا، وانقضت الكواكب انقضاضا شديدا، ودخلت القرامطة البصرة، فقتلوا فيها وسبوا ونهبوا، واستباحوا الحرم. ورمى الناس نفوسهم في الماء في سنة ثلاثمائة.

وجرى في سنة تسع وثلاثمائة فتن وأهوال، وقتل الحسين بن منصور الحلاج ببغداد. فهاجر السيد أحمد بن عيسى المذكور سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما سبق. وممن هاجر معه من الموالي والأخدام، مخدم بضم الميم وفتح الخاء المعجمة، وتشديد الدال المهملة. وهو من عرب البصرة، ومن مواليه مختار، وشَوِيهْ بفتح الشين المعجمة، وكسر الواو وإسكان الياء. ولهؤلاء الثلاثة عقب بحضرموت محترمون. وقد سبق أنه ارتحل معه جد السادة الأهدل، بفتح الهمزة وسكون الهاء، ودال مهملة، بعدها لام، معناه الأقرب والأدنى، يقال هدل الغصن: إذا دنا وقرب. وقال الفاكهي: سمي بالأهدل، لأنه على الإله دل.

ومنهم علي بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن جمجام بن عوف بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ولكنهم أخفوا شرفهم، وكذا بنو قديم بضم القاف، يرجعون إلى محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر.

وفي سنة ثمان عشرة وثلاثمائة حج الإمام أحمد بن عيسى ومن معه من بني عمه ومواليه، ثاني سنة من خروجه. ثم لما وصل حضرموت، دخل الهجرين، وأقام بها، واشترى بألف وخمسمائة دينار نخلا وعقارا، ثم وهبها عتيقه شويه، وسار منها فسكن قارة بني جشير تصغير جشر، أوجشيب بالموحدة، فلم تطب له، فرحل عنها إلى الحسيسة بضم الحاء وفتح السين المكررة المهملتين بينهما تحتية مكسورة، قرية على نصف مرحلة من تريم، فاستوطنها واشترى أكثر أرض صوح، بفتح المهملة وإسكان الواو وآخره حاء مهملة، هي من القلعة المعروفة فيها إلى أعلى

مدينة بور، بفتح الموحدة، والبير المشهورة التي حفرها علوي بن عبيد الله بن أحمد المذكور، وطواها أي ظفرها بحجارة كبار، وكتب اسمه على كل حجر من الجبل الأعلى، وهو المدماك.

ولما استقر السيد أحمد هناك، قصدته الأخيار، وأُعْمِلَتْ إليه المطى. وقام بنصرة السنة، وتاب على يديه خلق كثير، ورجع إلى السنة جم غفير، فسلمت الذرية والأتباع، مما شان أهل العراق من البدع، وقبيح المعتقد، فصارت هذه الذرية أوتادا لتلك البلد.

وانتقل، أعني السيد أحمد هناك بشعب الحسيسة، الشرقي المعروف بشعب مخدم. وكان أكابر السادات بقصدونه بالزيارة، لاسيما الشيخ عبد الرحمن السقاف، والشيخ عبد الله العيدروس، فكانا كثيري الزيارة للشعب المذكور. وكانت الحسيسة قرية عامرة إلى أن أخربها عقيل بن عيسى الصبراتي، سنة تسع وثلاثين وثمانمائة.

وأما الثاني من الخمسة المذكورين في بيت القصيدة هذه، فهو الإمام البارع، والبدر الساطع، ذو التواضع الحقيقي، والسر المصطفوي، والسمت النبوي، السيد عبيدالله بن أحمد بن عيسى. كان إماما جوادا، وحبرا راسخا، ذا كرم وسخاوة، ومروءة وتقى، وكمال خلق، وبر ووفاء، سما حاله في الخيرات والمحاسن. وكان من شدة تواضعه، وكمال معرفته لنفسه، لايتسمى بعبد الله، بل يصغر اسمه عبيد الله، إجلالا لربه، واحتقارا لنفسه. ولا يرضى بغير التصغير. وكان ممن خصه الله بمجامع المجد الأثيل، وكمال المحاسن والفضل الجزيل، ومنحه من طيب الذرية وصلاحها، وانتشار بركاتها في جميع الآفاق وجهاتها، وفيض النفحات على الخلق مما لم يجتمع لغيره، ولم يعرف لمثله. فطاب منه الأصل والفرع، وكمل حاله في الفرق والجمع، وزكا نوره في جمع الجمع. وفيه قال الشيخ السيد نور الدين علي بن أبي بكر، بعد ذكره لهذه الترجمة شعرا:

عفيف الـدين عبـد الله أكـرم　　بـذاك الفحـل والحـبر الجليـل
أبي الأشـراف معدن كـل جود　　وبحـر العلم سيدنـا الفضيـل

تأدب الإمام عبد الله بأبيه، الإمام أحمد بن عيسى، وتخرج عليه، وأخذ عن غيره من علماء عصره. واجتمع في مكة المشرفة بالشيخ أبي طالب المكي، وقرأ عليه كتابه [قوت القلوب]، سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، ذكر ذلك في كتاب [الياقوت الثمين]، وذكر جملة من أخباره ومناقبه، وبَجَّلَه وأثنى عليه، وعده من كبار العلماء، وعظماء المشايخ. وقال: كان السيد عبيدالله المذكور، إذا وضع بين يديه مريض، ونفث عليه، أو مسح جسده، برىء.

وله كرامات كثيرة، قال: وكان إذا جذَّ تمره، وجعله في الجرين، تصدق بجميع ماكان في البيت من التمر الأول، وإن كثر، ويقول: هذا شكر نعمة، ودفع نقمة. وكان صاحب غلة كثيرة، وذكره غيره من أرباب التواريخ، وعلماء الطبقات، وهو الذي خلف أباه زهدا وعلما وعبادة. وارتحل بعد والده إلى سمل، ووهب أرض صوح لمولاه جعفر بن مخدم. واستوطن بسمل، واشترى بها أموالا، وتـزوج بابنـة سمل، وأولدها ابنه جديدا. وتوفي بسمل سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. ورثاه جماعة من الأدباء، وللمتأخرين فيه مدائح كثيرة.

وأما الثالث من الخمسة المذكورين في البيت، فهو الإمام الأواب، صفـوة الأحبـاب، ونقـوة الجـواهـر، السـادة الأطيـاب، ذو الخلق المصـطفوي، والسر العلوي، والإرث المحمـدي، والهمم العـوالي، والعزائم السوامي، شيخ الأنام، وفخر الإسلام، أبو محمد علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى.

وكان رضي الله عنه ممن رسخ في العلم والدين قدمه، وعلا في مراتب الفضائل مقامه، وسما في أحوال العارفين حاله، وفاضت على الخليقة

بركاته، وعمت الكون نفحاته، وهو أحد الأئمة الكبار الكاملين، والمشايخ العارفين، وأحد العلماء العاملين، والفقهاء الزاهدين، وأحد العباد المخلصين، ومن أهل العناية بعموم المسلمين، والرأفة والرحمة بالفقراء والمساكين.

وكان جوادا سخيا، متواضعا شريفا ماجدا، سنيا شافعيا. ولد بحضرموت ونشأ بها، وحفظ القرآن، واشتغل بطلب العلوم، وسمع بحضرموت ومكة والمدينة، وجد واجتهد، وتأدب بأبيه عبيدالله بن أحمد، وسلك طريقته، وبرع في فنون العلوم. وكان كثير المجاهدة والرياضة. وكان كثير القيام والصيام، والورع التام، كثير التصدق والإحسان. وله العقب الطويل، المنتشر المبارك، الكثير الطيب، آل باعلوي، به يعرفون، وإليه ينتسبون.

وهو أول من سمي علوي، وهو في الأصل اسم طائر معروف. وأولاده رضي الله عنهم ذرية بعضها من بعض، فجميع آل باعلوي منسوبون إليه في جميع الأرض، وآل جديد وبصري، أخويه، انقرضوا. وبقي بنو علوي، وهم المعروفون الآن في جميع النواحي والأقطار، المشهورون عند جميع الأجناس من الناس، ونسبهم أشهر من الشمس وقت الزوال، وأوضح من البدر ليلة الكمال، إلا أنه قد حصل في زمن سابق إنكار، وطلب منهم تصحيح نسبهم، فسافر الإمام شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن محمد بن جديد إلى العراق، وأثبت نسبهم، وأشهد على ذلك نحو مائة عدل ممن يريد الحج، ثم أثبت ذلك بمكة، وأشهد عليه جميع من حج من حضرموت، فانقشعت سحب الأوهام، وتبلجت غرة الشرف العلوي، وأميط عنها اللثام، وأنشد لسان الحال شعرا:

وجحود من جحد الصباح إذا بدا ... من بعد ماانتشرت له الأضواء
ماذاك أن الشمس ليس بطالع ... بل إن عينا أنكرت عمياء

فأنشد شعرا:

أراك على شفا خطر مهول ... بما أودعت رأسك من فضول
طلبت على تقدمنا دليلا ... متى احتاج النهار إلى دليل

وكان الشيخ السيد علوي المذكور ممن جمع بين كمالي الشرف والنسب، وجمالي المجد والحسب، وفاق في جميع الآفاق، وخلف ذكرا باقيا سطرت فضائله في الأوراق. ذكره العلماء وأرباب التواريخ، وأصحاب الطبقات، وأجلوه وأثنوا عليه وبجلوه، وذكروا أنه لما سار ليؤدي فرض الحج، ويزور قبر جده محمد صلى الله عليه وسلم، عزم معه نحو ثمانين رجلا، غير حاشيته وحشمه، وعزم معه أخوه جديد. فكان ينفق على جميعهم مدة سفره، إلى أن رجعوا غير من صحبهم في الطريق، نفقة طيبة. وأخذ جمالا كثيرة للمنقطعين والعاجزين على المسير، وأرسل أخاه جديدا إلى العراق ليقبض ماالهم هناك، ولم يكن له إلا ابن واحد، وهو محمد، سيأتي ذكره في البيت الآتي.

وأما الرابع من الذين ذكروا في البيت، فهو الإمام الهمام، سيد الأنام، ابن سيدنا الإمام، طويل الباع في الفضائل، قوي النسب في الوسائل، الشريف العفيف، المطهر المنيف، بصري بن عبد الله بن أحمد بن عيسى، وهو شقيق علوي، أمهما بنت السيد الشيخ محمد بن عيسى، تدعى أم البنين.

سمع من أبيه عبد الله بن أحمد، وأخيه علوي بن عبد الله، وتأدب بهما، وتعلم العلوم مع الورع التام، والزهد في الرياسة. وكان من أحسن الناس سيرة وخلقا. وله ذرية مشهورون بسعة العلوم، ذووحرية وفتوة، ومعادن أسرار وعلوم ومروءة، وبيت صلاح وعلم ومعاملات صادقة، وأحوال خارقة. وكان لهم حافتان في مدينة تريم، حافة بقرب مسجد العيدروس، وحافة بقرب مسجد الحبوظي.

وممن اشتهر من ذريته؛ الشيخ الكبير، القدوة العالم النحرير، سالم بن بصري، صاحب المقامات العلية، والأحوال السامية السنية، والكرامات الخارقة العلية. وفيه يقول الشيخ الإمام العالم الكبير، محمد بن أحمد بن أبي الحب، بعد أن أثنى عليه ثناء عظيما، شعرا:

أيا سالم قلبي عليك محرّق فلاتعذلوني إن دمعي قد ذرف

.... إلى أن قال:

فموت ابن بصري على الدين ثلمة وموت ابن بصري لظهر العلا فصف

وكان سالم المذكور رحمه الله تعالى ونفع به، من خواص العلماء بالله وبأحكامه، المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله، الكاملين في الإقتفاء والإقتداء بسيد المرسلين، المقتدين بشريعته، السالكين طريقته، والمشتمّين لروائح نفحات عواطر أسرار حقيقته، بحر جود وكرم، معدن أسرار وأنوار فيضها طما وعم، فضائله كثيرة، ومناقبه غزيرة، وكراماته في آفاق الوجود شهيرة منيرة، ولكنا نقتصر من كثيرها على قصة ذكرها الأئمة في تواريخهم، ومسطور كتبهم، تكفيك دلالة على عظيم فضله، وكبر حاله، وارتفاع شأنه، وعلو مجده ومكانه، قالوا رضي الله عنهم، وذكروا القصة المشهورة، والمنقبة المذكورة، وهكذا ترجمه الشيخ السيد الإمام على بن أبي بكر في كتابه [البرقة] من قولي هنا. وكان سالم المذكور، هكذا ترجمه الشيخ السيد. وهذا الكتاب من أجل مااعتمدت عليه في نقل مناقب سادتنا ومشائخنا، آل أبي علوي، أعني كتاب [البرقة] للشيخ علي بن أبي بكر المذكور، نفعنا الله بهم أجمعين.

وحاصل المنقبة أن السلطان جمع المشائخ والأخيار، وقال: اختاروا لي خيار أهل تريم. فاختاروا له جمعا كثيرا منهم. ثم قال: اختاروا لي خيار هؤلاء. فانتقوا جمعا من أعيان هؤلاء. ثم قال: انتقوا لي أفضلهم.

فاختاروا له جمعا، فمازالوا يختارون له إلى أن قال: اختاروا لي واحدا هو أفضل الكل. فاختاروا سالم بن بصري المذكور، فامتحنه امتحانات كثيرة عظيمة هائلة، تخجل من بعضها أكابر الفحول. وكان فيها كالطود الراسي، ولم يكترث بشيء من ذلك، بل ظهر فيه الميراث النبوي، والسر المصطفوي، سيما عند دخوله على المرأة الجميلة متزينة، وتعلقها به، منخلعة عن ثوبها، تراوده عن نفسها، وضربه لها بنعله، ووقوع الجذام مكان ضرباته في جسدها، ثم اعتذار السلطان له، وتشفعه للمرأة إلى الشيخ سالم ليبريها، وتفله وقراءته في الماء من غير تغير خاطر للسيد المذكور، وشفاء المرأة المذكورة مما بها ببركته، رحمه الله ونفع به، وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتوفي الشيخ السيد سالم بن بصري المذكور، سنة أربع وستمائة، وفيها توفي الإمام علي بن يحيى بن ميمون الحضرمي التريمي. وفيه بنيت القارة، وأخربت قرية كُحلان.

وذكر السيد الجليل محمد شِلّيه، أن السيد سالم المذكور، أخذ عن الشيخ سالم بن فضل بافضل، ورحل إلى اليمن والحجاز، وأخذ بهما عن كثيرين علما، وأنه أخذ عنه جماعة، منهم؛ سيدنا الأستاذ السيد الفقيه المقدم، محمد ين علي باعلوي، وابن أبي الحب، والشيخ علي بامروان، والقاضي أحمد باعيسى، والشيخ علي بن محمد الخطيب، صاحب الوعل. . . . انتهى.

وكتاب السيد محمد شليه المذكور من جملة مااعتمدت عليه في نقل مناقب سادتنا آل أبي علوي في كتابي هذا، وهو كتاب كبير سماه [المشرع الروي في مناقب آل بني علوي].

وأما الخامس من المذكورين في هذا البيت من العينية، فهو السيد الجليل، والإمام الحفيل، ذو القدر النبيل، والنسب الأصيل، الشيخ جديد بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى. ولد بحضرموت، ولأجل هذا

سمي جديدا، لتجدده بعد السفر. أمه أم ولد، أخذ عن والده عبيد الله وأخويه علوي وبصري. وتأدب بهم، وسمع منهم ومن غيرهم. وكان مع دينه وفضله متفننا في علوم الأدب، وله ذرية صالحة، الغالب عليهم العلم والعبادة. وكان حافتهم المختصة بهم عند المسجد المعروف، بمسجد بروم، أصله مسجدهم، عمره السيد أحمد بن حسن بن محمد بن علوي بن عبد الله بن علي بن الشيخ عبد الله باعلوي.

توفي بقرية سمل، كأخويه. ولم يتحقق تاريخ وفاتهم، وقيل إن جديدا المذكور انتقل إلى بيت جبير، وانقرض بنو بصري في القرن السادس، وانقرض بنو جديد على رأس المائة السادسة.

ومن أولاد السيد جديد المذكور، مشائخ أكابر، وأئمة وصفوة، كالشيخ الكبير، والإمام الشهير، الإمام المحدث، القدوة، نور الدين علي بن محمد بن أحمد بن جديد بن علي بن محمد بن جديد المذكور. كان إماما في جميع العلوم، لم يكن له نظير في زمنه، خصوصا الحديث والتفسير. سافر من بلده تريم بعد تحقيقه في العلوم، مع كونها حينئذ معمورة بكثرة الأئمة والعلماء والأولياء، بعد مابلغ رتبة الإمامة. فسار إلى جبال اليمن، واجتمع بعلماء الأقطار شرقا وغربا، حتى الهند وظفار، وكثر اختلافه إلى الحرمين الشريفين، وانتفع به عالم من الخلق من جميع الجهات، وتفقه به كثير من الأكابر، وفاضت بركاته على العباد، وغمرت نفحات سره جميع البلاد، وصار له في الوجود ذكر شائع.

لقي بعدن القاضي الكبير، إبرهيم بن أحمد القرضي، وأخذ عنه المستصفي، كما أخذه عن مصنفه، وقدم السيد علي بن محمد وأخوه عبد الملك بن محمد إلى بلدة الوجيز لزيارة الشيخ الكبير، العارف بالله، مدافع بن أحمد المعيني، ثم الخولاني، فأخذا عنه و صحباه، وألبسهما وحكمهما وأجلهما وأجازهما وزوجهما بابنتيه، وقد كوشف بهذا التزويج من قبل. ورد جماعة خطبوهما من الأعيان في الدنيا والأديان.

وكان الشيخ مدافع ممن أجمع على كماله، وأخذ يد التصوف عن الشيخ الإمام الحداد، تلميذ الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني. وأخذ الشيخ مدافع أيضا عن الشيخ عبد القادر بلا واسطة.

وللسيد علي بن محمد أبي جديد، أخ اسمه عبد الله، كان من الأئمة الأوتاد الكبار، أثنى عليه الشيخ محمد بن أبي الحب التريمي ثناء عظيما، نظما ونثرا. توفي قبل أخيه علي بن محمد بتريم. وكان أخوهما، عبد الملك، من أكابر العلماء والزهاد، وأفاضل الأئمة، أخذ يد التصوف مع أخيه علي عن الشيخ مدافع المذكور.

وقد ترجم السيد علي بن محمد بن أبي جديد المذكور جماعة، منهم؛ الإمام الجندي، وابن سمرة، والإمام السيد حسين بن عبد الرحمن في تواريخهم. وذكرهم هو وأخوه، عبد الملك الغساني عباس بن علي في كتابه [العطايا السنية في المناقب اليمنية]، والفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة، في كتابه الذي كمل به طبقات الأسنوي.

وأخذ السيد علي بن محمد أيضا بمكة، عن ابن أبي الصيف اليمني، وأقام بمكة في آخر رحلة إليها، إلى أن توفي بها، سنة عشرين وستمائة، وأخذ عنه جماعة، منهم؛ الفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمي، والد الشيخ اسماعيل، والإمام الجندي، والفشلي. وتوفي أخوه عبد الملك سنة أربع عشرة وستمائة، وتوفي أخوه عبد الله سنة ثمان عشرة وستمائة.

وكتاب المستصفى المذكور آنفا له شأن عظيم، مصنفه الشيخ محمد بن سعيد. رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بقراءته، ويشير إلى بركته، ودعا لمصنفه بالتثبيت، وأن من قرأه كاملا دخل الجنة، وهو بحمد الله عندنا وتحت نظرنا، وحال الكتابة هذه والولد علوي يقرأه علينا، بلغنا الله جميعا الظن الجميل فيه تعالى.

وذكر جماعة من العلماء أن السيد علي بن محمد بن جديد

المذكور، أول من حذف السند، وقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستحسنه العلماء، واتبعوه عليه.

وقال السخاوي في كتابه [المقاصد الحسنة] نقلا من كتاب [موجبات الرحمة] للرداد، وروي عن الفقيه محمد بن سعيد الخولاني، قال: أخبرنا الفقيه الصالح، أبو الحسن علي بن محمد بن جديد الحسيني، أخبرنا الفقيه الزاهد البلالي، عن الخضر عليه السلام، أنه قال: من قال حين يسمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله [مرحبا بحبيبي، وقرة عيني، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم]، ويقبل إبهاميه، ويجعلهما على عينيه لم يعم ولم يرمد، ونقل ذلك عبد الله بن عمر بامخرمه رحمهما الله تعالى. وقال: وكان الوالد كثيرا مايأمرني في الصغر بالمواظبة على ذلك.

وقال العلامة محمد بن عمر بحرق، في [تجريد المقاصد عن الأسانيد والشواهد] حيث قال: من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم حين يسمع ذكره في الأذان، وجمع إصبعيه المسبحة والإبهام، وقبلهما، ومسح بهما عينيه، لم يرمد أبدا، ضعيف، لكنه مجرب . . . . . . انتهى.

وكان السيد علي بن محمد المذكور، ممن بلغ رتبة الإجتهاد، وممن تفرد بعلو الإسناد، وشيوخه نحو ألف.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[وسليل علْوي على منهاجه وسليله فمُسَلِّمٍ في المركع]

ذكر في هذا البيت ثلاثة: [سليل علوي] أي ابنه، وهو محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد ين عيسى. وقوله: [على منهاجه] أي طريقته وسيرته. ومتبع لأبيه ومقتد به. وقوله [وسليله] هو علوي بن محمد بن علوي المذكور، بن عبدالله بن أحمد، وهو أعني علوي المذكور والد علي

بن علوي المشار إليه في البيت، بقوله [فمسلم في المركع] وهو علي بن علوي المذكور هنا، ابن محمد المذكورين هنا، ابن علوي المذكور في البيت قبل هذا، وهو علوي بن عبدالله أخو بصري وجديد بني عبدالله بن أحمد بن عيسى.

[والمسلم في المركع]، هو خالع قسم، علي بن علوي بن محمد، وهو وأبوه علوي، وجده محمد، هم المذكورون في هذا البيت.

فأما الأول، فهو الإمام العالم الهمام، علي المقام، بركة الأنام، السيد الشريف السني، جمال الدين محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن عيسى. كان رضي الله عنه ونفع به ممن كمل في الورع والزهد والعبادة، وصلاح المقال والأعمال والأحوال، وحسن الأخلاق، ولطف الشمائل، ومجامع الفضائل، ذا رأفة ورحمة للمسلمين، وشفقة ولطف باليتامى والضعفاء والمساكين. ذكره العلماء، وأرباب التواريخ، وأصحاب الطبقات، وأثنوا عليه، وفخموا شأنه ومقامه وحاله. وكان بليغا أديبا، فصيحا ذكيا، له الباع الطويل في أجناس العلوم. توفي رحمه الله وله من العمر ستة وخمسون سنة، ولد ببيت جبير، الكثير البركة والخير، وبها نشأ، وصحب أباه علويا، ومن في زمنه من الأئمة، السادة العلويين والبصريين، وبني جديد، ولاعرف تاريخ وفاته وقبره، جمعنا الله به وبسلفه، مع نبيه في جواره في عافية، آمين.

وأما الثاني، وهو المشار إليه بقوله؛ [وسليله]، فهو الإمام نور الأنام، الصوام القوام، الهمام الضرغام، ذو الهمم العلية، والعزائم المصطفوية، والنفس الزكية الأبية، السيد الجليل، عديم المثيل، الولي الحفيل، أبو علي علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى. ذكره أرباب التواريخ وأثنوا عليه، ومدحوه وأجلوه. وكان من الأئمة الكاملين، والمشايخ العارفين، والعلماء العاملين، والزهاد العابدين، والصديقين والمخلصين. وكان جوادا سخيا، متواضعا تقيا،

ماجدا عفيفا، تأدب بأبيه، وسلك مسلكه، وصحب جماعة من الأكابر، ولم تعرف له صبوة. ومدحه جماعة، منهم؛ تلميذه الفقيه يحيى بن عبد العظيم الحاتمي التريمي. مدحه بقصيدة عظيمة، منها قوله رحمه الله:

هل في البلاد كمثل علوي الفتى ... فحل نمته الصيد في الإقليم
شيخ تمكن في علا جرثومة ... نبوية علوية بعلوم
يزهو به إقليمنا جذلا به ... يعلو سرورا مفرطا بحريم
هذا فريع العصر وابن فريعه ... ولباب بحر الفخر والتعظيم
وأبوه أخوف جانبا من ربه ... فالقطر قد حياه بالتسليم
نظر العواقب بالبصيرة فانثنى ... يتلو كتاب الله بالتفهيم
ومعالم العلم الشريف مريده ... طول الحياة خبير بالتعليم

ولد رحمه الله تعالى ببيت جبير، تصغير جبر، ونشأ بأحسن سيرة، أمه من آل جديد، ومات ببيت جبير، ودفن بها. وذلك سنة اثنتي عشرة وخمسمائة.

وأما الثالث المشار إليه في بيت القصيدة بقوله؛ [فمسلم في المركع].

ثم قال:

[رد الرسول عليه مثل سلامه ... ياشيخ فاعجب للفخار الأجمع]

فهو السيد الإمام، الشيخ الكبير، العلم الشهير، مجمع الفضائل والمحاسن، والأنوار والأسرار، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد. كان رضي الله عنه ممن خصه الله بسره، ونور بصيرته، وأشهده جمال كمال حظيرة قدسه، وعالي شريف جناب أنسه. وأظهر كراماته وأشهر مناقبه وآياته، له الحظ الوافر في الكشف والمشاهدة، والقسط الكبير في النور والفراسة، واحد الوقت وفريد الدهر، وعين أعيان العصر ونادرة الدهر. ذكره الأئمة في

طبقاتهم، وعلماء التواريخ، وذكروا له المنقبة العظيمة. المشار إليها هنا في القصيدة، بقول الناظم رحمه الله تعالى ورضي عنه:

[رد الرسول عليه مثل سلامه   ياشيخ فاعجب للفخار الأجمع]

وذلك أنه رضي الله عنه، كان إذا قال في الصلاة أو غيرها، وهو في بلدة تريم أوغيرها: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. يكررها حتى يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: وعليك السلام ياشيخ. ذكر ذلك الجندي، والشرجي، وابن حسان، وغيرهم من العلماء، مثل العلامة الشيخ الخطيب في كتابه [الجوهر الشفاف]، وهي أول حكاية فيه.

وأشار إلى ذلك سيدنا، وشيخ شيوخنا، شيخ المشائخ، السيد علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بقوله رضي الله عنه ونفعنا به:

إلى نجل له يسمى عليا   له بالمصطفى فخر جديد
إذا بدأ السلام عليه حينا   سمع لجواب أحمد مايريد
سلاما وافيا وبه تمام   به تمجيده وله المزيد
وذلك يقظة في كل حين   أعاد سلامه فله يعيد

وقوله، أعني الشيخ علي بن أبي بكر في هذه الأبيات [له بالمصطفى فخر جديد] أعني، اختص بهذه المنقبة في السادة أهل الفخر النبوي، لأن لهم فخرا عاما، اختصوا به على سائر الخلق. وجُدد للشيخ علي بن علوي المذكور فخر مخصوص به، كما قال الشيخ علي بن أبي بكر في قصيدة أخرى، بقوله رحمه الله تعالى، شعرا:

وسل بعلي نجله الحبر من له   خصوصية عن خير رسل مقرب
إجابة خير الخلق عند سلامه   بأكمل تسليم وتعظيم موهب

وهذه الخصوصية مقام عال، لايختص به إلا أفراد الأولياء، وأكابر

الأصفياء. ولايحظى به ويناله إلا من قد ترقى في أعلى مراقي القرب، ومن تحقق به، فقد جمعت له فضائل الشرف، وأعلى معالي المجـد، فاعجب في هذا السيد للفخار الأجمع لكل فضل.

وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراوي أنه لايصل إلى مقام الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسماع صوته بالرد عليه السلام إلا من قد قطع مائتي ألف مقام، وسبعة وأربعين ألف مقام، وتسعمائة وتسعة وتسعين مقاما من مقامات الأولياء.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي لأصحابه: أفيكم من إذا سلم على رسول الله في صلاته، سمع رده السلام عليه بأذنه؟ فيقـولون: لا. فيقول: ابكوا على قلوب محجوبة عن الله تعالى وعن رسوله.

أما علي بن علوي المذكور، فقد سمع رد الرسول في الصـلاة وغيرها، وسمع خطاب النبي صلى الله عليه وسلم السـلام بقولـه: ياشيخ! فالنداء من معدن الوحي، والنبوة بالشيوخة منقبة أخرى.

ولقد رأى بعض الأكابر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له: ياشيخ!. وكان يفتخر بذلك، ولما قبر بعض الموتى إلى جنب قبر السيد علي بن علوي المذكور، سمع قائلا يقول: أتفزع، وأنت إلى جنب علي بن علوي، خالع قسم؟ وكانت للسيد علي بن علوي رحمه الله ونفع به اليد الطولى في المكاشفات والمشاهدات. وكان حسن الأخلاق، كثير الإكرام والإنفاق، متواضعا.

ولد رضي الله عنه ببيت جبير، ذات البركة والخير، ونشأ بها، وأخذ عن والده. وكان يتردد إلى تريم، ثم سكنها هو وإخوانه وبنو عمه، سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وتوفي بها سنة نيف وعشرين وخمسمائة، أو هو تسع وعشرون محققا وخمسمائة، ودفن بمقبرة زنبل، وسمي خالع قسم، لأنه اشترى أرضا بعشرين ألف دينار، وسماها قسم، باسم أرض بالبصرة، كانت لأهله، وغرسها نخلا، وبنى دارا فيها ينزلها أيام

الرطب. فبنى جماعة بيوتا عند داره، حتى صارت قرية، وهي قرية قسم المشهورة المعروف بها السيد المعروف بالمعروف، الموصوف بكمال الوصوف.

وله أولاد علماء، زهاد، صديقون، عقلاء، منهم؛ الإمام عفيف الدين عبد الله، ذكره الجندي في تاريخه، وأبو القواجي في تلخيصه، ومنهم محمد صاحب مرباط، وهو الذي أشار إليه شيخنا في القصيدة بقوله رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين:

[ونزيل مرباط إمام جامع أصل لأشياخ الطريق مُفَرِّعِ]

منسوب إلى مرباط ظفار القديمة التي على الساحل، قبل وجود ظفار الجديدة، التي أحدثها أحمد بن محمد الحبوظي، المضافة إليه. وانتقل الشيخ محمد بن علي من حضرموت إلى مرباط ظفار القديمة. واشتهر فيها شهرة عظيمة. قال في القاموس: مرباط كمحراب، بلد بساحل بحر الهند. وظفار بلد قريب من مرباط، إليه ينسب القسط، لأنه يجلب إليه من الهند..... انتهى.

وبها توفي سنة ست وخمسين وخمسمائة. وقبره بها مشهور بإفاضة البركات، واستجابة الدعوات، شعرا:

وكم ظفرت ظفار من سعاد بمدفن كنزها البدر الجليل

وهو السيد الشيخ، الإمام العلامة، ذو القدم الراسخ، والمجد الباذخ، والحبر البارع، والبحر الواسع، أبو عبد الله محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله. كان متفننا في جميع أجناس العلوم، وحيد عصره، علما وعملا وحالا. وفريد دهره، زهدا وورعا، وعبادة وصلاحا. من رآه وشاهده، أدهش عقله جمال محاسنه، وحير لبه جلال كمال حاله، يلوح على باهي محياه، بهجة شوارق أنوار الجمال، وسواطع بهاء الحسن والكمال. وكانت الملوك تهابه، وذوو السطوة

والجبرية تخافه. وكان له الجاه العظيم، والقبول عند الخاص والعام. وانتشرت علومه بجهات اليمن، وحضرموت، وظفار، انتشارا عظيما. وفاضت بركاته على الجميع فيضا عميما. وهو من كبار مشائخ الشيخ سعد بن علي المقبور بالشحر، والشيخ علي بن عبيدالله الظفاريين.

وكان في الكرم والجود بحرا زاخرا. وفي بحور المعارف شيخا ماهرا، وله كرامات كثيرة، ومناقب شهيرة. وكان ينفق على أهل مائة بيت من الجن فضلا عن الإنس. وفي رواية على أهل سبعين، وفي رواية على مائة وعشرين بيتا.

وكان إذا وقع أوان الخريف، يسير بأهله إلى بيت جبير، فيترك في بيته امرأة، فتكسح منه الطعام المنبوذ. فيجتمع لها كل سنة منه، إما أربعون أو ثمانون قهاولا، ذلك من إهمال الشيخ للدنيا، وزهده فيها.

وأشار سيدنا الناظم بقوله: [إمام جامع أصل لأشياخ الطريق مفرع]، إلى أن سيدنا محمد بن علي المذكور مجمع الموجودين الآن، من السادة المذكورين آل باعلوي في جميع البلدان، وعقبه من ابنيه علي أبي سيدنا، وأستاذ أشياخنا، الفقيه محمد، ومن علوي المشهور بعم الفقيه، وهم الأشياخ، وأي أشياخ مشائخ أهل الشريعة، وهداة الطريقة للحقيقة، وهم القوم كل القوم الذين رووا حديث السيادة، مسلسلا بالسلالة، عن صاحب الرسالة، وكيف لا؟ وهم النتيجة التي مقدماتها الوصي والبتول. فلا غرو، إن زكت الفروع، لطهارة هاتيك الأصول، ليس منهم إلا من خاض بحر الفضائل، ولجة عبابها، إلى أن ينتهي إلى مدينة العلم وبابها، شعرا:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

آخر غيره:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

ولله در شيخنا عبد الله بن علوي الحداد، صاحب النظم، رحمه الله تعالى حيث قال:

وصاحب مرباط إمام جامع ... تفرع منه أصل كل إمام
أولئك وراث النبي ورهطه ... وأولاده بالرغم للمتعامي
مواريثهم فينا وفينا علومهم ... وأسرارهم فليسأل المترامي
إذا جاء بالصدق الذي هو سلم ... إلى كل خير نال كل مرام
وكم حكمة عنهم وحكم وكم وكم ... نواميس قهر للطغاة روامي
يريدون أن يطفوا بأفواه زورهم ... مصابيح نور قد محت لظلام
من السلف الماضين والخلف الذي ... ذكرنا كرام أعقبت بكرام
وإنا على أثارهم وسبيلهم ... ومانحن عن حق لهم بنيام
مقرين بالتقصير عن شأو مجدهم ... وحسن مساعيهم بكل مقام
ولكنهم آباؤنا وأصولنا ... وأسلافنا ممن مضى بسلام

وتخرج به جماعة من الأكابر، ذوو الزهد والعرفان، منهم؛ أولاده الأربعة، علوي، والحافظ عبد الله، وأحمد، وعلي والد سيدنا الفقيه، والشيخ تاج العارفين المشهور، سعد الدين محمد بن علي المقبور بالشحر، والإمام علي بن عبد الله الظفاريان، والشيخ سالم بن فضل، والشيخ علي بن أحمد بامروان، والقاضي أحمد بن محمد باعيسى، والشيخ علي بن محمد الخطيب، صاحب الوعل. هكذا ذكره السيد محمد بن أبي بكر شليه في [المشرع الروي]، وسبق في ترجمته، نقلا عن الشيخ علي بن أبي بكر في كتاب [البرقة] أن ممن أخذ عنه الشيخ سعد بن علي، والشيخ علي بن عبد الله الظفاريان.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه:

[وبنيه خُصَّ إمامهم أستاذهم ... شيخ الشيوخ العارف المتوسع]

فقوله [وبنيه]، أي بني الإمام محمد بن علي، صاحب مرباط،

فالضمير عائد عليه، وهم علوي بن محمد الغالب عليه، وعلى ذريته العلم والصلاح. وكان إماما، سخيا جوادا، عاملا مستقيما، متبعا وارثا، من أكمل المشائخ العارفين، والأئمة الهادين، المتصفين بكمال العبودية، لله رب العالمين.

ولد بمدينة تريم، ونشأ بها، وصحب أباه في زمن صباه، وحل عليه نظره الشريف. وأخذ أيضا عن الشيخ سالم بافضل، والسيد الجليل سالم بن بصري، والشيخ علي بن ابراهيم الخطيب، وغيرهم. وصحبه جم غفير، وتخرج به جمع كثير، منهم؛ أولاده، أحمد، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الملك، ومنهم، ابن أخيه، سيدنا الفقيه، محمد بن علي.

وكان علوي بن محمد المذكور كريما، يتصدق من ماله بما يكون مستجادا. وكان ذا ثروة ونخيل، أكثرها ببيت جبير. وكان جزيل العطايا، حسن الأخلاق، أثنى عليه كثير من الأئمة العارفين. وكان محبوبا عند الأنام، معتقدا عند الخاص والعام، حتى أضمر له سلطان وقته السوء، فرقا من توجه الناس إليه، أن يأمرهم بالخروج عليه، فسقاه السم مرارا، ولم يعمل فيه شيئا. وكان له كرامات كثيرة. وكان انتقاله يوم الإثنين، لأربع خلون من ذي القعدة، سنة ثلاث عشرة وستمائة.

وذكر الخطيب في [الجوهر الشفاف]، في الحكاية الثالثة، عن سيدنا الفقيه، الأستاذ محمد بن علي، أن عمه علوي بن محمد المذكور رد عليه السلام من قبره، وتعمر بعده ابن أخيه سيدنا الفقيه، محمد بن علي أربعين سنة، ودفن بمقبرة زنبل. وولده عبد الرحمن بن علوي، جد سيدنا الناظم، عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحداد بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الفقيه، أحمد بن عبد الرحمن المذكور، بن علوي عم الفقيه، محمد بن علي المقدم.

وكان الشيخ عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط، جد

شيخنا الناظم، إماما جليلا، حفظ [الوسيط] للإمام الغزالي. وأخذ عن سيدنا الأستاذ الفقيه، محمد بن علي، وأخذ عن عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد، والفقيه علي بن أحمد بامروان، والقاضي أحمد باعيسى، وغيرهم.

وكان يقرأ في الفقه والتفسير وغيرهما. وكان كثير العبادة والصدقة، مقصودا للضيافة والقرى. وكان ولده الفقيه، أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط، مشهورا بالفقيه أحمد. وكان أحد مشائخ الإسلام، وعلامة العلماء الأعلام، إماما كبيرا، وطودا شامخا، وعلما راسخا، اعتنى بكتب الإمام الغزالي، فحفظ [الوسيط] و[الوجيز]، وبكتب الشيخ أبي إسحاق، وتفقه على سيدنا الأستاذ الفقيه، محمد بن علي. وقرأ عليه في التصوف، وأخذ عن خاله، الشيخ علي بن محمد الخطيب، وغيرهما.

الثاني من أولاد محمد بن علي، صاحب مرباط، أحمد بن محمد، أبو زينب أم الفقراء، زوجة سيدنا الفقيه المقدم. وأم أولاده.

الثالث من بني محمد، صاحب مرباط، علي بن محمد، والد سيدنا الفقيه، الأستاذ المقدم.

الرابع عبد الله بن محمد، صاحب مرباط، ذكره في الغرر، وقال: ذكره محمد بن علي القلعي في إجازة له، والفقيه ابن فارس في [جامع الترمذي].

توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وذكر غيره أنه توفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة.

وكان علي بن محمد، والد سيدنا الفقيه، شيخا زاهدا، تقيا عالما صوفيا، صاحب سرائر عظيمة، ومعاملات مع الله تعالى جليلة، وأحوال جميلة، وسخاء ووفاء، وجود وتقى، له كرامات كثيرة، ومناقب غزيرة. ولد بتريم، وبها نشأ، وصحب أباه وغيره. وكان على سيرة

حسنة، وأخلاق رضية، وتواضع عظيم، ولم تطل حياته نفع الله به، توفي سنة نيف وتسعين وخمسمائة، شعرا، ولله در من قال هذا البيت:

علي الصوفي المشهور صدقا أبو قطب الورى الهادي الدليل

غيره للشيخ علي بن أبي بكر علوي أيضا:

وخُصِّصَ علي السر نعم عليُّهم أبو الفقيه الغوث زين المجتلى

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[وبنيه خص إمامهم أستاذهم شيخ الشيوخ العارف المتوسع]

يعني به، سيدنا الإمام الفقيه المقدم، محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط. فمحمد بن علي صاحب مرباط، إمام جامع لجميع أشياخ الطريقة الصوفية. وأصل مفرع لأكابر أرباب الحقيقة العلوية النبوية. وسيدنا الفقيه، محمد بن علي بن محمد المذكور، أستاذ المشايخ المذكورين وإمامهم، بل شيخ كل شيخ، وإمام كل إمام. كما قال سيدنا الناظم: [شيخ الشيوخ].

وقوله: [العارف المتوسع]، أي العارف بالله، والعارف بأحكام الله، والعارف بأيام الله، المتوسع في أنواع المعارف، وفنون المعرفة، والتعريف، والتعرف، والمعروف والعرف، والعوارف للمعروف بالمعروف، للمعترفين والعارفين والمعروفين. فالعارف عبد آمن بالله على بصيرة ويقين، وصدق الله في معاملته، ونهى نفسه عن الهوى، وتحلى بالصبر والتقوى، ودام وقوفه بباب المولى، ولم يساكن قلبه السوى، فحظي من ربه بجزيل العطاء، وعرفه كشفا ويقينا، بالصفات والأسماء، وصار من قلبه محدثا وملهما، ومعرفا بأسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، فانقطعت علاقته من نفسه، وتحقق في قربه من ربه.

ثم إن المشار إليه ببيت القصيدة، والمخصوص بالإمامة في هذا البيت، والأستاذية في أهل البيت، أشرف أهل كل بيت، هو السيد

الإمام، علم العلماء الأعلام، قدوة العارفين، وأستاذ المحققين، ودليل السالكين، قطب دائرة الصوفية، وإمام أئمة الملة المحمدية، وسيد الطائفة العلوية، ومركز دائرة الولاية الربانية، والكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والمناقب العلية الفائقة، والمعترف له ببلوغ كماله رتبة الإمامة السنية، قبل الدخول في طريقة الصوفية، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن علي بن الإمام محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

كان رضي الله عنه ونفعنا به أحد أركان هذا الشأن، وأجلاء الأكابر الأعيان، أظهر الله علي يديه عجائب الآيات، وأنطقه بفنون الحكم، وكشف له الأسرار والمغيبات. واجتمع عنده للأخذ عنه أكابر الأئمة، من الفقهاء والمشائخ الصوفية، وصلحاء الأمة، وتخرج به جمع من الأصفياء، وأكابر الأولياء، يكثر عددهم. وتلمذ له خلق كثير من أهل الطريق. وقال بإمامته، وحظي بالإنتماء إليه جم غفير من أهل الأحوال، وعالم عظيم من أهل الصلاح. وله الكلام النفيس على لسان الحقيقة، والكرامات الخوارق.

وكان من المحفوظين الملحوظين في صباه، وبدو أمره. ومن المسددين المؤيدين في سره وجهره، عظيم الجد والطلب في أنواع القربات، شديد التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله، واقتفاء آثار الصحابة، رضي الله عنهم، والسلف الصالح. قوي المجاهدة في تهذيب الأخلاق، وملازمة آداب الشرع وكمال الرياضة، متين الجد في تحصيل أنواع العلوم الشرعية والعقلية، والتغلغل في بحار جواهرها، وتحصيل يواقيتها ودررها، حتى فاق في جميع أنواع العلوم، ومشارب أجناس موارد الفهوم. واعترف وتحقق أئمة علماء الدهر بأهليته، لكمال الإمامة

الكبرى، بجمال السيادة العظمى. وتحققوا فيه صفات الخلفاء، وسمات الصديقين، وأسرار المقربين، وخصوصيات الهداة الهادين.

وكان سيدنا الفقيه المذكور، بدايته كنهاية أمثاله من أهل الطريقة، وأعطي من التمكين المكين، والرسوخ في كمال التوحيد وحقائق اليقين، مالم يعط غيره من الأقطاب العارفين، والخواص المقربين. شهدت له أرباب المكاشفة، بأنه لايخلو في عمره ساعة من سكر شراب المحبة الخالصة. ثم تواترت عليه في آخر عمره الواردات العظيمة، والتجليات الجليلة، والمشاهدات الغيبية، والمواهب والأسرار اللدنية، فأخذته عن حسه، فبقي مائة ليلة مصطلما مستغرقا في بحور الأسرار، مأخوذا عن نفسه، غائبا عما سوى ربه، فانيا فيه، باقيا به، لايأكل ولايشرب.

وكان يقال له في تلك الغيبة: [كل نفس ذائقة الموت]. فيقول: ليس لي نفس. فيقال له: [كل من عليها فان]. فيقول: ماأنا عليها. ويقال له: [كل شيء هالك إلا وجهه]. فيقول: أنا من نور وجهه.

وكان يخبر في هذه الغيبة عن مشاهدات غيبية، ومكاشفات حقيقية، وأسرار ربانية، وعلوم ملكوتية. وأخبر في تلك الحال أنه: يقع حريق ببغداد، وأن الخليفة يقتل. فكان كما قال. وأخبر عن سيل عظيم يكون. وقال: إن البحر انفجر، فكان بحضرموت سيل عظيم هائل، أخرب بلدانا، وأهلك ماينيف على أربعمائة إنسان، وهو المسمى بجاحش.

ووقع ببغداد في جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين وستمائة، زيادة الدجلة، حتى دخل الماء من سور البلد، وانهدمت دار الوزير، وخزانة الخليفة، وثلاثمائة وثلاثون دارا. ومات تحت الهدم خلق كثير، وغرق جم غفير، ذكر واقعة بغداد هذه السيد العلامة المحقق، محمد بن أبي بكر شليه باعلوي في كتابه [المشرع الروي]، وذكر أن سيدنا الفقيه محمد بن علي قد ذكر هذه الواقعة البغدادية في تلك الغيبة، وأنه،

أعني سيدنا الفقيه، أخبر بحريق المسجد النبوي، فاحترق أول يوم من رمضان في سنة أربع وخمسين وستمائة، وأنه أخبر بواقعة التتار، وأن الخليفة قتل في صفر، سنة ست وخمسين وستمائة.

ولما طالت غيبته رضي الله عنه على أولاده، ألزموه على أن يأكل شيئا، فأبى. فلما كان آخر يوم من عمره، أكرهوه على إدخال شيء من الطعام إلى بطنه. فلما دخل الطعام، سمعوا هاتفا يقول: إن ضجرتم منه، نحن نقبله. ولو تركتموه من الطعام، لبقي. وفي رواية: لما أحس بالطعام، فتح عينيه، وقال: أضجرتم مني؟ وتوفي. رحمه الله ورحمنا به ولا حرمنا بركته في الدارين، ووالدينا ومشائخنا وذوينا آمين.

قال شارح البيوت العينية، المتطفل على بيان أحوال الأنفاس الرحمانية، من قبل الوراثة اليمنية، القانع بالوصف التعبيري عن الحال التغييري: إن من الحكمة بعد الحكم والقسمة في هذه القضية، أن العادة طبيعة خامسة. ولما اعتاد سيدنا الفقيه من حيث الطبيعة، خلاف العادة الجسمية من التغذية الروحية الربانية، لما لديه من الوراثة المحمدية، المشار إليها بـأظل عند ربي، أسقى وأطعم، فساق القدر إلى القضاء المبرم، سبب استعمال المطعم، على خلاف ماتقدم، من إشارة الهاتف، والمعتاد السالف، من التغذية النورية الملموحة، مِن لستُ كأحدكم، أي في البشرية، والله أعلم. وبذلك وبغيره من الحكم.

وكان أول تحصيل سيدنا الفقيه، وانتفاعه وعظيم امتداده على جموع من الأئمة، وشيوخ من السادة الأجلة، من أجلهم؛ الإمام العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن سالم بن محمد بن علي بن سالم بن مروان الحضرمي التريمي، صاحب الفتاوى العظيمة، والمصنفات البديعة. وكان من أكابر أئمة تريم علما وعملا، وزهدا وورعا، ومن أجل من انتفع به سيدنا الفقيه الشيخ سالم بن فضل، والإمام الأوحد الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد، مصنف [كتاب الإكمال على التنبيه]،

ترجمه الأسنوي في [طبقات الفقهاء الشافعية]. وكان لايبتدىء بالدرس حتى يحضر سيدنا الفقيه، وذكره الخطيب في [الجوهر] في الحكاية الثانية عشرة، وذكر أنه، أي الإمام الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عبيد، اجتمع بإمام الحرمين بمكة مع فقهاء كثيرين، وألقى عليهم إمام الحرمين مسألة دقيقة، فلم يجبه عليها، إلا الفقيه ابن أبي عبيد المذكور، فقال له إمام الحرمين: أظن أن ماعلى وجه الأرض من يجيب مثل هذا الجواب، إلا أن يكون الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عبيد التريمي. فقال: أنا هو.

وتوفي ابن أبي عبيد المذكور يوم الربوع لست من ربيع الأول، سنة ثلاث عشرة وستمائة. وقبره تحت الفريط، هكذا ذكر صاحب الجوهر.

ووفاة إمام الحرمين سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وفي ذلك بعد، وإن كان ممكنا، إن كان المراد بإمام الحرمين، عبدالملك بن محمد الجويني. وابن أبي عبيد، صاحب سيدنا الفقيه. وذكر سيدنا العلامة محمد بن أبي بكر شليه أنه، أعني سيدنا الفقيه أخذ عن القاضي الفقيه أحمد بن محمد باعيسى، والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب، والشيخ سفيان اليمني، والسيد الإمام الحافظ علي بن محمد بن جديد، والسيد الإمام سالم بن بصري، والشيخ محمد بن علي الخطيب، والشيخ السيد علوي بن محمد، صاحب مرباط، وهو عم سيدنا الفقيه...... انتهى.

وكان سيدنا الشيخ، السيد الفقيه محمد بن علي المذكور، مع كمال وسع علومه، وغزارة بسط فهومه، عظيم المجاهدات، شديد المكابدات، في العمل بالشريعة، وعزائم الطريقة، والتخلق بمحاسن الأخلاق، والتنزه عن سفسافها، صاحب همم عوال. وله التعلق الكلي بجمال الصفات، وجلال الذات، وبعد السلوك ترادفت عليه النفحات، وتواترت لقلبه الجذبات، فتجرد في طريق التصوف،

وانخلع عن جميع العوائد والرسوم، وأقبل على المجاهدات العظيمة القلبية، والمكابدات الشريفة السرية، والخلوات المباركات الغيبية، حتى ترادفت عليه الكشوفات، وسطعت على قلبه أنوار شموس المشاهدات، وانفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه من بحور العلوم اللدنية، والفتوحات الإلهية، والعطايا الرحمانية.

وكان مع هذا في جميع أحواله يؤثر التواضع والخمول، حتى كان يحمل السمك في كمه، من السوق إلى داره، ثم أشرقت أنوار تلك المكاشفات، وسطعت بدور تلك الفتوحات، وغمر الوجود فيض نفحاته، وخوارق أنفاسه، وهممه وأحواله.

وكان قد أرسل إلى الشيخ سعد بن علي الظفاري، ثم الشحري، في بداية كشفه، برسالتين ضُمِّنَا لطائف وغرائب من كشفه وفتحه، فأدهش الشيخ سعدا مافي ذلك من لطيف الأسرار، وشريف الأنوار، وأجله واستعظم قدره، فخوفه في جوابه من السكون إلى ذلك. وقد أعاذه الله من ذلك بتوليه بعين العناية، وإحاطته وحفظه بشريف الرعاية. والشيخ سعد المذكور، من فحول المشائخ المربين. وكان من كلامه في آخر الرسالتين: وأنت يافقيه، أهدى من أن يهدى، وأعلم بالشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن.

وهذا في بدو أمر سيدنا الفقيه، لأن الشيخ سعد بن علي، توفي سنة تسع وستمائة. ثم ترادفت على سيدنا الفقيه الفتوحات والمنوحات، على ممر الساعات، وانفجرت بحور المواهب، بمالاتدرك له نهاية، ولايوصف بغاية، وتفرد بعظيم الكمالين، وشرف الموطنين. وأجمع مشائخ الزمان وأئمة العصرعلى أنه القطب.

قال الغوث الفرد الجامع، الشيخ عبد الرحمن السقاف: مارأيت أو ماسمعت أقوى من كلام الفقيه محمد بن علي، إلا أن يكون كلام الأنبياء

عليهم السلام، ومانفضل عليه أحدا من الأولياء، إلا أن يكون من الصحابة، أو من ورد بفضله نص صحيح نبوي، مثل أويس وغيره.

وكان يقول، يعني الفقيه محمدا: أنا فيكم كمحمد في قومه. وروى غير السقاف: أنا فيكم كعيسى في قومه. وردها الشيخ عبد الرحمن السقاف. وقال الشيخ الكبير أبو الغيث ابن الجميل: ماوصلنا إلى درجة الفقيه محمد بن علي باعلوي، حتى نصفها. قال ذلك ابتداء كشفا عن حال بعض المشائخ الحضرميين، أراد أن يسأله عن حال سيدنا الفقيه.

وقال الشيخ الكبير عبد الله بن محمد عباد: ماتمضي على الفقيه محمد بن علي ساعة، إلا وهو فيها سكران من حميا محبة الله الرحيم الرحمن. وقال الشيخ الجليل الفقيه محمد بن أبي بكر عباد: الذي يغلب على الظن أن الشيخ محمد بن علي يشفع حتى في نهد. وكانوا سلطنة حضرموت. ولما وقف الشيخ سفيان اليمني على كتاب سيدنا الفقيه الذي أرسله إليه، قال في جوابه مامعناه، هذا شيء لم نعرفه ومقام لم نبلغه.

وكان من جملة ماكتب به إلى الشيخ سعد، أنه قال: عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات. وفي رواية سبعة وعشرين مرة في ليلة واحدة. وفي رواية سبعين مرة. ومن جملة ماكتب إليه الشيخ سعد بن علي، بعد ماعرف تمكينه وتأييده وحراسته عن الزيغ: أني أقول قول ناصح محب مشفق، فلايكون قلبك متعلقا بالكرامات ولاغيرها، ولاتلتفت إليها، ولوظهرت لك أي ظهور، وليكن قلبك متعلقا بمحبة الله، والزم حالك الذي أنت عليه، ولو قامت عليك القيامة، ولو رأيت أي هول فلايهولنَّك. وكلما عرض عليك شيء، فزنه بميزان الشرع وكتاب الله، فما وافق الحق، فاتبعه. ومالم يوافق الحق، فاتركه. وأنت يافقيه! أهدى من أن تهدى إن شاء الله، وأعلم بالشريعة والحقيقة.

وكان يكتب إلى الشيخ سعد، من المولود إلى الوالد، ثم كتب إليه بعد ذلك، من المملوك إلى المالك.

وكان أهل تريم إذ ذاك أهل علم وورع وزهد، وتمسك بالعلم الشرعي، والعمل به، ولم يكن هناك من يعرف طريق الصوفية، ودقائق أحوالهم، وإشكال وارداتهم ومنازلاتهم، فكتب الفقيه إلى الشيخ سعد، فبين له، ثم صفت لسيدنا الفقيه مشارب القوم، فلم يحتج إلا إلى الله تعالى، وظهرت عليه أمارات ذلك، وهو أول من أظهر اسم شيوخ طائفة الصوفية. وانتشرت منه آدابها، وكثر مريدوه، وتخرج به الكبار.

وكان الشيخ سفيان يعظم أحوال سيدنا الفقيه محمد بن علي، ويجل فتوحاته، ويندهش عند ذكر أخباره. وقد اجتمعا في أول فتح سيدنا الفقيه ومبدأ أمره، وحصل بينهما مذاكرات وانبساطات، واستمد كل منهما من صاحبه مددا عظيما. وأرسل إلى سفيان الكتاب الماضي ذكره بعد ذلك.

وكانت لسيدنا الفقيه نفع الله به، حضرات محضورة، ومشاهد مشهورة، ومجالس مشهودة، يشهدها الملائكة والأنبياء، ورجال الغيب والخضر والأولياء والصالحون، الأحياء بأجسامهم، والأموات بأرواحهم. وفي ذلك قضايا يطول ذكرها، وحكايات يتعذر حصرها.

وكان رضي الله عنه معظما مهابا بين الخليقة، مقبولا في الخصوص والعموم، محبيا مجللا، وعند الله محبوبا محفوظا، ماحضر مشهدا، إلا وكان يتيمة عقد جوهره. ذا سمت بهي، وقدر علي، وخلق سني، وخلق حسن بهي، قد أظهره الله على سائر الطوائف من أهل زمانه، وأعلى مرتبته على سائر أقرانه، وبرزت فرائد جوامع الكلم من سره ببيانه. وقُصد لاستمداد البركات، وفيض النفحات من الآفاق والأقاليم، والقرى والأمصار، وأُعملت إليه المطي، وقطعت الفيافي والقفار، فاتصلت مادته إليهم، واشتملت بركاته عليهم، وانتشرت يد صحبته، ونسبة خرقته، وكثر في نواحي الأرض أصحابه، والمنتمون إليه، وجمعت له المحاسن والمكارم والفضائل من جميع وجوهها، واحتوى على جميع

الكمالات، والمعرفة المفرقة في الأقطاب الكمل من جميع جهاتها، وماأحسن قول القائل:

جمال كمال الدين كل به اعترف ... وفي فضله ماشك شخص ولا وقف
نرى كل شيخ نافذ متصرف ... على كل شيخ نافذ الحكم عنه كف
كذاك أولو التصريف من بعد موتهم ... تصرفه. فيهم تصرفهم صرف
فإني بمدحي فيه أطنب طاقتي ... وعلمي به من فوق أوصاف من وصف
الهي بهذا القطب نور بصيرتي ... وكن ملحقي يارب مع صالحي السلف

وكان سيدنا الفقيه رحمه الله تعالى يؤثر الخمول، متقيدا في جميع حركاته وسكناته، وباطنه وظاهره، بالكتاب والسنة، ولايتقيد برسوم ولامعلوم، ولابشيء مما ينسب إلى شهرة، بل طريقته الفقر الحقيقي، والإفتقار الكلي، والإضطرار النظري، والمحو الأصلي، حتى أنه قيل له: من الشيخ بعدك؟ فقال: أم الفقراء.

وكان ولده علوي في سن تمييزه، وحال طفوليته، يعرف الشقي من السعيد، له الكشف الخارق، ونور الفراسة الصادق، وممن انخرقت له العوائد. وإنما كانت شهرة سيدنا الفقيه، وظهور كراماته من قبل الحق قهرا وقسرا، لينفع الله به الخليقة، ويهدي به أقوام الطريقة. فكان يسمع الهواتف وينادى من قبل الله تعالى وتقدس: اترك ماأنت عليه من الظواهر، وانظر مابين يديك، وأقبل إلينا، نواصلك ونواليك، فإن لنا فيك مرادا، وسنمنحك ازديادا. الزم تفريد التوحيد، وتجريد التفريد، سنريك من آياتنا عجبا، ونمكنك من فضلنا الطلب، فلاتشب مرادنا بمرادك، وارجع إلينا في مبداك ومعادك، ولاترى صديقا لغيرنا، فإن لنا خاصة من عبادنا، سنوصلهم على يدك إلينا.

وقال بعض المشائخ المحققين: بهرت مقالات الفقيه محمد بن علي. وخوارق أحواله كثيرا من أهل زمانه، وأدهشهم، فماقدروها حق

قدرها، ومافسروا شيئا منها بتفسير معتمد، وماأحسن قول القائل، شعرا:

وأحواله قد بهرت كل عارف   فمافسروا منها بتفسير مقنع
وفي لفظه حارت عقول أولي النهى   وافحم معنى سرها كل مبرع
وعن كنهها كلت عبارة كل ذي   لسان فصيح في الفصاحة مصقع
فما حل عنها مشكلا قول قائل   ولاطمعوا في نيل ذاك بمطمع

وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم. قال المشائخ العارفون: ماصلينا صلاة على جنازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا عليها.

وتوفي شيخه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بامروان، وهو غائب عن البلد، فآلى الفقيه على نفسه ألايخرج من مكانه، وهو في منارة جامع تريم، بعد ماجاء من غيبته، حتى يأتيه شيخه أبو مروان من قبره. وحصل بينهما كلام طويل، ومخاطبات عظيمة. سمع كلامهما بعض الصالحين المكاشفين، ووعى خطابهما. فكان من جملته أن الفقيه أباعلوي قال للفقيه بامروان: كيف أنا عندكم؟ قال: يترجاك أهل البرزخ كما يترجى أهل الخريف الخريف. ولما غاب فقيره أبو خريصة، وانقطعت أخباره، وجاء الخبر أنه مات، أطرق ساعة، ثم رفع رأسه، وقال: كلا إن أباخريصة مامات، إني اطلعت في الجنة، فنظرت فيها، فلم أر أباخريصة فيها، ومايدخل أبوخريصة النار. ثم بعد مدة قدم أبوخريصة البلد.

وكان سيدنا الفقيه رضي الله عنه يقول: أنا لأهل بلدي كالغيث. وكان يقول: علي من القارة إلى قبر هود عليه السلام، يعني في الشفاعة.

وقال السيد الزاهد التقي العابد، محمد بن علي بن عمر باعلوي: لم يمت أحد من السادة آل باعلوي، إلا وقد أصلح له الفقيه محمد بن علي

بن علوي منزله. وقال الشيخ الصالح محمد بن سعيد بن عمر بالحاف، عن والده سعيد: ماصلينا على جنازة، إلا والشيخ محمد بن علي يصلي معنا، بحسن نية ومقصد بعد وفاته.

وكان سيدنا محمد بن علي في ابتداء أمره مع الدرسة، جعلوا فيما بينهم، أن من فاتته صلاة الجماعة، فعليه شكرانية لهم، لحرصهم على الجماعة. فدخل الوقت وسيدنا الفقيه نائم، فأذن المؤذن ولم يوقظه أحد منهم، وأقام الصلاة، فانتبه سيدنا الفقيه، فأشار إلى الدلو، فصعد إليه من البئر مملوءا ماء إلى المنارة، فتوضأ ولحق صلاة الجماعة.

وتخلف نفع الله به مرة عن زيارة قبر النبي هود عليه السلام، قال: فبينما أنا جالس في مكان متعال سقفه، إذ دخل علي نبي الله هود يطأطىء رأسه كي لايصيبه السقف، فقال لي: ياشيخ! إن لم تزرنا زرناك. فقلت له: من أين أتيت هذه الساعة؟ قال: من عند ابني هادون.

وبينما هو رضي الله عنه جالس مع أصحابه، إذ جاء الخضر عليه السلام متمثلا في صورة بدوي، وعلى رأسه زبد، فقام سيدنا الفقيه، وأخذ الزبد من رأسه وأكله، فتعجبوا، وسألوه: من هو؟ فقال: الخضر عليه السلام.

قال شارح الأبيات، راجي النفع بأهلها عند الوفاة، وبعد وقبل الممات: يحتمل أن الخضر عليه السلام أراد اختبار سيدنا الفقيه، حتى تمثل له بهذه الصورة البدوية، مع كون الزبد على رأسه. وأطلع الله سيدنا الفقيه على حقيقة حاله كشفا، حتى أكل الزبد من رأسه، إعلاما بإطلاعه عليه. وفي ذلك أيضا إشارة، لأن الزبد مثال لحاصل ثمرات مجاهدات الأولياء. وقد حصل ذلك للخضر عليه السلام من فوق، المشار إليه، بقوله تعالى: [عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علما]. وهذا يدل على علو درجة سيدنا الفقيه محمد بن علي، حيث اطلع على حال الخضر عليه السلام، مع كون الخضر له الإطلاع التام

على أحوال أكابر الأولياء، بل طلب منه التعليم أكابر الأنبياء، وجعله بعضهم للأولياء بمنزلة جبريل عليه السلام للأنبياء. وعالم المثال ركن كبير في علوم المعرفة، لسادتنا الصوفية، والله أعلم بأحوال أوليائه نفع الله بهم، ورزقنا الأدب معهم، وأستغفر الله.

وإذا علمت درجة الولي، فقد يجري على لسانه أو غيرها من جوارحه أشياء مستنكرة في الظاهر، وباطنها حق إذا حضر وجهه، حصل الإعتراف بصحته، كمسائل الخضر عليه السلام في سورة الكهف. ولعل ما جرى على لسان سيدنا الفقيه في كلامه للبدوي الآخر، إن صح عنه، ولم يبدل، ولم يحرف من ذلك لكونه حينئذ فانيا بربه، منقطعا عن نفسه، قد جاوز المقامات والأحوال، وإليه يشير قوله تعالى: [ومافعلته عن أمري. . . .]. والله أعلم. وهذا الشرح بنيناه على الإختصار، ولو أردنا توسع الكلام لنقلنا في هذه المسألة كراريس كثيرة.

وقال الشيخ فضل بن عبد الله بافضل: كثير من الناس نالوا مع سيدنا الفقيه بصحبته وتربيته خيرا كثيرا، خصوصا الشيخان الكبيران العارفان؛ الشيخ عبد الله بن محمد عباد، والشيخ سعيد بن عمر بالحاف، وكانا تربيا على يديه حتى أن الشيخ عبد الله بن محمد عباد لاتحتشمه زوجة سيدنا الفقيه، زينب أم الفقراء. وكان الشيخ أحمد بن الجعد يفتخر بالشيخ باعباد بين أصحابه، لمااختص به من النفع من سيدنا الفقيه باعلوي. وكان يقول له: تكلم بماأبصرت يابارق الحمى. ورأى الشيخ سعيد بالحاف سيدنا الفقيه نازلا من السماء، ومعه في ثيابه شيء يشبه البيض والنور، وهو يأخذ منه، فقال له بالحاف: نحن نأتي به من فوق، وأنت تأخذه من هنا بلاتعب.

وممن انتفع بسيدنا الفقيه محمد بن علي، وتربى على يده الشيخ الكبير عبد الله باقشير والشيخ عبدالرحمن بن محمد عباد، أخو الشيخ عبد الله بن يحيى بافضل، صاحب الرباط، والشيخ علي بن محمد الخطيب،

وأخوه الشيخ أحمد، وأخوه الشيخ سعد بن عبد الله أكدر وأولاد عمه، وغيرهم من الأكابر.

وسئل سيدنا الشيخ الإمام السيد، القطب الغوث، عبد الرحمن السقاف: كم مكث سيدنا الفقيه في القطبية؟ قال: يقولون مائة وعشرين ليلة. وكان سيدنا السقاف إذا أراد أن يتكلم بشيء، قال: يقول أو يقولون. ونوى مرة السيد الجليل عبد الرحمن ابن سيدنا الفقيه محمد بن علي، أن يتحكم للشيخ محمد بن عثمان الشمهوني، بالمعجمة والنون، في قصة طويلة، وقعت مكاشفة الشمهوني، قبل أن يسأله التحكيم، وقال: ارجع عن هذه النية، فإني لاأحكمك خوفا من أبيك. فإنه أتاني هذه الساعة، فاتحا فاه، وأراد أن يبتلعني، وقال لي: أتريد أن تأخذ ولدي بخلقك؟ فقلت: لاأفعل.

والشيخ المذكور منسوب إلى قرية من أعمال ظفار، تسمى شمهون، ولما ذكر عند سيدنا الفقيه المشائخ الأربعة، المتصرفون بعد وفاتهم كحياتهم، قال: ماأحد يتصرف علي، وهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنيحي، والشيخ حياة بن قيس الحراني. فقال سيدنا الفقيه: ماأحد يتصرف علي من هؤلاء، رضي الله عنه ونفع بالجميع.

وخرج مرة إلى شعب النعير الذي كان يتخلى فيه، فتبعه ابنه أحمد، وهو صبي من غير علم أبيه، فلما وصل وسط الشعب، قال: الله! فضج جميع مافي الشعب من الشجر والحجر بالتسبيح، فسقط الولد مغشيا عليه، فلما رجع سيدنا الفقيه من خلوته، وجده ملقى، فأقامه، فأفاق من غشوته، فقال له: لا تعد إلى مثل هذا، ورجعا إلى البلد.

وأما نسبة خرقة سيدنا وإمامنا، وشيخ شيوخنا، الفقيه محمد بن علي علوي، رحمنا الله به وجمعنا وإياه وأهلينا ومشائخنا في جواره، مع

أنبيائه وأوليائه بعافية. فله رضي الله عنه طرق كثيرة من جهة الكسب والظاهر، وطرق كثيرة من الإشارة والباطن والكشف، على تفاصيل في ذلك. ومن رؤية المصطفى محمد، والأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين، والملائكة والأولياء، والإجتماع بالخضر، ورجال الغيب، وأهل البرزخ، وغير ذلك، مما يطول تفصيله.

فمن الطرق الظاهرة الكسبية في نسبة الخرقة، ووصلة الصحبة، وتسلسل الإسناد، طريقان، أحدهما: أنه، أعني سيدنا الفقيه محمد بن علي، تأدب بأبيه علي وعمه علوي. وأبوه وعمه تأدبا بأبيهما محمد، صاحب مرباط. ومحمد صاحب مرباط، تأدب بأبيه علوي خالع قسم. وعلي تأدب بأبيه علوي. وعلوي تأدب بأبيه محمد. ومحمد تأدب بأبيه علوي صاحب سمل. وعلوي تأدب بأبيه عبيد الله. وعبيد الله تأدب بأبيه أحمد صاحب الشعب. وأحمد تأدب بأبيه عيسى. وعيسى تأدب بأبيه محمد، ومحمد تأدب بأبيه علي العريضي. وعلي العريضي تأدب بأبيه جعفر الصادق. وجعفر الصادق تأدب بأبيه الإمام محمد الباقر. ومحمد الباقر تأدب بأبيه الإمام علي زين العابدين. وعلي زين العابدين تأدب بأبيه السبط الحسين وعمه الحسن رضي الله عنهما. والحسنان تأدبا بأبيهما الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومولانا علي وابناه تأدبوا بسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وخير الخلائق أجمعين، محمد صلى الله عليه وسلم. ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول: [أدبني ربي فأحسن تأديبي].

والطريقة الثانية لسيدنا الفقيه، محمد بن علي علوي، فإنه لبس خرقة الصوفية من سيدنا الشيخ أبي مدين شعيب، بواسطة عبدالرحمن المقعد، وعبد الله الصالح المغربيين، كما يأتي بيان ذلك، وتفصيله، وكيفيته. والشيخ أبو مدين أخذ الخرقة عن الشيخ أبي يعزى المغربي، والشيخ أبو يعزى أخذها عن الشيخ أبي الحسن بن حرزهم، وأبو الحسن المذكور أخذها عن الإمام أبي بكر بن عبد الله ابن العربي المغافري،

والقاضي ابن العربي أخذها عن الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي، والغزالي أخذها عن شيخه إمام الحرمين، وإمام الحرمين أخذها عن والده الإمام محمد الجويني، والجويني أخذها عن الشيخ أبي طالب المكي، وأبو طالب أخذها عن الشيخ الأستاذ الشبلي، والشبلي أخذها عن سيد الطائفة الجنيد بن محمد، والجنيد أخذها عن خاله السري السقطي، والسري السقطي أخذها من يد معروف الكرخي، ومعروف الكرخي لبس من يد داود الطائي، وداود الطائي لبس من يد حبيب العجمي، وحبيب العجمي لبس من الحسن البصري، والحسن البصري لبس من يد الإمام علي بن أبي طالب، والإمام علي أخذها من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أخذها عن جبريل الأمين، وجبريل الأمين عليه السلام أخذها عن الله عز وجل.

وللشيخ معروف طريقة أخرى من جهة أهل البيت رضي الله عنهم. تأدب معروف بمولاه علي الرضا، وعلي تأدب بأدب أبيا موسى الكاظم، وموسى تأدب بأبيه جعفر الصادق، وجعفر تأدب بأبيه محمد الباقر، ومحمد الباقر تأدب بأبيه الإمام علي زين العابدين، وعلي زين العابدين تأدب بأبيه الإمام السبط الحسين، والحسين تأدب بأبيه الإمام علي بن أبي طالب، والإمام علي تأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [أدبني ربي فأحسن تأديبي].

وكان الفقيه محمد بن علي علوي، نفع الله به قد سمع قائلا يقول: لايفك قفل قلبك، إلا الشيخ عبدالرحمن المقعد، وهو إذ ذاك بمكة خرسها الله، فسار سيدنا الفقيه محمد قاصدا نحوه، فلما بلغ أثناء الطريق، أخبر بوفاته، فرجع. وجاء إلى سيدنا الفقيه رجل من أهل الشام، وقال: ماجئت إلا لأجلك، ولكني وجدت الشيخ عبدالرحمن المقعد، جاثيا على قلبك، فإذا جاءك، فتحكم له، فهو رجل مكتسب،

وأنت ذو نسبة، فقال له سيدنا الفقيه: ماهذه النسبة؟ فقال: سدرة المنتهى.

والشيخ عبدالرحمن المقعد من أكابر تلامذة الشيخ أبي مدين. وكان قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إن لنا فيها أصحابا، فسر إليهم، وخذ عليهم عقد التحكيم. وحكمهم وألبسهم الخرقة، وأعطاه الخرقة. وأمر سيدنا الفقيه، وقال له: إنك تموت في أثناء الطريق، وترسل إليهم من يأخذ عليهم. فمات بمكة. فأوصى تلميذه الشيخ عبدالله الصالح المغربي، وأعطاه الخرقة، وقال له: اذهب إلى حضرموت، وستدخل تريم، وتجد الشريف محمد بن علي علوي يقرأ على الفقيه علي بن أحمد بامروان، وسلاحه على رجليه، فاغمزه من عند بامروان، وحكمه وألبسه. واذهب إلى قيدون تجد فيها سعيد بن عيسى، فحكمه.

قال الشيخ عبدالله الصالح: فلما وصلت تريم، وجدت الفقيه محمد بن علي علوي، كما قال الشيخ عبدالرحمن المقعد، فغمزته وحكمته. وماشاور شيخه أبا مروان، فلما رجع، وفي رأسه الخرقة اغتاظ عليه، وقال: رجوتك إماما مثل ابن فورك، فتركت صحبتنا، ورجعت إلى زي الصوفية، أو كما قال: وقال له سيدنا الفقيه: الفقر خير. فهجره أبو مروان إلى أن توفي.

وسيدنا الفقيه غائب بالعجز، فجاء لجنازته، فوجده قد دفن، فآلى على نفسه أن لايخرج من مكانه حتى يجتمع به، ويزيل مافي خاطره من جانبه. فلما دخل المؤذن تالي الليل، وجد سيدنا الفقيه، والفقيه عليا بامروان يتحدثان، فناشدهما الجنة، ولم يتركهما، حتى قال سيدنا الفقيه محمد: ثبت، بشرط أن لاتخبر بنا أحدا. فأبى المؤذن، فقال له: اصبر حتى أموت. فلما مات سيدنا الفقيه، نادى بأعلى صوته عند الحضور بالمقبرة، وقص القصة السالف ذكرها، وأعدتها هنا لأجل زيادة فيها.

وهذه رواية الفقيه الإمام عبدالرحمن بن حسان في تاريخه. ولما اجتمع الشيخ عبدالله الصالح المغربي بسيدنا الفقيه، قال له: أي لؤلؤة عجماء، لو ثقبت؟ قال: وماالثقب؟ قال: التحكيم. فانخلع عن زي الفقهاء إلى زي الصوفية. قالوا: ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعوات، الأولى: بذل النفوس، ولايرجعون إلى العمومية، أي لايزالون على زي الفقراء. الثانية: أن لايسلط عليهم ظالم يؤذيهم. الثالثة: أن لايموت أحدهم إلا وهو مستور في دنياه، أي لايكون به حاجة تضر بدينه، فقبلهن الله تعالى. ثم سار الشيخ عبدالله الصالح المغربي، إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وحكمه وحكم لنفسه الشيخ باعمر، صاحب عورة، والشيخ باحمران صاحب ميفعة. ولما مرض، عاده سيدنا الفقيه وحضر عنده تلامذته، وقال لهم: شيخكم من بعدي صاحب السبحة، وخلف سبحة، وعكازا، فخرجت السبحة والعكازة لسيدنا الفقيه محمد، وخلف مشعلا وقدرا، وحبوة وبسطة لباحمران والدلق. فخرج المشعل والقدر للشيخ سعيد، والحبوة والبسطة لباحمران، والدلق لباعمرو.

وكان الشيخ عبدالله الصالح المذكور من أولاد ملوك الغرب، فآثر سلوك الصوفية. وكان من أكابر تلاميذ الشيخ عبدالرحمن المقعد. وكانت لهما الكرامات الخارقة، والإشارات المفيدة الفائقة.

ولد سيدنا الفقيه المقدم، محمد بن علي باعلوي، سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وتوفي ليلة الأحد أو الجمعة، آخر ذي الحجة، سنة ثلاث وخمسين وستمائة. يجمع تاريخ وفاته عدد حروف اب تريم، بحساب الجمل الكبير. لأن الألف واحد، والباء اثنان، والتاء أربعمائة، والراء مائتان، والياء عشرة، والميم أربعون، ورقمها بالقلم الهندي هكذا: ٤١٢٤٢١. وقد سبق أول هذا الشرح شيء من الكلام على عدد الحروف وأسرارها عند ذكر روي هذه القصيدة العينية.

وخلف من الأولاد خمسة: علوي، وعبد الله، وعبد الرحمن، وأحمد، وعلي. فعبد الله ليس له عقب إلا ولده، محمد النقيطي، وفاطمة، أم السيد الشيخ أحمد بن عبدالله بن علوي بن المقدم أبي السيد جمل الليل بن أحمد المقدم بتربة قسم تربة المصف، أمه عائشة بنت علي بن علوي، وهو غير جمل الليل محمد بن حسن الآتي ذكره في القصيدة.

وأما محمد النقيطي، فكان وليا صالحا، إماما جامعا، شيخا معظما. وكان يجتمع بالخضر. وكان من شدة خوفه وفقره، أنه جاع مرة حتى سقط على الأرض، ولم يجد في داره شيئا يأكله، حتى وجدوا عند أخته قليل ضدح، فطبخوها وأعطوه إياها، وغسلوا إناء الرَّهِي، وطبخوه واعطوه إياه. وكان رضي الله عنه صاحب كرامات خارقة. ذكره المشائخ المصنفون، وأثنوا عليه، انقرض رضي الله عنه ونفع به.

وأما عبدالرحمن بن سيدنا الفقيه، فله ولد اسمه محمد الغيبر، انقرض أيضا، وأعقب منهم علوي وعلي وأحمد، وكلهم متأهلون لمراتب المشيخة، والإتصاف بمعانيها. فعبدالله بن سيدنا الفقيه المقدم كان من أعيان العارفين، وأحد الأصفياء المقربين، وأكابر الأولياء الصالحين، جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة، وتحقيق سلوك الطريقة، وكمال الإتباع لجده صلى الله عليه وسلم. أخذ عن أبيه سيدنا الفقيه، وتخرج به وعن أخيه علوي وغيرهما من الأكابر، وتربى به ولده محمد النقيطي لقبه المذكور آنفا.

ولقد ظهر سيدنا الفقيه الشيخ محمد بن علي لسيدنا الشيخ السقاف يقظة كشفا. وقال عبد الله: ولدي نعش في نعشين يوم مات، نعش في السماء، ونعش في الأرض. وقال السيد الشيخ علوي بن الفقيه محمد بن علي: خرج أخي عبد الله عند زرع، فسمعه يذكر الله.

وروى المشايخ رضي الله عنهم أجمعين: أن السيد عبد الله بن الفقيه كان يسمع تسبيح الجمادات. ولما توفي رأى أخوه الشيخ علوي النبي

صلى الله عليه وسلم أعطاه ثوبا، وأمره أن يكفنه به، فكفنه به، ولما وضع في قبره، ابتدرته الحور العين أيهن تكون له زوجة. وكان أخوه علوي يعظمه جدا، وقال فيه: أخي عبد الله قطب زمانه، وله كرامات خارقة. وكانت وفاته ليلة الإثنين، لعشرين من ذي القعدة، سنة اثنتين وستين وستمائة.

وأما السيد الشيخ عبد الرحمن بن سيدنا الفقيه المقدم، فكان من المشائخ العارفين بالله، ومن الورعين المدققين، وأهل المقامات العلية، والأحوال السنية، والمحاسن السنية. وله كرامات خارقة، ذكره المشائخ في تصانيفهم، وأجلوه، وعظموا شأنه، ولما أراد الحج، قال لأهل بلدة تريم: من أراد أن يودعني، فإني لا أرجع. فلما حج وسار للزيارة، مات في طريق المدينة، ولم يكن ثم ماء، فأظهر الله سبحانه وتعالى عينا ودلوا، ولما لم يتوقف صاحب المحمل لمجهزيه، ضل بعيره، فلما فرغوا من دفنه وجدوا الجمل، وغابت العين والدلو. وكانت الحيوانات تكلمه.

ولد رضي الله عنه بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وتربى في حجر والده، واشتغل عليه بطلب سائر العلوم، كسائر إخوانه، فإنهم رباهم والده، وأخذوا عنه، ثم لازم المذكور أخاه علويا بعد موت والده، وقد سبق أنه مات بين الحرمين الشريفين. وقد ورد في الحديث: [من مات بين الحرمين، حشره الله من الآمنين].

وأما علي بن سيدنا الفقيه المقدم، فإنه من المعقبين، وكذلك أحمد بن سيدنا الفقيه، له عقب طويل منتشر. وعقب علي بن سيدنا الفقيه طويل منتشر، لكنه معروف في خمس شينات: آل الشيبة باحسن، وآل باشيبان، وآل الشاطري، وآل شنبل، وآل الحبشي. وسيأتي ذكر من هو مذكور منهم في هذه القصيدة العينية، كجدي من جهة والدتي السيد محمد بن حسن بن محمد بن حسن ين علي المذكور، بن سيدنا الفقيه المقدم. وكجدي من جهة والدي السيد أحمد بن محمد بن علوي بن أبي

بكر الحبشي. وأبو بكر هذا أول من سمي [الحبشي]، وجمل الليل باحسن عمه، لأنه أبو بكر بن علي بن الفقيه، أحمد بن محمد أسد الله بن حسن بن علي بن الفقيه المقدم.

وكان السيد حسن بن علي بن الفقيه المقدم، من العلماء العاملين، والأكابر العارفين، والمشائخ الكاملين، أخذ عن الشيخ عبد الله باعلوي، وتخرج به. وكان فقيها صوفيا، كثير التلاوة والذكر. وكان يخفي أعماله، وكان شديد التقشف، وكان يقال له الترابي. وكان لايدخر لغده شيئا. وكان شديد الورع. وكان يفر من ولاة الأمور. انتفع به جماعة، منهم؛ ولده، أسد الله، ومن في طبقته.

ولد بتريم، وتوفي في ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وسبعمائة. وكانت وفاة ولده محمد بن حسن الملقب بأسد الله يوم الثلاثاء،واحدا وعشرين من شوال، سنة ثمان وسبعين وسبعمائة. وكان من كبار المشائخ، له ذوق في تلاوة القرآن واستغراق، وإذا استغرق في تلاوته، يقول بأعلى صوته: أنا أسد الله في أرضه. يكرره سبع مرات.

له من الولد ستة: الشيخ حسن المعلم، والد جمل الليل باحسن، جد آل باحسن، وهم آل الشيبة، ومنهم آل الغصن. والشيخ أبو بكر مشهور أيضا بالصلاح، أثنى عليه الشيخ عبد الله العيدروس، وعظم حاله. والشيخ محمد بن أبي بكر عباد. وعبد الله، وأحمد، وعلي، وحسين ذكورا، وعلي أعقب إناثا، وأعقب أحمد آل الحبشي أبابكر بن علي بن أحمد المذكور بن أسد الله. وآل باشيبان عقب أبابكر بن محمد بن حسن أسد الله المذكور آنفا.

فمنه السيد الفقيه الصوفي، الشيخ الإمام عمر بن محمد. بن أحمد بن أبي بكر بن أسد الله محمد بن الفقيه حسن بن علي بن سيدنا الفقيه المقدم. كان على غاية من الزهد والورع، صاحب خمول وعزلة، وسيرة

جملة، كثير التلاوة والأذكار. مولده ببلد قسم، سنة إحدى وثمانين وثمانمائة من الهجرة. ووفاته سنة خمس وأربعين وتسعمائة. وعمره نحو أربع وستين سنة. تفقه على الفقيه الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بالحاج. وبالسيد الشريف، الإمام العارف بالله، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الأسقع باعلوي. وتصوف بالإمام السيد العارف بالله، عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر. ولبس منه، وتحكم به، وأخذ أيضا عن الشيخ العارف بالله، معروف بن عبد الله باجمال بشبام، ولبس منه وزاره الفقيه علي بن عبد الله بن علي بايزيد الدوعني. ونقل له كرامة وقعت له معه.

وله رضي الله عنه كتاب [الترياق الواف بذكر حكايات السادة الأشراف] وهو من جملة الكتب التي نقلنا عنها في هذا الشرح، ولذا أطلنا في ذكر مصنفه.

ولنرجع إلى ذكر المذكورين في القصيدة العينية بعد سيدنا الفقيه المقدم وحذفنا كثيرا مما ذكر في أحوال سيدنا الفقيه، سيما ذكر قبره المكرم، وماجرى له في أمور البرزخ من الخوارق، ولعل يعرض لذلك ذكر فيما يأتي، فنستطرد بذكر شيء من ذلك.

فأما قول سيدنا الناظم:

[وتلاه علوي أتى بعليهم وعفيفهم ومحمد المستودع]

ذكر رضي الله عنه في هذا البيت أربعة: علوي بن سيدنا الفقيه، وابناه علي وعبد الله، ومحمد بن علي المعروف بصاحب الدويلة، والد سيدنا السقاف، وولد علي بن علوي المذكور في هذا البيت، وعبد الله بن علوي عمه.

فأما علوي بن سيدنا الفقيه، فهو السيد الجليل، العالم العامل الزاهد، الإمام العارف بالله تعالى، صاحب الأحوال الظاهرة، والمقامات الزاهرة، والكرامات الخارقة، والعلوم اللدنية، والأسرار

الغيبية ، أبو عبدالله علوي بن الفقيه المقدم محمد بن علي علوي ، نفع الله به . كان من أكابر المشائخ ، ممن أذن له في التصريف المطلق ، بإذن الله تعالى، حتى بعد موته وانتقاله، كما شهد له المشائخ الأجلاء. وله الإطلاع على الأسرار الإلهية والبرزخ. وممن يحيي ويميت بإذن الله ، ويعرف الشقي من السعيد، ويقول للشيء: كن، فيكون بإذن الله ، صرح بذلك المشائخ العارفون، والأولياء الأكابر المحققون. ونقلوا عنه، أنه كان يقول: أنا في منزلة الجنيد.

وقال له والده سيدنا الفقيه، محمد بن علي يوما، وهو طفل صغير: أنت تعرف الشقي من السعيد فاقرأ ما على جبيني. فقرأه سعيدا فأخبره به. وخفي الهلال مرة، فقال: رأيته هذه الليلة في بحر القدرة، وأنا ساجد في مسجد بني أحمد، يعني مسجد آل باعلوي. وأتى بولد ابن ثلاثة أشهر مدنف ليقرأ عليه، فقال: من عمره مائة سنة، مايموت ابن ثلاثة أشهر. فكان كما قال. عاش مائة سنة.

وكان يسمع تسبيح الجمادات. ولما زار جده صلى الله عليه وسلم شهده ومعه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، قال: أين منزلتنا عندك، ياجد! قال صلى الله عليه وسلم: في العينين. قال: وأين منزلتي عندكم ياشيخ علوي! فقال: على الرأس. فقال أبوبكر رضي الله عنه: ماأنصفت رسول الله، يجعل منزلتكم في العينين، وأنت فوق الرأس، وليس يعدل العينين شيء. عليك شكرانية للفقراء مائة دينار، تنفقها عليهم، فلما رجع الشيخ علوي إلى نفسه، وحضر من غيبته، وشهوده إلى شهادته وحسه، قام فإذا شخص أعطاه مائة دينار، فأنفقها في وقتها على المجاورين.

ولما أبطأ عن التزويج ، نطق ذريته من ظهره: نحن في ظهرك، تزوج، وإلا خرجنا من ظهرك. وكان لاتحمل له امرأة، إلا ونطق حملها: أنا ابن صالح ، أو عبد صالح . وكان غيورا على اسمه ، ماسمى أحد من

آل باعلوي علويا أصلا في حياته. وإن نوى التسمية به، احتبس المنوي له التسمية باسمه، حتى ينوي خلاف ذلك.

وكان رضي الله عنه سريع الغوث لمن استغاث به. قال السيد الجليل، العلامة المحدث، الإمام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه [الغرر]: أخبرني الشيخ عبدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: ثلاثة من آل باعلوي لاتزال خيل حميتهم، وإجابتهم مسرجة ملجمة، من دعا بهم أجيب، وهم علوي المذكور وابنه علي، والشيخ عمر المحصار. وقال في ذلك شعرا، صاحب كتاب [الغرر] المذكور:

إذا خفت أمرا أو توقعت شدة	فنوه بهم كي يدركوك ويحضرو
فنوه بعلوي الفتى وابنه علي	كذا عمر فيما يجل ويعسر

ولد الشيخ علوي ببلدة تريم، ونشأ بنظر أبيه، وتربى به. وأخذ عنه العلوم والمعارف، وسلك على طريقته شريعة وطريقة وحقيقة. وتخرج به إخوانه المشائخ الأفاضل؛ الشيخ عبدالله، والشيخ عبدالرحمن، والشيخ أحمد، والشيخ علي. وسلكوا طريقته.

أمه وأمهم الشيخة العارفة بالله، أم الفقراء، زينب بنت السيد الفقيه، الشيخ أحمد بن محمد، صاحب مرباط. وأمها من آل أبي صاع، وتربى به. وأخذ عنه أيضا ولداه الشيخان الكبيران، علي وعبد الله. ولم يعش من أولاده غيرهما، وهما من الأربعة المذكورين في هذا البيت من العينية. كما ذكرنا آنفا أمهما، فاطمة بنت سيدي الشيخ أحمد بن علوي بن محمد، صاحب مرباط. وكان أبوه سيدنا الفقيه المقدم يثني عليه، ويشير بأنه يصير صاحب الولاية العظمى. وأشار المشائخ بأن سر والده انتقل إليه، وقالوا: فيه عوض عمن سلف.

وكانت وفاته رحمه الله ونفع به يوم الجمعة، ثاني القعدة، سنة تسع وستين وستمائة. وقبره شرقي قبر أبيه، وحوله قبر علوي، عم أبيه،

وعلي بن الفقيه، ومحمد بن عبدالله باعلوي، وأخيه علي من جهتهم، إلى نحو سالم بن بصري، وحوله عبدالله بن الفقيه المقدم. ذكر ذلك صاحب [الغرر].

والثاني من الأربعة المذكورين في البيت المشار إليه بقول الناظم: [أتى بعليهم]، فهو السيد الإمام، الشيخ الكبير، الولي الشهير، المحبوب المحفوظ، أبو الحسن نور الدين علي بن علوي بن الفقيه المقدم، أخو عبد الله باعلوي المشار إليه بقوله: [وعفيفهم]، وأبو مولى الدويلة محمد بن علي المشار إليه: [ومحمد المستودع]، أمه وأم أخيه الشيخ عبد الله باعلوي، السيدة الشريفة، فاطمة بنت أحمد بن علوي بن محمد، صاحب مرباط. وكان الشيخ علي المذكور من أفراد الخواص العارفين، وأعيان السادة الأقطاب المتمكنين، صاحب مجاهدات ورياضات وخلوات. وكان قدوة في تسليك المريدين، وتربية العارفين. سأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقه ولدا صالحا، وهو بمكة تحت الميزاب، فهتف به هاتف: قد استجيب لك دعاؤك، فاخرج إلى بلدك. فخرج إليها، فلما أبطأ عليه، دعا إلى الله تعالى مرة أخرى ببعض مساجد تريم، فلما استغرق في الدعاء، عرج بروحه إلى السماء، وبشر فيها بولد صالح، فقال: أريد أمارة لذلك. فأعطي قرطاسين، فقيل له: ضع أحدهما على عيون المرأة التي بجواركم، فإنها تبصر. وكانت المرأة عمياء، فأبصرت لما وضع عليها. فكان الولد ابنه محمدا. وكان ذهب عنه أحد القرطاسين في غيبته عن حسه.

وكان رضي الله عنه قد حج بيت الله، وزار جده المصطفى، وصدرت منه في سفره ذلك عجائب. وكانت له كرامات ومكاشفات، وألبس جماعات من الصالحين. وكان كثير الخلوة. وكان يجاور عند قبر النبي هود عليه السلام، رجب، وشعبان، ورمضان. وكان زاهدا في الدنيا.

قال محمد بن أبي السعود رحمه الله تعالى: جاءه شيء من الدنيا، فسمعته يقول: علي بن علوي ودنيا، اللهم انقلني عنها، أو انقلها عني. فمات بعد ذلك بشهرين أو ثلاثة.

وقال الشيخ إبراهيم بن أبي قشير: رأيت الشيخ علي بن علوي في المنام، فقلت: مافعل الله بك؟ فقال: المحبوب لايضره شيء.

صحب أباه علويا، وتأدب به، ولحق جده الفقيه في حال صغره، ففاضت عليه نفحاتها. وتوفي رضي الله عنه يوم الأربعاء، سابع عشر رجب، سنة تسع وسبعمائة من الهجرة. ولم يخلف من الذكور إلا الشيخ جمال الدين محمدا، مولى الدويلة ولده. وكانت له ست بنات صالحات؛ مريم، وخديجة، وزينب، وعائشة، وبهية، ومانية. وأمهم فاطمة بنت سعد باليث. والشيخ الكبير محمد مولى الدويلة، من فاطمة المذكورة، وتزوجها الشيخ الكبير عبد الله باعلوي بعد أخيه علي المذكور. فأتت بالسيدين الجليلين، محمد وعلي، فهما أخوا السيد محمد مولى الدويلة من الأم. وقد رأت، وهي بكر، أن قمرين وقعا من السماء في حجرها، فلفت فخذها عليهما، وهما علي بن علوي، وأخوه عبد الله باعلوي.

وأما الثالث من الأربعة المذكورين في القصيدة، فهو الإمام الهمام، العالم العامل، الورع الزاهد، الولي الكبير، الشيخ الفقيه الشهير، عفيف الدين عبد الله بن علوي بن سيدنا المقدم محمد بن علي، جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة، وسلوك الطريقة. جاور بمكة ثمان سنين، ونفع الله به أهلها، وفاض عليهم أنواره. وصحبه بها طوائف الأكابر من العلماء، والمشائخ الفضلاء، واستسقى بأهلها مرتين، ففرج الله به كربهم، وأزاح عنهم ببركته القحط.

وكان له في الله المجاهدات العظيمة، والهداية من الله الفخيمة، والمواهب اللدنية الرحيمة. قال السيد الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة: سافرت من مكة إلى حضرموت، ماوجدت فيمن رأيت مثل

عمي الشيخ عبد الله باعلوي. وقال السيد الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد المذكور: اتفق أهل زماننا على أن الشيخ عبد الله باعلوي بقية المجتهدين. وقال الفقيه البدل علي بن سالم: كنت أنا والشيخ عبد الله باعلوي بمكة في شهر رمضان، إذا فرغنا من صلاة التراويح، أحرم كل منا بركعتين يقرأ فيهما القرآن كله، ولانتعشى إلا بعد فراغنا منهما، بعد حل الصيام بجرعة ماء أو تمرة. قال: وكنت أدرس معه القرآن، فما يذهب كل منا حتى يقرأ نصف القرآن... انتهى.

وكان ينفق على جميع آل باعلوي، في زمانه وأخدامهم، وتصدق بأمواله كلها إلا القليل، تصدق به على مسجد آل باعلوي، بما قيمته تسعون ألف دينار على عمارته، وضيفانه الواردين، وتصدق بقبان البلد على حفار المقابر بتريم، وعلى ضيف بلد الواسطة بصدقة أخرى. وتصدق مرة في مجلسه بخمسمائة دينار، وتخرج به خلق كثير، من أجلهم؛ الفقيه علي بن سالم، والشيخ محمد باشعيب، والشيخ عمر باوزير المقبور بالغيل الأسفل. وممن تخرج به الشيخ صالح فضل بن عبدالله ابن الفقيه فضل الشحري، والشيخ باحمران بميفعة، والشيخ خليل بن الشيخ باميمون، وممن تربى به وتخرج بتربيته السيد الشيخ المحبوب محمد بن أخيه علي.

وذكر السيد الجليل محمد شليه، أن منهم أبابكر، وعلويا، ابني عمه، والشيخ محمد بن أبي بكر عباد، والشيخ محمد بن علي الخطيب، والشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب، والشيخ عبد الله بن فهد. وذكروا أنه أنفق في حجته تلك عشرين ألف دينار.

ولد رضي الله عنه ونفع به في حياة جده الفقيه المقدم، سنة أربعين وستمائة، وقيل ثمان وثلاثين. وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة أو قريبا منها. وكانت وفاته يوم الربوع والنصف من جمادى الأولى، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من الهجرة. وخلف ثلاثة من الولد، محمدا،

وعليا، أخوي محمد بن علي مولى الدويلة من الأم كما سبق. والثالث أحمد بن عبد الله، أمه بنت عمه السيد الشيخ عبد الله بن الفقيه المقدم، محمد بن علي.

وكان ولده أحمد المذكور لاينام من الليل إلا القليل. خلف أحمد المذكور ولدا صالحا، زاهدا عارفا، اسمه محمد بن أحمد. له كرامات وأحوال عظيمة، يسمى جمل الليل. أمه عائشة بنت السيد الجليل علي بن علوي، وهو مقدم تربة المصف بقسم، وقد تقدم له ذكر. توفي سنة سبع وثمانين وسبعمائة.

وأما علي بن عبدالله باعلوي، فكان إماما زاهدا عارفا، صحب أباه، وأدرك زمن جده، وأخذ عن جماعة بزبيد، وعدن، وحج، وزار، وأنفق بمكة في يوم عشرين ألفا درهم. بنته بهية، أم أولاد سيدنا السقاف الكبار، أحمد، ومحمد، وأبوبكر، وعمر. وبنته فاطمة، أم أولاد مقدم تربة قسم، وهي التي زارها الخضر، وهي حمل ببطن أمها، وأعطى أمها شيئا من مسك الجنة.

وأما محمد بن عبد الله باعلوي، فكان إماما زاهدا، عارفا فاضلا كاملا، أخذ عن والده وعن السيد الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن علوي، صاحب مرباط، وغيرهما بالحرمين واليمن. وله كرامات مذكورة. توفي ليلة الأربعاء لعشر بقين من شعبان، سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، وقبره بتريم، بقرب عبد الله بن المقدم.

وكان سيدنا الشيخ الإمام، السيد الهمام، عبدالله باعلوي المترجم له، أحد الأجواد المشهورين، والعلماء العاملين، وهو أول من سمي الشيخ في آل باعلوي. وكان يحج في كل سنة مع وجوده في بلدة تريم، لايفقده أهلها. وكان نفع الله به حراثا، فإذا قيل له: إن عملك غير صالح، تغير لونه شفقا، ومعرفة بالله تعالى. ذكره الفقيه عبد الرحمن بن حسان الساكن بِرَيْدَةِ الْمِشْقَاص، شارح [جامع المختصرات]، وأثنى عليه.

تفقه الشيخ عبد الله باعلوي على الفقيه السيد الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن علوي، صاحب مرباط، وعلى الفقيه عبد الله بن إبراهيم باقشير، وفي سائر العلوم والمعارف عن أبيه وجده الفقيه المقدم، ولبس منهم الخرقة الصوفية.

وأما رابع الأربعة المذكورين في البيت، من أهل البيت المشار إليه، بقول سيدنا الناظم: [ومحمد المستودع]، فهو السيد الشريف، الشيخ الكبير، العارف بالله، الشهير المحبوب المجذوب، السالك المحفوظ الملحوظ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن علوي بن سيدنا الفقيه المقدم، محمد بن علي باعلوي. كان من خواص السادة المشائخ الأفراد، وأكابر الصوفية الأوتاد، وممن بهرت العقول أنواره وأسراره.

قال المشائخ، ومنهم ولده السقاف، أول قدم للسيد محمد بن علي مولى الدويلة، بتخوم الأرضين. والقدم الآخر بساق العرش، والدويلة المضاف إليه، هو حوطته المحترمة بيَبْحَر أسفل وادي حضرموت. سمع يوما هاتفا يقول له: انحدر وابْنِ عند العين، فإنها نهر من أنهار الجنة، تمر تحت قبر النبي هود، فزره وتبرك به. فانحدر وبنى هذه البلدة المعروفة بالدويلة عكس الجديدة، روى هذه القصة ولده الشيخ عبد الرحمن السقاف. وكان السيد محمد المذكور عند طروق الأحوال يضطرب جسده كالماء، فنخس مرة، فوقع موضع نخس الإصبع خرقا في جسده، ولم يزل ذلك الخرق في جسده حتى مات. وفهق عند موته فهقة، فوقع في نفس ولده الشيخ عبد الرحمن، ماهكذا موت الصوفية، فكاشفه وفتح عينيه، وقال: ماهذا إلا ذكر قلبي.

وقال الشيخ عبد الرحمن السقاف: قال والدي محمد بن علي؛ أعرف من نفسي ثلاث خصال؛ لاأكره الموت، لأن فيه لقاء المحبوب، الله تعالى وتقدس. ولاأخاف الفقر، لأني أعرف أن ماعند الله أقرب ممافي يدي. ولاأكره الضيف ولو بِتّ وحشا.

وكان رضي الله عنه يتمثل عند موته بهذين البيتين:

إن بيتا أنت ساكنه ليس محتاجا إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم تأتي الناس بالحجج

وقال السيد الشيخ الكبير، محمد بن حسن المعلم: أشهد أن الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة، وقف بين يدي الله تعالى بعد وفاته، وخوطب بهذ الخطاب ثلاث مرات: [يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم]، فلم يرد جوابا، والملائكة محيطة به. وإذا النداء من قبل الحق سبحانه وتعالى يقول لملائكته: اذهبوا به حيث شاء، فإنه محبوب. فقال: اذهبوا بي إلى النار. فلما وصلها رمى بنفسه فيها، وجعل يسير فيها ذاهبا ومقبلا، ويخرج منها كل من رآه فيها من أهل تريم، حتى أخرجهم الجميع، إلا اثنين أو ثلاثة، كلما أخرجهم عادوا إليها، فبقي يشفع لهم ولما حبسه المعلم مع الصغار في زاوية، أظهر لهم تمرا هجريا، وجرادا مشويا، فأكلوا وشبعوا وأروا المعلم مابقي معهم بعد شبعهم. ولما انكسرت آلة بعض الصناع عند الشيخ، بصق الشيخ عليها، وجبرت بريقه. وكانت الآلة هذه من حديد. وانخرق مركب في بحر الهند مرة فحشاه الشيخ بثوبه، وهو بالشحر، وعصر القميص، والماء يخرج منه. وتواجد رضي الله عنه مرة بحضور عمه وشيخه عبد الله باعلوي، فلما سكن، أقيمت الصلاة فصلى من غير وضوء، فلما أنكر عليه، قال: وعزة المعبود إني شربت وتوضأت على الكوثر، ثم حرك لحيته فتقاطرت ماء، وقال: نزل علينا شيء من العظمة لو نزل على الجبال، لجعلها سمادا. ثم انشأ يقول:

الحِبُّ حبي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادي مسرعا وغطست في بحر الهوى وغدي بي
لي تسعة وثلاثة مع تسعة والعقد لي وحدي وعاد نصيبي
ماتعلموا أني المقدم في الملا ليلةَ سُرِيَ باليثربي سري بي

فلما سمعه عمه الشيخ عبد الله باعلوي يقول البيت الثاني، قال: لك ولأبيك. فبهت الفقيه علي بن سِلِم الذي أنكر صلاة الشيخ بلا وضوء. وكان هذا الفقيه من الصالحين، ومن أصحاب الشيخ عبد الله باعلوي، نفعنا الله بهم أجمعين.

وروي أن السيد المذكور، أعني محمد بن علي، جاء يوما إلى داره، وأمسك بعتبته، وقال لأهله: أخرجوا جميع مافي الدار، واخرجوا منها، ففعلوا، فأطلق عتبة الدار، فتباعد، فانهدمت الدار في الحال، وهم سالمون.

وقال ولده، سيدنا الشيخ عبد الرحمن السقاف: قال لي والدي، محمد بن علي؛ كنت مرة مريضا، فأتاني ملكان بدلو فيه شيء أبيض من اللبن، فشربت منه حتى رويت، فإذا هو أحلى من العسل، فقلت لهما: من أين هذا؟ قالا: من عين السلسبيل. قال ولده، سيدنا علوي: سألت والدي محمد بن علي عن السماع، فقال: مانقوم فيه إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة، أول ماتبدو لنا الدنيا، فنسحقها، ثم تظهر الآخرة، فنسحقها، ثم نبددهما جميعا حتى لايبقى غير الله تعالى، فحينئذ يقع الوجود.

وقال علوي المذكور: قال والدي؛ قد ذكرنا الله باللسان والقلب، ثم تفنى الحروف، ثم تفنى اللسان، فتبقى في القلب شمعة من نور متصلا بالله تعالى.

وكان رضي الله عنه إذا قرأ آيات الخوف تقع لسانه، كأنها جمرة، ويرى على شفتيه الحريق. وكان إذا أخذ منه المصحف حال القراءة، لايشعر بذلك لاستغراقه بماهو فيه. ومكث، أعني الشيخ محمد بن علي المذكور، نحو عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء.

وكان يرى بعد موته، وكان يقول: أنا ماأشتري شيئا، إلا وقد قال لي، اشترني. وقال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ألبسني عباءته،

وجلس صلى الله عليه وسلم على ثوب له. وأنكر عليه بعض أصحابه، ففقد ذكره وخصيته، وبقي كأنه امرأة. فلما استغرق، رجع ذلك في الحال. وأنكر عليه آخر وهو يصلي، فلزق رأسه بالبساط مع سجوده عليه. وكان ينظر أهله بتريم والعجز، وهو بالشحر.

ومناقبه، نفع الله به، كثيرة، وأحواله عظيمة شهيرة. وفيه مزية مخصوص بها، أشار إليها سيدنا الناظم بقوله: [المستودع]، وهو اسم مفعول بفتح الدال، والفاعل المستودع بكسر الدال، وهو الله سبحانه وتعالى، استودعه أسراره. وسمعت سيدنا وشيخنا الناظم نفع الله به يقول: السيد محمد بن علي فيه شيء، ماهو في غيره.

ولد سيدنا محمد بن علي المذكور بتريم، ونشأ بها، وحفظ نصف القرآن. وكان إذا غلط القارىء في النصف الآخر، رد عليه. وكان يفسر السورة من أولها إلى آخرها تفسيرا فائقا، ولم يقرأ تفسيرا.

مات أبوه، علي بن علوي بن الفقيه وهو صغير، فكفله عمه الشيخ عبد الله باعلوي، ورباه ونشأ في كنفه وحجره، وبنظره وعنايته، وسلكه على طريقته. ثم حج بيت الله الحرام، وزار نبيه صلى الله عليه وسلم. قال سيدنا محمد شليه في كتابه: واجتمع في رجوعه بالشيخ العارف بالله، علي بن عبد الله الطواشي.

وكانت وفاته، أعني السيد محمد المذكور بن علي، يوم الإثنين لعشر من شعبان، سنة خمس وستين وسبعمائة من الهجرة. وخلف من الأولاد أربعة ذكور وأنثى. فالذكور: الشيخ عبد الرحمن السقاف، وعلوي، وعلي، وعبد الله. والأنثى علوية.

قال بعض السادة آل باعلوي: رأيت في المنام قائلا يقول لي؛ أتريد أن أخبرك بالجواهر؟ فقلت: نعم. فقال: الفقيه محمد بن علي، وولده علوي، وولده عبدالله، كل منهم جوهرة. فقلت: والشيخ عبدالرحمن، ماهو، يعني السقاف أخاه؟ قال: حوهرة الجواهر.

فأما علوي بن محمد المذكور، فكان إماما عارفا، صوفيا زاهدا، ولد بتريم، وأخذ عن والده وأخيه السقاف. وكان يحيي مابين العشائين بركعتين. وكان يقول: أعظم لذّاتي الصلاة. فإذا مرض، نشط لها، كأن لم يكن به مرض. وإذا دهمه أمر، أحرم بالصلاة.

وله كرامات خارقة مذكورة، منها؛ أن أباه رجع في بئر، كان قد وهبها له، فظهر بها صخرة منعتهم الماء، فلما ردها له، ذهبت الصخرة.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به، وبعلومه في الدنيا والآخرة:

[ووجيه دين الله سقاف العلا والفخر والمحضار يسرع إن دعي]

ذكر في هذا البيت رضي الله عنه ثلاثة: سيدنا السقاف، وولده أبا بكر السكران، وولده عمر المحضار.

فأما السقاف، فهو السيد الشريف، العالم الكبير، الغوث الشهير، الولي الفرد الرباني الكامل، الإمام القدوة، شيخ شيوخ الأولياء العارفين المتمكنين، وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن علي بن علوي بن سيدنا الفقيه المقدم محمد. كان في بدايته ممن رسخ قدمه في أنواع العلوم، وشرب من زُلَال صافي الفهوم، وتضلع من بحور حقائق المعقول والمنقول، حتى فاق الأئمة الفحول. قرأ [التنبيه] و[المهذب] لأبي إسحاق، و[البسيط]، و[الوسيط]، و[الوجيز]، و[الخلاصة] للإمام الغزالي. وقرأ [إحياء علوم الدين] له، وغيره من كتب التصوف. وقرأ [العزيز شرح الوجيز]، و[المحرر]، كلاهما للرافعي.

صحب الشيخ السيد الإمام محمد بن علوي بن أحمد الفقيه، وذاكره وباحثه، وصحب الفقيه الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عباد، وذاكره وباحثه. وكان يقدمه في الدرس على غيره. وصحب الشيخ الفقيه الإمام، صاحب التصانيف، محمد بن سعيد أبو شكيل.

وكانت له رضي الله عنه المجاهدات العظيمة، لم ينم ثلاثا وثلاثين

سنة. وكان يمكث على الكف من الطحين ليالي. وكان إذا نام على شقه الأيمن، رأى الجنة؛ وإذا نام على شقه الأيسر، رأى النار. وكان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يقظة في كل ليلة جمعة، واثنين، وخميس دائما، كما شهدت ذلك بعض نسائه الصالحات، حتى أنها قالت: اجعلوني معكم، لما سمعتهم يذكرون بعض الأمور النافعة، قالت: فقال أبوبكر الصديق: وأنتِ معنا. قالت: فماأحبني لأبي بكر الصديق حيث قال ذلك.

وله نفع الله به في التسليك، والتربية، والتحكيم اليد الطولى، والرتبة العليا. ولم يحكم أحدا إلا بعد أن أتاه جميع الأنبياء، ومن لايحصى من الملائكة الكرام، والصحابة والأولياء، والأحياء والأموات، مرات في وقائع معروفة، وأمروه بذلك.

قال السيد الجليل محمد بن أبي بكر بن أحمد باعلوي: لما حكمني الشيخ عبد الرحمن، ذهبت عني محبة الدنيا في الحال، وزالت عني في ذلك الوقت صفات مذمومات، وأبدلت بصفات محمودات.

وكان رضي الله عنه يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ثماني ختمات، أربع بالليل، وأربع بالنهار، ختمتان من بعد الصبح إلى الظهر، وختمة مابين الظهر إلى العصر، يقرأها في ركعتين، وختمة بعد العصر.

وكان رحمه الله يُرى في الليل كأنه سارية من طول القيام. وكان هو والشيخ فضل يقفان يتعبدان عند قبر النبي هود عليه السلام، الشهر والشهرين والأشهر. وكانت لهما صحبة طويلة، على قراءة العلوم النافعة، والمذاكرة فيها. وكان جميع الأولياء والصالحين يعظمون سيدنا السقاف، ويشهدون له بالولاية العظمى، ويتواضعون له، ويقولون بفضله. منهم: أولاده الأكابر الأقطاب، كولده أبي بكر، وعمر المحضار، وحسن، ومثل الإمام محمد بن أبي بكر عباد، والشيخ فضل بن عبد الله صاحب الشحر، والعارفة سلطانة بنت علي الزبيدي،

والفقيه العارف علي بن سالم، وإمام الزاهدين السيد الإمام حسن الورع بن علي باعلوي، والشيخ الموهوب العارف بالله علي بن سعيد باصليب الملقب بالرُّخَيْلَة، والشيخ الولي بايزيد صاحب وادي عمد، والشيخ الكبير عمر بن سعيد باجابر، والشيخ الكبير مزاحم باجابر صاحب بروم، والشيخ الكبير محمد بن سعيد بن كَبَنْ العدني. وكان الشيخ علي بن سالم مع كبر حاله وسنه، يتعلم من الشيخ عبدالرحمن في بدو أمره. كان، أعني الفقيه المذكور، من الأبدال.

ولم يكن في زمن الشيخ عبدالرحمن أشهر حالا، ولاأمكن قدما في المعالي، ولاأرسخ علما في التوحيد، ولاأطول باعا في أحكام الولاية، ولاأنفذ تصريفا، ولاأمضى حكما في الكون منه، أي سيدنا السقاف المذكور.

وكان رضي الله عنه يقول: أطلعنا على حال الحسين الحلاج، فظننا أن بزجاجته كسرا، فوجدناها ترشح وليس بها كسر، واطلعنا على حال الشيخ أبي الغيث ابن جميل، فوجدنا حاله فوق كلامه، واطلعنا على حال الشيخ سعيد بن عمر بالحاف، فوجدنا حاله موافقا لكلامه. ثم ذكر غيرهم من الأكابر رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم، ولا حرمنا ومن أحاطت به شفقة قلوبنا نفعهم دنيا وآخرة، باطنا وظاهرا، آمين يارب العالمين.

وأطرق يوما، ومكث ماشاء الله كذلك، فلما رجع إلى حاله، قال لولده الإمام عمر المحضار: شم قدمي. وكان عنده حاضرا، قال: فشممتهما، وإذا هما صفراوان، وعرفهما الزعفران، فقال لي: كنت أسير في الجنان.وقال يوما: والله ياأولادي! لقد عُزل في زماننا عشرون طيارا، وإن رجلي هذه قد دحقت في جنة الفردوس، وماأُعُدُّ ذلك إلا استدراجا أو نحو ماقال.

وقال ولده إبراهيم: قال لي أخي أحمد؛ اشهد علي أنه ماتُضرب

أول ضربة في سماع والدك السقاف، إلا وهو في ألف صوفي بين الساريتين، وقال ولده الشيخ أبوبكر: أعطي والدي السقاف من ست أيد في التحكيم. وماحكم بها حتى أتاه الأنبياء والأولياء، وأمروه بذلك، وأعطي من الشفاعة في الأولياء، كما أعطي محمد صلى الله عليه وسلم في الأنبياء.

وقال الشيخ حسن: قال لي والدي السقاف يوما، قِد لي في القطبية شيء وعشرون سنة، ومابنيت دارا ولامسجدا، ولاغرست نخلا، ولافعلت شيئا حتى سمعت النداء: افعل كذا! افعل كذا!.

وكان رضي الله عنه مايحكم أحدا، حتى يسمع من قبل الحق سبحانه وتعالى بالأمر بذلك. وكان يقول: اجتهدنا فلم يفتح علينا بالفتح العظيم، إلا بعد مارجعنا إلى معرفة النفس.

ومن كلامه رضي الله عنه: دواء القلب قطع العلائق. ومن كلامه رحمه الله تعالى: من لا له ورد، فهو قرد؛ ومن لايطالع في كتاب الإحياء، مافيه حياء. ومنه: الناس كلهم فقراء إلى العلم، والعلم فقير إلى العمل، والعمل محتاج إلى العقل، والعقل فقير إلى التوفيق. وقال: ألحقنا الله به؛ كل علم بلاعمل، باطل؛ وكل علم وعمل بلانية، هباء؛ وكل علم وعمل ونية بلاسنة، مردود؛ وكل علم وعمل ونية وسنة بلاورع، خسران، يخاف على صاحبه عند الموازنة والقصاص ذهابه.

وقال رضي الله عنه: رأيت رجلا قال لي: أراك ماتتكلم على الناس، فقلت شعرا:

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت   سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

فقال السيد أبوبكر بن الشيبة علوي: ماصفته؟ فوصف له، فقال: هذه صفات الإمام الغزالي. ولما حضرته الوفاة، أراد حاضروه صرف وجهه إلى القبلة، فانصرف بنفسه إليها، ورفعت روحه الشريفة،

ووقعت زحمة بعد موته. فكادت رجل بعض الحاضرين تقع على رجل الشيخ، فقبض الشيخ رجله، فلما وضعها، مد الشيخ رجله.

وكانت وفاته رحمه الله يوم الخميس، لثلاث وعشرين خلت من شعبان، سنة نسع عشرة وثمانمائة. ودفن ضحى يوم الجمعة. وكانت ولادته سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

أمه وأم إخوانه علي، وعبدالله، وعلوي، عائشة بنت أبي بكر بن أحمد بن الفقيه المقدم. وقبرها، أعني أم سيدنا السقاف عائشة، ببلد قسم. فأما أخو سيدنا السقاف علوي، فأمه زينب بنت حسن بن علي بن الفقيه المقدم. وخلف، أعني السقاف، من الولد ثلاثة عشر ذكرا، وسبع بنات. فأحمد، ومحمد، وأبوبكر، وعمر، ومريم، أمهم بهية بنت علي بن عبدالله باعلوي. وحسن، وعقيل، وجعفر، أمهم بنت سالم من بني جديل. وشيخ، وعبدالله، وعلوي، أمهم عائشة بنت يحيى بالقنين. وعلي، أمه بنت باثبتان. وإبراهيم، أمه بنت عبدالله بافضل بالحاج. وحسين، أمه من آل ابن عبيد. وأربعة منهم ليس لهم عقب، وهم عمر المحضار، وحسن، وأحمد، وشيخ. والخامس، جعفر أعقب، ثم انقطع عقبه.

وكان الشيخ عبدالرحمن يُسْمع لقلبه في حياته زَجَل بالتسبيح والتهليل، وجميع أنواع الذكر. ورآه أخوه عبدالله وجميع جسده نور عظيم، وجميع أعضائه مكتوب بنور، يزيد على نور جسده. سطر: لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسطر: سورة الإخلاص على جيمع جسده وأعضائه في واقعة عظيمة، وحكاية عجيبة، ذكرها الخطيب في كتابه [الجوهر]، وتكلم على شرح شيء منها بكلام مليح في بابه. وهو، أعني كتاب [الجوهر] من جملة الكتب التي اعتمدنا عليها في هذا الشرح.

وكان أهل البصائر يرون نور الشيخ عبدالرحمن كالشمس

الضاحية. وكان يرى يتبعه حيث سار نور كالقمر، وتارة دائرة نور تتبعه. وكان يخبر بوقوع الأشياء قبل أوانها. وكان يرى قميصه قائما، وليس هو فيه، ثم يعود فيه في الحال، وقد يرتفع السقف الذي فوقه، ولا يرى، ثم يعود كما كان مسقوفا. وكان رضي الله عنه يرى في الأماكن البعيدة، ولا يفقد عن بلده، كما سبق ذكره. وكان يرى يطير من نخلة إلى نخلة.

وكان رضي الله عنه يخبر بولادة أولاده، يميزهم ذكورة وأنوثة، وبمن يموت منهم. وكان القهاول من طعامه إذا كيل يجيء نحو تسع قهاول. وكان يظهر الرطب في غير أوانه بإذن الله تعالى، وجعل بعض الناس من نواه سبحة، فلم تحرقها النار. وكان يظهر الماء والخبز ونحوهما في الأماكن المعدوم فيها ذلك، بإذن الله تعالى.

وكان يرد على من غلط في مسجده، وهو بالعجز، ويسمعه الغالط. وكان يقلب التراب دراهم بإذن الله تعالى. وكان يظهر لمن استغاث به جهارا في الأماكن البعيدة بحرا وبرا. وكان يرى بعد وفاته يحضر سماعه، وكذلك أولاده، كانوا يحضرون بعد وفاتهم. وكان كثير من الأولياء، وكذا الملائكة يحضرون سماع راتبه في حياته وبعد وفاته، حتى قال بعض الأخيار: مايبقى موضع قدم من زحمة أهل الغيب من الملائكة والأولياء. وقد يرى الشيخ حال راتبه في الهواء. وكان الصالحون يرون الملائكة تنزل من السماء يُسَمِّعُوْنَ بالطارات والشبابات ليلة يترك الشيخ الراتب، ثم يرونهم يعرجون إلى السماء.

وكان الشيخ إذا مات أحد من آل باعلوي، يترك السماع إما راتبين وإلا ثلاثة. وقال بعضهم: إن الدعاء مستجاب عند افتتاح راتبه. قالوا: وقد جرب ذلك كثير.

وكان كثير الاجتماع بالخضر والأموات، وقد سمعت محادثتهم له امرأته بهية بنت علي بن عبدالله باعلوي، قال ولدها محمد، ومرضت

بسبب ذلك، وأخرجت الدم حتى ماتت. قال: وكان سماعها لحديثهم في التربة. قال محمد المذكور: وخرج والدي مرة يريد الحج، ثم السياحة، فلما وصل الجوف، أتاه جده محمد، وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصحابة، ومن لايحصى من الملائكة، وألوف من الأولياء، أحياء وأمواتا، وأمروه بالرجوع إلى بلده، وقال له جده محمد: رجوعك إلى بلدك أنفع.

وقالت زوجته عائشة بنت يحيى: انتبهت ليلة رجوعه من الجوف، فسمعته يكلم أناسا، ورأيت عندنا نورا مثل القمر. وقال ولده محمد المذكور: قال والدي: مابنيت مسجدي الكبير، إلا وقد أسسته الأئمة الأربعة، ووقفوا على أركانه الأربعة، والنبي صلى الله عليه وسلم في قبلته. وهذا المسجد أول مسجد بناه. وذلك سنة ثمان وستين وسبعمائة، وبنى عشرة مساجد، وأنفق مع أولاده في مساجدهم.

وقالت سلطانة الزبيدية: كنت إذا أراد السقاف المجيء عندنا، أرى مكاننا وماحوله مُعْشِبًا كعشب الغيث، ثم أسمع مناديا: جاءكم السلطان بن السلطان. وكان إذا جاءنا يدخل من غير الباب، إما من السقف، أو الجدار. قالت: ولم أطلع له على حال من دون سائر الأولياء.

وكان إذا غضب من أحد، ظهر عليه المقت، كما وقع لعلي بن أبي مكرم، وهو في منارة جامع بلد الغرفة، معتكف. وبنت عفيف صاحب عينات، وعبدالله بن محمد بن أبي زغيفان، خطيب بلد القارة في قصص ذكرها صاحب الجوهر.

وكان الشيخ عبدالرحمن يقول: أنا جندار من جنادرة السلطان، وهو الذي يدخل عليه من غير حجاب، ولايعارضه أحد فيما يريد، ولا لأحد معه أمر، والحكم حكمه، ماشاء فعل، يأمر وينهى، ولامعقب لأمره. وهذه صفة القطب.

قال الشيخ الإمام عمر المحضار: كنت بمكة، فجاءني بعض المشائخ، والتفت إلى أصحاب معه، وقال: والد هذا في حضرموت، يغطي على دينه ولايظهره، واشهدوا عني أنه يحضرنا في الحضرات، فنقع عنده كالضأن عند الأسد. وكانت القصة سنة حج الشيخ عمر المحضار، وهي سنة ست بعد ثمانمائة.

وكان الشيخ الولي علي بن سعيد باصليب، يقول: كل الأولياء، أحياؤهم وأمواتهم، من أراد منهم البراز لي يجيء، إلا الشيخ عبدالرحمن السقاف. وفي نحو ذلك حكايات يطول شرحها، ذكرت في الجوهر في الحكاية السادسة والعشرين بعد الثلاثمائة، والسابعة بعدها، والثامنة بعدها، وهلم جرا، سيما الثلاثين بعد الثلاثمائة، والثالثة بعدها، فهما غاية، وهكذا.

وكان يحضر المتعلقين به عند مجيء منكر ونكير، ويشفع لكل من صلى هو عليه. وكذا عند إيرادهم القبر. وكان قلبه حال نومه يذكر الله، وكذا شَعره، وبشره، وثيابه، كما سمعه بعض المشائخ، لما دخل عليه وهو نائم. وكذا سمعه غيره في حال، حديثه مع بعض العامة. وكان يقول: والله مالقلبي إلتفات إلى غير الله تعالى من أهل، أو ولد، أو مال، أو جنة، أو نار.

وكان كثيرالسهر. إذا مضى ثلث الليل الأول، تطهر وطاف على مساجد تريم، يصلي في كل مسجد، حتى يقرب الفجر، فيأتي مسجده. وكان يقول: لاتعتد بشيء من الأعمال الظاهرة أصلا. وكان يقول: أوقية من أعمال الباطن خير من بهار من أعمال الظاهر. وكان لايدعي لنفسه حالا، ولاينسب إلى نفسه علما ولاعملا. وكان يكره الشهرة أشد الكراهة، وذلك من أسباب تسميته بالسقاف. وكان بعد كبره وضعفه، يتخذ قارئا، لايزال يقرأ عنده القرآن، ويقرأ هو معه، ولايدخل وقت الصلاة إلاوهو في المسجد، متطهرا منتظرا للصلاة.

ولما غرس نخله الكبير، حضر عند كل نخلة منه، والتزم أن يقرأ عند كل نخلة سورة يّس، وفعل ذلك، فلما فرغ من غرسه زاد، قرأ عند كل نخلة ختمة من القرآن العزيز. ثم جعل ذلك النخل صدقة على أولاده الموجودين حينئذ، للذكر مثل حظ الأنثيين، على أن يهلل الذكر سبعين ألف تهليلة، والأنثى خمسا وثلاثين ألفا. ويهدون ثوابه إليه. واسم هذا النخل باجيشي.

وكان، أعني سيدنا الشيخ عبدالرحمن السقاف المذكور، يقول: في تربة تريم ثمانون قطبا، كلهم أشراف. نقل ذلك صاحب [الغرر] عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير، عن الشيخ الإمام محمد بن حسن المعلم عنه. وعنه أيضا، قال: في تربة الفريط من الأولياء عشرة آلاف ولي. نقله أيضا صاحب [الغرر] عن عمر المحضار، عن والده المذكور.

وأما قول سيدنا الناظم: [والفخر والمحضار يسرع إن دعي]. فالفخر هو السيد الشيخ الكبير أبوبكر بن عبدالرحمن السقاف. والمحضار بكسر الميم، وهو السيد الشيخ عمر بن عبدالرحمن السقاف.

فأما أبوبكر، فهو السيد الشيخ الإمام القدوة، الولي الصالح، فخر الدين أبوبكر بن الشيخ عبدالرحمن السقاف. كان شيخا كبيرا، يحكم لنفسه في حياة والده، ولاينكر والده عليه، بل يظهر الغبطة به والسرور. وكان يجتمع برجال الغيب، والخضر، وأهل البرزخ. وله كرامات خارقة، ذكروها، وله أحوال سنية، ومناقب علية.

قال والده، الشيخ عبدالرحمن السقاف: معنا بيضة مغيبة، غاص عليها أبوبكر حتى ظفر بها. وقالت سلطانة االزبيدية: إني لأسمع النوبة دائما تضرب في السماء بالمشيخة للشيخ أبي بكر. وكانت إذا قرب قدومه إليها، تقول: رحبوا بالسلطان ابن السلطان، سمعت الشاوش ينادي بقدومه، وأرى الغاشية على رأسه، والملائكة تشيعه أمامه وخلفه، فيقدم بعد ذلك بيومين.

وكان يقول، وهو صغير: أنا في منزلة جدي محمد بن علي، وقال: عرضت علي أحوال الأولياء. وقال: أعطاني جدي، علي بن علوي حالتين: فواحدة أعطيتها ولدي عبدالله، وقال: أنا أعرف من العرش إلى الفرش.

وكان صاحب خوف وسكر وغيبة. مكث أحد عشر شهرا، لاينام ليلا ولانهارا. وكان يُسَمِّعُ السماعَ مع ذلك. وكان يشاهد عند الكعبة مع كونه في بلده تريم. وكان والده يعظمه ويفضله على غيره، ويطنب في مدحه، والثناء عليه، وكذلك أخوه الشيخ عمر المحضار. وكان يثني عليه جدا. وكان بينهما مناسبة روحانية، وأسرار ومودة. وكان يقول. أعني الشيخ أبابكر: مانلت الذي نلت، إلا بكثرة حسن ظني في الصالحين وجميع المسلمين. وكان يقول: مامعنا شيء إلا أنهم إذا خطوا قدما، خطونا إثرهم.

وكان كثير الإستغراق في ذكر الله، وفي الدعاء، والتوسل بالأولياء، وحسن الظن، كثير الدعاء لأولاده. وكان يوقد تحته النار، وهو في المحراب في أشد الحر، ومع ذلك يشتكي البرد، وعكسه في الشتاء. وله كرامات حذفنا ذكرها اختصارا. وقال فيه أخوه عمر: لو كنا ياآل عبدالرحمن في كفة، وأبوبكر في كفة، لرجح بنا.

ومما قال فيه ولده، الشيخ الإمام علي نفعنا الله به دنيا وآخرة آمين، شعرا:

هو المحبوب والمجذوب صدقا ... كسمنون ومعروف الفضيل
له وسع كوسع أبي يزيد ... وإسماعيل ذي الوهب الجزيل

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

وأما المحضار، فهو السيد الإمام، العالم العامل، العارف الرباني، قطب المحققين، وشيخ أشياخ السالكين، الشيخ الكبير، عمر المحضار

بن سيدي القطب، السيد عبدالرحمن السقاف. فكان شيخ شيوخ أئمة عصره، كبير الحال.

قال الأولياء العارفون، والسادة المتقون: إنه يغضب لغضبه جبار السموات والأرض، ويرضى لرضائه. له الباع الطويل في المجاهدات والرياضات. وله في طي الليالي والأيام، مالايقدر أحد من أهل زمانه عليه. والانخلاع عن جميع العادات، والتمكين المكين في خوارق الأحوال، وصدق المعاملات، والرسوخ القوي في صحة المقامات، وانكشاف المغيبات، وإيضاح علم المكاشفات، والعلم الغزير في الظاهر والباطن.

وكان يحفظ [منهاج النووي] عن ظهر قلب، كالفاتحة. ويكاد يحفظ كتاب [الحقائق] للسلمي في التفسير. ترجمه العلماء، أهل التصانيف من حضرموت وغيرها، مثل صاحب الجوهر، والشيخ علي بن أبي بكر، والشرجي اليمني، وغيرهم.

أخذ في العلم الظاهر عن جماعة من علماء حضرموت والشحر. وفي علم الباطن عن والده السقاف، وغيره. وأخذ عنه جماعة من الأكابر، مثل الشيخ الإمام القطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأخيه الشيخ علي بن أبي بكر، وأخيه الشيخ أحمد بن أبي بكر، والفقيه محمد بن علي بازغيفان.

وله كرامات خارقة، مشهورة مأثورة، يعرفها الخاص والعام. وكان حتفا على من أقل الأدب معه، وترياقا ونفعا لمن تأدب معه.

قال السيد الجليل العلامة محمد بن علي بن علوي خرد، صاحب كتاب [الغرر]، فيها: سمعت من الفقيه العلامة، الورع الزاهد، عبدالله بن عبدالرحمن بافضل بالحاج قال: سمعت والدي يقول: أحفظ للشيخ عمر ثمانين كرامة.

وكان الشيخ عمر يتلو اسم الله اللطيف ألف مرة في نفس واحد.

وكان خادمه جريدان يتلوه سبع مائة مرة في نفس واحد. وكان سريع الغوث لمن استغاث به، مجربا في ذلك، يرى جهرا في البر والبحر. وكان يظهر الرطب في غير أوانه، وتمتثل الجمادات والحيوانات لأمره، وتنتهي لنهيه. وكان ينادى له في السماء بأنه صاحب التصريف والأمر. وكان يبعد من شاء، ويقرب من شاء. وأقيم مقام الشيخ عبدالقادر الجيلاني، نفع الله بهم وبجميع الأولياء والصالحين.

وكان في بدو أمره، كثير المجاهدة، ويرى كأنه عليل، ومكث نحو ثلاثين سنة، لايأكل التمر، ويقول: التمر أحب الشهوات إلي، فلذلك منعته نفسي. ومكث خمس سنين، لايأكل شيئا مما يقتاته الناس. هكذا رواه عنه الشيخ عبدالله العيدروس، نفعنا الله بهم وسائر الصالحين والأولياء.

ومكث شهرا في ريدة المشقاص، لايذوق إلا الماء، ومع ذلك لم ينقص من قوته ولا من اجتهاده شيء، ولا من مواقعته للنساء. وطوى مرة أخرى أربعين يوما لم يذق فيها شيئا، ومكث في مسيره إلى الحج والزيارة أربعين يوما، لم يذق فيها طعاما ولاشرابا. وأخذ مجاورا عند قبر النبي هود عليه السلام بحضرموت شهرا، لم يأكل سوى رطل سمك. وكان يقول: وددت أني أكون حيوانا يذبح ويؤكل، أو حمارا يموت ويصير ترابا. ذلك من شدة خوفه.

وكثيرا ماكان يقول: لو علمت أن لي عند الله سجدة مقبولة أو حسنة، لضيفت أهل تريم على البر واللحم حتى دوابهم. وكثيرا مايقول: أضع يدي على حلقي ظنا أن نفسي قد قبض، ولاآكل لقمة وأظن أني أسيغها.

وقال الشيخ الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس: أدخلني عمي عمر المحضار في صدفة من نور لم يحملها غيره. ورأى بعض الصالحين منازل الأولياء في الجنة، فلم ير منزلة مثل منزلة الشيخ عمر بن

عبدالرحمن رضي الله عنه، عمه المذكور. وقال أيضا: سمعت شيخنا الشيخ عمر يوما، وهو مغلوب بوارد، يقول: لو وزن جميع آل باعلوي في كفة، وأنا في كفة، لرجحت بهم.

وقالت سلطانة الزبيدية: رأيت الشيخ عمر بن عبدالرحمن في قبة من نور، مرتفعة في السماء، وجميع الأولياء تحتها، وهي فوقهم مثل النجم. وكان الشيخ عمر بن عبدالرحمن المذكور يقول: أعطيت ثلاث أيد: يد من النبي صلى الله عليه وسلم في الكشف، ويد من والدي، ويد من آخر لم يسمه.

مات رضي الله عنه، وهو ساجد في صلاة الظهر، يوم الإثنين، ثاني عشرة من شهر القعدة، سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة. وقبره بتريم يزار ويُتَبَرَّكُ به، ترياق مجرب. يعرف باستجابة الدعاء. وكذلك مسجده. وخلف من البنات أربعا؛ عائشة، وفاطمة، ومريم، وعلوية. وقال فيه الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه ونفع به:

شيخي أبي المحضار قطب زمانه	ذاك المصرف في الدنا وأواخر
ماقط يدعو باسمه ذو كربة	إلا ويدركه بغوث حاضر

وأما قول سيدنا الناظم نفعنا الله به آمين:

[والعيدروس القطب سلطان الملا	وأخيه نور الدين شيخ المهيع]

فالعيدروس هو السيد الشريف، محيي الدين، وإمام الأولياء والصالحين، وقطب الأقطاب الواصلين، وشيخ المشائخ، وغوث الأكابر، وسيد الجماعة، وسلطان الوجود، السيد عبدالله بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف. كنيته أبو محمد، ولقبه العيدروس. ومعنى العيدروس، كبير الصوفية. تعلم القرآن على السيد المكاشف، محمد بن عمر باعلوي، وتفقه على الفقيه سعد بن عبيدالله بن أبي عبيد، والفقيه عبدالله باهراوه، والفقيه عبدالله باغشير، والفقيه علي بن محمد أبي

عمار، وغيرهم. وقرأ [التنبيه]، و[المنهاج]، و[الخلاصة]، وتكررت قراءته لهذه الكتب. وكان له محبة في مصنفي هذه الكتب واعتقاد.

وأخذ في التصوف على عمه الشيخ المحضار عمر، وتربى به، وقرأ كتب الإمام الغزالي، خصوصا كتاب [إحياء علوم الدين]، كاد أن يحفظه نقلا، وأطنب في مدحه، ومدح مصنفه. ذكرنا شيئا من ذلك في ترجمة الغزالي عند ذكره فيما مضى من هذه القصيدة، نفعنا الله بالجميع، ولا حرمنا بركاتهم، وأعاذنا بسرهم من شرور أنفسنا، بمنه وكرمه.

وكان له الكلام العالي في حقائق التوحيد. وكان يقول: لوأردت أصنف على حرف الألف مائة مجلد، لفعلت. وله وصايا في الطريقة رائقة نافعة. ومن تصانيفه كتاب [الكبريت الأحمر]. وله شرح على قصيدة لعمه الشيخ عمر. وكان يقول: آه! آه! وردت على القلب علوم لايمكن شرحها.

وقال رضي الله عنه: استوى عندي المدح والذم، والجوع والشبع، أو اللباس الرفيع والدنيء، وصرف خمسمائة دينار ودرهمين: ومنذ نشأت في صغري، لايميل قلبي لغير الله تعالى. وكان يقول: إذا انقلبت على جنبي الأيمن، رأيت الجنة، وإذا انقلبت على جنبي الأيسر، رأيت النار، فأين الراحة؟ وكان شديد الخوف والتواضع، لايرى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى، حتى البهائم والكلاب.

وكان رضي الله عنه يضع على رأسه التراب تواضعا لله عز وجل. وكان يحمل حاجته من السوق في ثوبه، ولايمكّن أحدا أن يحملها له، وقد يضعها على عاتقه ورأسه. وكان يجلس على المزابل، ومكث يستقي لأمه الماء، ويلتزم أن يكون من ماء المطر، فيذهب له إلى الأماكن البعيدة. وابتدأ في مجاهدات النفس، وهو ابن ست سنين. وكان إذ ذاك يقتات من ثمر العِشْرِق، ومكث سنتين، يفطر على سبع تمرات، إلا شيئا من الليالي، تأتيه أمه بقرص، يأكله جبرا لخاطرها.

قال سيدنا الشيخ عمر المحضار: مازوجت الشيخ عبدالله، يعني ابنته عائشة، إلا لأني رأيته استأثر بأحوال آل باعلوي كلهم. وقال سيدنا السيد الشيخ محمد بن حسن المعلم باعلوي: نال الشيخ عبدالله شيئا مانالـه أحد من أولي آل باعلوي، ولاآخرهم.

وقد أثنى على الشيخ عبدالله العيدروس جماعة من أكابر الأولياء، ومشائخ الأصفياء، منهم؛ إمام العارفين، جده الشيخ الإمام عبدالرحمن السقاف، وأبوه الإمام الشيخ أبوبكر، وعمه الشيخ الإمام عمر المحضار، وأعمامه المشائخ الأكابر أحمد، وشيخ، وغيرهم، كالشيخ الإمام الفقيه السيد محمد بن علي مولى عيديد، والسيد الشيخ الإمام أخيه علي بن أبي بكر، والشيخ سعد بن علي مذحج، والشيخ عبدالله بن طاهر الدوعني، وسلطانة الزبيدية، وأحمد بن محمد الجبرتي، وعمر بن سعيد باجابر، والشيخ حسين الغريب، والشيخ معروف بن محمد باعباد، والشيخ محمد بن علي العفيفي الهجراني، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير، والشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز، والشيخ عبدالرحمن الخطيب، مصنف [الجوهر]، ولم يذكر فيه من الأحياء سواه، أعني الشيخ عبدالله العيدروس.

وأفرده بتصنيف عظيم، حاكيا به كتاب المائتين لليافعي، أظن اسمه [عقد البراهين المشرقة]. وكذلك أفرده بالتصنيف تلميذه السيد الشيخ الإمام عمر بن عبدالرحمن باعلوي، صاحب الحمراء. وكان الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير صنف فيه كتاب [التحفة]، وغيرهم. وذكروا فيه جملة من مناقبه، وكراماته، وأحواله. وقد وقعت فيه بعض إشارات قبل ظهوره وولادته.

ورأى بعض المكاشفين النبي صلى الله عليه وسلم يمدحه مدحا عظيما، وفهم منه أنه يقول: هذا ولدي، هذا وارثي، هذا بضعة مني، هذا مخي، هذا عظمي، هذا سري، هذا وارث سنتي. وأخذ عنه

الطريقة جماعة من الأكابر، كأخيه الشيخ علي، والشيخ السيد عمر بن عبدالرحمن، صاحب الحمراء. وصنف فيه كتابه [فتح الرحيم الرحمن]، كما أشرنا إليه، وعبد الله بن عبدالرحمن باوزير. وذكرنا تصنيفه فيه، والشيخ العلامة عبدالله بن أحمد باكثير المكي، وبالجملة فأحواله متعذرة الحصر، وكراماته ومناقبه كالبحر.

وكان مولده، نفع الله به، في العشر الأول من ذي الحجة، سنة إحدى عشرة وثمانمائة. ووفاته بطريق الشحر بعَبُول، يوم الأحد قبل الزوال. ثاني عشر رمضان، سنة خمس وستين وثمانمائة من الهجرة، وعمره خمس وخمسون سنة، وخلف أربعة ذكورا: أبوبكر العدني، وعلوي، وشيخ، وحسين. ورقية، وخديجة، وأم كلثوم، أمهن مع الشيخ أبي بكر عائشة بنت الشيخ عمر المحضار. وحسين أمه أم هاني بنت علي بن أبي مدرك. وبهية أمها بنت باحجر، وشيخ أمه من الظلفان. وعلوي أمه بنت باحجر. وأما أم الشيخ عبدالله العيدروس المذكور، فهي مريم بنت أحمد بن محمد بارُشَيد، الولي الصالح العابد.

قال السيد الإمام الشيخ محمد بن حسن المعلم: سمعت في اليقظة هاتفا يقول: إن أردت أن تنظر إلى أحد من أهل الجنة، أو قال ترى، فانظر إلى أحمد بارشيد، هكذا رواه عنه السيد الفقيه الإمام محمد بن علي عيديد باعلوي. وله مآثر عظيمة مذكورة في الكتب.

وتوفي سيدنا عبدالرحمن السقاف، وعمر سيدنا عبدالله العيدروس ثمان سنين ونيف. وتوفي والده سيدنا أبوبكر بن عبدالرحمن، وسنه قريبا من العشر السنين. وكفله بعد والده مع أخوته، عمه سيدنا الشيخ عمر بن عبدالرحمن. وتربى به حتى فتح الله عليه. وتوفي عمه عمر، وعمره قريبا من ثلاث وعشرين سنة، وقد تزوج ابنته عائشة بنت عمر، وبنى بها في حياة أبيها عمر، رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا بأسرارهم، وبسائر آل باعلوي، وجميع الصالحين.

ومن كلامه نفع الله به: اشهدوا علي، أنه من دخل في السماع، أنه في خطر. ولايجوز للعارف أن يدور في السماع، إلا وقد دارت جميع الكائنات في لمعة من لمعات قلبه.

ومن كلامه: اعصر جسمك بالمجاهدة، حتى تستخرج منه دهن الصفا. ومنه: لايقع العبد عبدا، حتى لايخرج كلمة إلا بإذن ربه. ولايقع العبد عبدا، حتى يصفو باطنه عن الخلق كلهم.

وقال رحمه الله تعالى: من أراد الصفاء الرباني، فعليه بالانكسار في جوف الليل، وآخر الليل كبريت أحمر، غريب لطيف دقيق، لايكاد يوجد. ومن شمر عن ساق الجد واجتهد، فلابد أن يعثر على شيء من هذا السر. والكنوز كل الكنوز في دعائم الاجتهاد، وتوزيع الأوقات هو اللب، بل هو المخ، بل هو الجوهر الأبدي، والكبريت الأحمر الذي لايدرك في خزائن الدنيا والآخرة، إلا لمن وفقه الله تعالى. ومعظم أوقات الكنوز بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ونصف الليل الأخير، وبعد الصبح. والخير كل الخير وأصل كل مقام وبركة في ذكر القبور والموت والموتى. وموضع رضا الله ورضا رسوله مطالعة كتاب [إحياء علوم الدين]. وترك الغيبة مملكة. وترك النميمة سلطنة. وحسن الظن ولاية. ومجالسة من ذكر الله مكاشفة. والخير كله في الصمت. واستعمل الفكر، ففيه سر. ولاتخل الصدقة كل ليلة، ولو مثقال ذرة. واحرص على تلاوة القرآن في الليل والنهار. وعلامة السعادة والتوفيق، والعلم والعمل، حسن الخلق والأدب، لأنه حياة القلب. وعلامة العقل الصمت، وعلامة الخوف كثرة الحزن، وعلامة الرجا كثرة العبادة، وعلامة الزهد القناعة، وعلامة الكرم بذل الجهد في الخير وفي رضا الله، وعلامة التوبة كثرة الندم. واترك السماع، فلا فائدة في قربه للمريدين، خصوصا في هذا الزمان.

وأما قول سيدنا الناظم نفع الله به: [وأخيه نور الدين شيخ

المهيع]. المهيع من أسماء الطريق، والمراد طريق الله، والدار الآخرة. والضمير في [أخيه] عائد على العيدروس. فهو الإمام الشيخ الكبير السيد، شيخ الشريعة، وإمام الطريقة، وبحر علوم الحقيقة، المتفق على جلالته وإمامته، وكمال معرفته، واتباعه لسنة جده، محمد صلى الله عليه وسلم، أبو عبدالله وأبوالحسن علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف. مولده سنة ثمان عشرة وثمانمائة. قرأ العلم الظاهر على الفقيه أحمد بن محمد بافضل. ومكث أربع سنين بالشحر، وبغيل باوزير. يقرأ على الفقهاء آل باهراوة، والفقيه محمد بن علي باعديلة، والفقيه بعلم، والفقيه أبي عمار. ونقل في الفقه كتاب [الحاوي] للقزويني، وفي النحو الحاوي أيضا. وقرأ [الإحياء] على السيد الإمام محمد بن حسن المعلم، وعلى أخيه الشيخ عبدالله العيدروس، وعلى الشيخ سعد بن علي مذحج. ولبس من عمه الإمام عمر المحضار في حال صغره، وسن تمييزه، وأدخله أخوه الشيخ عبدالله الخلوة سبعة أيام، وأمره بقراءة أسماء الله الحسنى بغير صيام، فما مضت تلك الأيام إلا وقد برز له بكل حرف من حروفها جسم روحاني.

وذكر لباسه من أخيه في كتاب [البرقة]، وقال: لنا منه صفة في لباسها من جميع جهاته، وسلاسل سنده، بالإذن المطلق، والتفويض في أمر التحكيم، وأحكام لباس الخرقة، ولاأعلم أحدا له ما لي في إلباسها.

وذكر في كتاب [البرقة] المذكور، جملة من مشائخه، وكيفية أخذه عنهم، وصحبته لهم، وأسراره معهم. وأطال بما لامزيد عليه. وذكر أنه قرأ على الشيخ القدوة الولي، سعد بن علي مذحج [الإحياء] مرتين، و[رياض الصالحين] للنووى مرتين، و[منهاج العابدين]، و[الأربعين الأصل]، و[رسالة القشيري]، و[عوارف المعارف]، و[أعلام الهدى] للسهروردي، و[بداية الهداية]، و[المقصد الأسنى] للغزالي، وكتاب [المعرفة] للمحاسبي، و[روض الرياحين]، و[المائتين]، و[نشر

المحاسن]، و[شرح أسماء الله الحسنى]، و[الإرشاد] كلها لليافعي، وكتاب [تحفة المتعبد]. وكان سلوكه بما فيها وخلقه [منهاج العابدين].

ومن زهده أنه لم تذكر الدنيا في مجلسه. ومن مناقبه أنه لم يسه في صلاته، ومايرى إلا وهوقارىء لكتاب الله، أو ذاكر، أو راكع، أو ساجد. وقال فيه أبوه الشيخ أبوبكر بن عبدالرحمن ليلة حملت أمه به، عند ورود حال عظيم عليه. حملت مريم بنت أحمد بارشيد، بولد صالح كبير، جامع بين العلمين، لكنه مستور. وعلامة ذلك أن الشيب يظهر فيه قبل أوانه. ولما ولد، قال جده الشيخ عبدالرحمن السقاف: جاء الليلة لولدي أبي بكر، ولد صوفي. وذلك قبل أن يعلم أحد من الناس بولادته، فظهرت عليه جميع الأمارات من قول أبيه وجده.

وقال عمه الشيخ عمر، لما رأى امرأة الشيخ علي: هذه امرأة القطب. وامرأته المذكورة، فاطمة بنت الشيخ عمر المذكور. وكان ذلك قبل أن يتزوجها الشيخ المذكور.

وأشار الشيخ سعد عند موته، بأنه الوارث لحاله. وقال الشيخ الولي الورع الزاهد، إبراهيم بن محمد باهرمز الشبامي: إن لم يكن الشيخ علي بن أبي بكر قطب زمانه، فليس على وجه الأرض قطب. وبمثل ذلك، قال السيد الشيخ، عمه عبدالله بن عبدالرحمن. وكذلك قال السيد الشريف الولي، أحمد بن محمد باعبدونه: والإشارات من الأولياء فيه كثيرة. مثل قول بعضهم: إن النظر إليه يذيب شرور النفوس. وقال آخر: إن هيبته تدكدك الجبال. وقول غيره: إن سر الفقيه المقدم صار فيه. وقول آخر: قد له في القطبية يوم ونصف، وذلك قبل موته بسنين كثيرة.

وقال السيد الإمام محمد بن علي خرد، صاحب [الغرر] فيه: نظره دواء شاف، والنظر إليه عبادة ولقاح، وكلامه ترياق واق مجرب.

توفي رحمه الله تعالى، ورضي عنه ونفع به، يوم الأحد ثاني عشر من

شهر عاشوراء، سنة خمس وتسعين وثمانمائة. وعمره نحو سبع وسبعين سنة. وخلف من الولد سبعة ذكور؛ عمر، وعبدالرحمن، ومحمد، وعبدالله، وعلوي، وحسن، وأبوبكر. وخمس بنات؛ بهية العابدة الصالحة، ورقية، وعلوية ومريم، وعائشة.

وله نفع الله به تصانيف جليلة حفيلة، منها؛ [معارج الهداية]، وكتاب [البرقة المشيقة]، وكتاب [الدر المدهش البهي، في مناقب الشيخ سعد بن علي]. وله تصنيف على تكبيرة الإحرام وأسرارها، ودعاء الافتتاح، والتعوذ والبسملة. وله تصنيف في قواعد النحو نظما. وكذا في النكاح، وله ديوان شعر في علوم الحقائق والتصوف. وله كتاب في الوصايا والعقائد مجموع.

ومن كلامه: وافق الكل، واجعل النية مع الله تعالى. ومن كلامه رضي الله عنه: عود نفسك التغافل، فإن مدار مصالح أهل الزمان عليه. ومنه: لاتحقرن من أفعال الطاعة شيئا، والحضور في حلق الذكر، وعقود الأنكحة وغيرها، ولو كان أهل الذكر فيهم نقص، وهم من العوام ممن يستحقر، فينبغي الحضور معهم.

ومن كلامه: بالتكرير يحصل التأثير. ومنه: تعليم الصبي على يد غير أبيه أولى. ومنه: القبول من الله أقرب إلى سليم الجنان، من فصيح المنطق، وبليغ اللسان. وقال لابن أخيه أبي بكر العدني: يابني! حرك بعابعك، وأذِبَّ جعاجعك، واعرف مباديك ومراجعك، تحظ بحضرات جمعك ومجامعك. وتربى به وتخرج عليه جماعة، منهم: أولاده، والشيخ أبوبكر ابن أخيه، والفقيه الولي محمد بن سهل قشير، والفقيه محمد بن عبدالرحمن باصهي، وباجرفيل الدوعني.

وأما قول سيدنا الناظم نفع الله به في الدارين آمين:

[ومحمد القوام صاحب روغة   ونزيل عيديد الفقيه الأورع]

فالأول من المذكورين في بيت القصيدة، هو الإمام القدوة، السيد السند، الشيخ العارف بالله، الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة، وسلوك الطريقة، محمد بن حسن بن محمد بن حسن بن علي بن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي. يعرف بصاحب روغة، براء وواو وغين معجمة وهاء. ويعرف أيضا بجمل الليل، يعرف أيضا بالشيبه باحسن، رحمه الله ونفع به. كان من السادة الكمل، المشائخ العارفين، الكبار المحققين، تفقه على الفقيه السيد محمد بن علي بن الفقيه المقدم، وعلى عمه الفقيه السيد أحمد، وعلى الفقيه الإمام الولي محمد بن أبي بكر عباد الشبامي، وأجازه إجازة بليغة.

كان رضي الله عنه، صاحب مجاهدة، وفتح في القرآن. وله إطلاع على البرزخ وأهله، واجتماع بالأموات يقظة، وسماع الهواتف الربانية، والمخاطبات النورانية. ولديه علوم لدنية، وله ذوق في تلاوة القرآن، واستغراق في معانيه. وكان يردد الآية مقدار نصف القرآن، وتارة يصيح بعد الآية. ويقول: لا إله إلا الله، ماأحلى هذا! فمما يردده من الآيات، قوله تعالى: [إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا].

قال السيد العلامة محمد بن علي بن علوي خرد، صاحب [الغرر]: قال لي ولده الفقيه عبدالله بن محمد: كان يكرر ودا من وسط الليل إلى الفجر. ومنها: [وإن الدار الآخرة لهي الحيوان]. ويقول: [لهي الحياة لو كانوا يعلمون].

ومن الآيات التي يكررها ويَتَذَوَّقُ فيها، قوله تعالى: [الذي أحلنا دار المقامة من فضله، لايمسنا فيها نصب، ولايمسنا فيها لغوب]. ومن ذلك قوله تعالى: [يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم]. وقال: قد يعرض لنا شيء من قلب الأعيان، فما أردناه. وقال: قد يبلغ الواحد إذا

ظهر له الحقيقة إلى حد لو ضُرِبَ وجهه بالسيف، لم يشعر بذلك، يعني نفسه، نفع الله به.

وقال: قد يظهر لي شيء من الحقيقة، لاأقدر أن أصفه. وقال رضي الله عنه: قلت مرة أين الناس؟ أين الناس؟ فهتف به هاتف قائلا: راحوا في الكأس، والكأس كأس الدنيا.

ومن كلامه رحمه الله: إذا غرق ابن آدم في حب الدنيا، قال: كيف أعمل؟ أين الطريق؟ أين الخلاص؟ شبه السكران، والغريق في البحر، وإلا ما بعد كلام الله كلام، ولابعد دلالة رسول الله طريق.

ومن كلامه: معنى الآخرة، الرجوع إلى الله. مسكين من لا له في الله نصيب، أي بالفناء فيه عن غيره. يموت المرء على ماعاش عليه. وقال: اعرف نفسك حتى تعرف بنفسك ربك. أنت في نفسك وربك في العالم، كما روحك في جسدك، أي من حيث الملك والتصريف. لا إله إلا الله، معناها: ماألوف إلا الله. ابن آدم بَوٌّ والقدر حاكم فيه، والأشياء كلها محل فعل الله، والفاعل، أي منها مفعول به.

ومن كلامه: الملائكة عليهم السلام تتكلم مثل كلام ابن آدم. ومنه: ولد صالح خير من متعلم سنة. ومنه: الطبع السفلي مولع بسوء الظن. شغلنا بحاجاتنا وحاجات من عاش لاتنقضي.

ومن كلامه: اعمل من الشتاء ولو معداة، فإن فيه البركة. ومن كلامه: برد باطني على ماشاء الله، لاقوة إلا بالله.

وقال نفع الله به: هتف بي هاتف؛ إن أردت أن تنظر إلى أحد من حملة العرش، فانظر إلى محمد بن علي، المسمى بشيخ بن علي. وهو أخو حسن الورع. وكان مرة يقرأ [وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة] قال: فناطقني مناطق عند ذلك قائلا، الفقيه محمد بن حكم منهم. وبالجملة، فكان هذا السيد، أعني محمد بن حسن من أكابر السادة المشائخ، العارفين بالله وأحكامه، ذو المناقب العلية، والكرامات الخارقة،

والفراسات الصادقة. ومن تلاميذه: الشيخ القطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأخوه الشيخ الإمام علي بن أبي بكر، وأخوهما الإمام أحمد بن أبي بكر، وكذا السيد الشيخ عبدالله بن علوي بن محمد بن علي، والشيخ سعد بن علي مذحج، وغيرهم. ترجمه السيد الإمام علي بن أبي بكر في كتابه [البرقة] وغيره.

وكانت ولادته سنة خمسين وسبعمائة، ووفاته ليلة الإثنين، سبعة عشر من ذي الحجة، سنة خمس وأربعين وثمانمائة. وخلف من الأولاد: عليا، وعبدالله. زوجته مانية بنت عبدالله بن الإمام محمد بن حكم باقشير. وقبره، أعني محمد بن حسن بتربة آل باعلوي بتريم، نجدي سيدنا الفقيه المقدم عند جده محمد بن حسن الملقب أسد الله، كما لقب صاحب الترجمة بجمل الليل، والمعلم، وبالشيبة. وقد سبق في ترجمة سيدنا الفقيه المقدم، أن السيد محمد بن أحمد بن عبدالله باعلوي، يلقب أيضا بجمل الليل، وهو مقدم المصف تربة قسم.

وله كرامات ظاهرة وأحوال سنية. وكان كثير التلاوة، كثير المجاهدة، ويقوم أكثر الليل. توفي سنة سبع وثمانين وسبعمائة، وذكرنا ثم أولاد سيدنا وجدنا علي بن الفقيه المقدم محمد، وهم قرابة محمد بن حسن المعلم، المترجم له.

وقول سيدنا الناظم نفع الله به آمين: [ونزيل عيديد الفقيه الأورع]، مراده به السيد الجليل، الإمام الحفيل، الشيخ العارف بالله وبأحكامه، جمال الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن ابن عم الفقيه، وهو علوي ابن صاحب مرباط، محمد بن علي باعلوي. كان، أعني مولى عيديد، رضي الله عنه، من الفقهاء الجامعين بين علمي الشريعة والطريقة، وانكشاف الحقيقة. قرأ على السيد الشيخ عبدالرحمن السقاف وغيره في علم الشريعة، وعلى الشيخ محمد بن حكم باقشير، والفقيه عبدالله بن فضل. وتخرج بالشيخ

عبدالرحمن السقاف، وبأبيه علي بن محمد في علم القوم الصوفية. أثنى عليه أكابر المشائخ وعظموه، وحققوا رفعة قدره، منهم: الشيخ علي بن أبي بكر، والشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس في كتابه [الجزء اللطيف في التحكيم الشريف]، والسيد عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء، والسيد الفقيه العلامة محمد بن علي بن علوي خرد في كتابه [الغرر]. وأخذ عنه جماعة من أكابر الأولياء والصالحين، منهم: الشيخ علي بن أبي بكر وولد أخيه أبوبكر العيدروس، والفقيه العلامة محمد بن أحمد بافضل. ونقل عنه أكثر [الحاوي الصغير] في الفقه. وقرأ عليه أكثر [الإحياء] لحجة الإسلام.

وممن أخذ عنه ولداه الصالحان، عبدالله وعبدالرحمن. وجملة أولاده، وهم ستة ذكور: عبدالله، وعبدالرحمن المذكوران، وأحمد الأكبر، أمهم بنت حسن بن الفقيه أحمد. وكانت صالحة زاهدة، لبست مكان الفضة الرصاص الأبيض، وبدل الذهب النحاس الأحمر. وأنفقتها في سبيل الله ووجه رضاه. وبقية أولاده، علي، وعلوي، والفقيه أحمد.

وكان الفقيه أحمد المذكور متبحرا في علم الطب والتشريع. ولصاحب الترجمة الفقيه محمد بن علي، حوطة بوادي عيديد، مشهورة بالحماية والحشمة، ابتنى بها دارا ومسجدا صغيرين، مايطلع منهما إلا لصلاة الجمعة أو زيارة أحد من أهل الخير والصلاح.

وممن أخذ عنه: الولي الصالح محمد بن أحمد أبي جرش. كان كثير الإجتماع بالخضر. وله عبادات ظاهرة. وكان راتبه ثلاثة آلاف من سورة الإخلاص بين المغرب والعشاء.

توفي السيد المذكور مولى عيديد، سنة اثنتين وستين وثمانمائة. وتوفي والده السيد الإمام، القانت العابد، نورالدين علي بن محمد، سنة ثلاثين وثمانمائة. أثنى عليه الشيخ عبدالرحمن السقاف وعظم أمره

وفخمه. ولنقتصر من ذكره على ماذكر، روما للاختصار، فإن فضائلهم، رضي الله تعالى عنهم، كالبحر.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[ومحمد ذاك الفقيه وصنوه الشيخ نور الدين أنس المربع]

فالمراد بهما، السيدان الإمامان، العارفان بالله وبأحكامه، الزاهدان العابدان، الحبران الكبيران، السيد الفقيه محمد وأخوه علي، ابنا السيد علوي بن أحمد بن سيدنا الفقيه محمد بن علي المقدم. فأما محمد المسمى فقيه، فكان أحد العلماء الأعلام، وأكابر أئمة الإسلام، وأحد المشائخ قدوة الأنام. وكان له السبق في الزهد والورع والعبادة، والعلم والأدب، متفننا في جميع العلوم؛ من تفسير، وحديث، وفقه، ونحو، ولغة، وأدب، وطب، وغيرها. وتخرج به خلق كثير، وأئمة جهابذة، وفقهاء أجلة.

فممن أخذ عنه: الإمام القطب الغوث، عبدالرحمن بن محمد السقاف باعلوي، والسيد الإمام الفقيه، شيخ مشائخ الإسلام، محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن المقدم الآتي ذكره في البيت الآتي، والسيد الجليل أحمد بن محمد بن حسن بن علي بن سيدنا الفقيه المقدم.

وممن أخذ عنه: الشيخ الكبير، القدوة الشهير، الفقيه محمد بن أبي بكر عباد. وله منه إجازات في مجلد، كل كتاب من أنواع العلوم عليه إجازة السيد الفقيه، للفقيه محمد بن أبي بكر. ومنهم: الفقيه سعد المعلم باعبيد، والشيخ الإمام الولي الصالح فضل بن عبدالله بن فضل الشحري، وغيرهم من فقهاء حضرموت آل باقشير، وآل بافضل، وآل باحرمي، وآل بايعقوب. واختص بالشيخ فضل اختصاصا خاصا، وانتفع به نفعا عظيما، ونال ببركته فضلا غزيرا باهرا.

وكان طلب سيدنا الفقيه المذكور صاحب الترجمة، وأخذه العلوم

على الفقيه الصالح جمال الدين محمد بن علي بن عبدالصمد: الجوهي بمقدشوه، وأخد عن غيره من أكابر العلماء بمكة وحضرموت. وممن أخذ عنه: الفقيه الصالح الولي سعد بن الفقيه محمد بن الإمام الفقيه أحمد بن الشيخ محمد بن فضل في الطب، وغيره، ومن سائر العلوم. وعلى القاضي عبدالله بن الفقيه فضل. ومن محفوظاته [التنبيه]. وكاد أن يحفظ [المهذب]. ومن قراءته على مشائخه، [الوسيط] و[الوجيز]، واحترق له ثلاث عشرة عمامة من كثرة إدمانه، ومطالعته للكتب بالليل.

وكان قليل النوم، كثير الجلوس عند القبور، يسرح السارح من تريم إلى القارة، ويرجع وهو جالس عند قبر جده الفقيه محمد بن علي المقدم، وبعد القارة من تريم نحو اثني عشر ميلا. وكان كثير الأذكار والأوراد، قلما يفتر من قراءة: [إذا زلزلت].

وسئل رضي الله عنه عن أحوال أهل القبور، فقال: [ربهم أعلم بهم]. وقيل له نفع الله به: مامراد الله من خلقه؟ فقال: ماهم فيه.

وقال سيدنا السيد الإمام عبدالرحمن السقاف فيه: اتفق أهل زمانه أنه بقية العلماء العاملين المجتهدين. وكان الشيخ فضل يثني عليه جدا، ويعظم أحواله، ويجل فتوحاته، وكذا الشيخ الفقيه محمد بن أبي بكر عباد.

ومن كلامه رضي الله عنه: إذا حصل الاعتقاد، زال الانتقاد. ومن علامة المحب، أن يجعل لما يفعل المحبوب تأويلا. وكم من مشهور في بركة مستور.

مناقبه كثيرة، وأحواله شهيرة، ذكره العلماء في تصانيفهم، وعظموه. وفيه، يقول السيد العلامة محمد بن علي خرد من قصيدة له فيه شعرا:

مناقبه جلت وهمته علت مراتبه استعلت على كل منصب
سخي حَييٌّ فيصلُ عين وقته ولي شريف القدر في خير منسب

حوى الفخر من كل الجهات جميعها وصنديد مجد غيث عطشان مجدب

ذكره في كتابه [الغرر]، وترجمته هذه ملتقطة منه، كجماعة ممن ذكر في هذه المنظومة العينية: فإني اعتمدت في نقل مناقبهم على كتاب [الغرر] المذكور.

وذكره أيضا السيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه باعلوي، في كتابه [المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي]. وذكر أنه، أعني السيد الفقيه ابن علوي تربى بالسيد الشيخ عبدالله باعلوي. وأخذ عنه العلوم الشرعية. توفي صاحب الترجمة محمد فقيه بن علوي بن سيدنا المقدم محمد بن علي، يوم الأربعاء، في شهر ذي الحجة، سنة سبع وستين وسبعمائة من الهجرة. وخلف ولدين: حسن والفقيه الإمام أحمد المتوفى بقسم.

وأما أخوه علي المشار إليه بقول سيدنا الناظم نفع الله به آمين: [وأخيه نور الدين أنس المربع]، فهو السيد الشريف، الشيخ الصالح، الإمام الولي المكاشف، شمس الدنيا نور الدين علي بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم محمد بن علي. كان من أصحاب المقامات الزاهرة، والكرامات الخارقة، والأحوال الباهرة، والمناقب الفاخرة، والأخلاق السُّنِّيَّة السَّنِيَّه، والأسرار الربانية. وكان من أكابر العلماء، وأئمة الاهتداء. وكان عظيم الزهد والمعرفة بالله، وافر الحظ من الرياضة والعزلة.

له أولاد ميزوا وكبروا، ولم يعرفوه لكثرة انقطاعه إلى الله تعالى في خلواته وتبتله إليه سبحانه، وحج بيت الله الحرام، وجاور بمكة، وتوفي بها، وأخذ عن جماعة بها من الأكابر في التربية والعلوم من أهل الحجاز، واليمن، ومصر، والشام، والعراق، والغرب، والهند، والسند. وأرسل إليه أخوه السيد الشيخ الفقيه محمد بن علوي كتابا يذكر فيه أولاده،

فذكر في جوابه امتلاءه بمشائخه، وثمرات معاملاته مع الله، وشغله بذلك عن الدنيا وأهلها.

ومن قرأ عليه: الشيخ الكبير أبوالعباس فضل بن عبدالله، صاحب الشحر، قرأ عليه كثيرا من العلوم، واقتبس من أنواره. ومن جملة ماقرأ عليه خطب ابن نباتة مع أنه لايرى نفسه أهلا للأخذ عنه تواضعا.

وكان كثير الذكر والتلاوة، وكان يردد الآية مرارا، وردد يوما قوله تعالى: [فأولئك لهم الدرجات العلى] حتى غشي عليه، واستمر نحو يوم مغشيا عليه. فقرأ عنده السيد محمد بن أحمد تلك الآية، فأفاق. وكان القارىء المذكور حسن الصوت.

وكان صاحب الترجمة، كثير التواجد والعبادة. وقد يرمي بنفسه من أعلى داره، ولايصيبه شيء. فعل ذلك مرة عند سماعه بهذا البيت:

امتلأ القلب من حب الذي يعشقه ... مالغيره فيه متسع

ومكث رضي الله عنه أربعين يوما، ولم يأكل فيها إلا مدا ونصف. وغاب مرة عن أهله سبعة أيام، فوجدوه يصلي في شعب النعير. وكانت ولادته بتريم، وبها نشأ، وأخذ العلوم والتصوف عن جماعة، منهم: الفقيه عبد الله أبو الفقيه فضل، وعمه الفقيه سعد، والشيخ محمد بن أبي بكر عباد. خلف بنتا اسمها: فاطمة بنت الصوفي، وولدين عالمين: محمد، مات بجبال أرض اليمن، وأبوبكر، وهو الذي أشار إليه أبوه قبل تزويجه بأمه، أنه يقرأ على الفقيه محمد بن عيسى الحبيشي بعدن. فلما كبر دخل عدن، فلقي بها الفقيه، فتعرف إليه، فعرفه. وذكر وصية أبيه على المذكور به، وهو الذي أجاب على سؤال السلطان الذي امتحن به الفقيه الحبيشي ودرسته، وأفصح عنه بعد حيرة الفقيه وأصحابه فيه. ومات بعدن، أعني السيد أبابكر بن علي المذكور.

فأما قول سيدنا الناظم :   ١

[ومحمد ذاك المعلم زاهد   ومجاهد فيهم عظيم الموقع]

فمراده به، السيد الشريف علم العلماء الأعلام، شيخ مشائخ الإسلام، قدوة الأنام، الزاهد الورع، العابد الناسك، جامع أشتات الفضائل، جمال الدين محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم محمد بن علي.

كان رضي الله عنه من الفقهاء المجتهدين، والعلماء الكاملين، القائمين الصائمين الذائقين. ولد بتريم، وحفظ القرآن وعمل به، وحفظ كتاب [التنبيه]. وأخذ عن السيد العلامة محمد بن علوي بن أحمد، وصحب السقاف، وقرأ على الشيخ الفقيه محمد بن أبي بكر عباد، وطالت صحبته مع السيد جمل الليل باحسن. قال السيد المذكور: صحبت الفقيه محمد بن عمر أربعين سنة أو أكثر، فما رأيته غضب. وقال السيد الشيخ عبدالرحمن السقاف: لو وقع اجتهاد الفقيه محمد بن عمر في العبادة على جبل، لدكه. فإنه كان يقوم الليل ويقرأ كل ليلة ثلثي القرآن، هذا ورده بالليل من القراءة غير الصلاة، وغير مابين المغرب والعشاء، وبعد الصبح.

وكان يغتسل لكل فرض يصليه. وكان يمكث في المسجد من وقت تهجده، حتى يصلي الضحى. ويذهب بعد ذلك إلى المعلامة، يعلم القرآن في سبيل الله ورضاه. صبيانا وبالغين، فإذا فرغ، ذهب إلى داره، ونام القيلولة. ثم يصلي الظهر، ويعلم القرآن إلى قريب المغرب، ويعتكف في المسجد حتى يصلي العشاء، ويصلي بعدها ماقدر الله من الصلوات المذكورة فضائلها. ثم يخرج إلى بيته، ويفطر أوان الفطار، بما هو سنة، لأن عادته صيام أيام البيض، والإثنين، والخميس، والجمعة، ورجب. وذكروا أن الدعاء مستجاب في معلامته.

ختم على يديه ثمانمائة شخص، قل منهم أن يعيد كتابة القرآن، بل على ختمة واحدة قلم قلم. ويأخذون على خمس آيات خمس آيات، لاغير. وكل من ختم منهم، قرأ عليه ربع [التنبيه]، وبعضهم إلى أن يتفقه عليه.

وتوفي رضي الله عنه بعد أن توضأ وصلى العشاء، ليلة الخميس، لعشر مضت من ربيع الأول، سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة من الهجرة. وخلف بنتا، اسمها مُرَيِّم، وبها يكنى أبو مريم. واشتهر بصاحب المصف، لأنه عمر مسجد المصف ببلد قسم، ولازم الاعتكاف للإفادة.

وله كرامات، وسمع الحاضرون بعد موته صوتا يقرأ: [يبشرهم ربهم برحمة منه، ورضوان، وجنات لهم فيها نعيم مقيم .... إلى أجر عظيم].

وصلى على جنازته صاحبه محمد بن حسن جمل الليل، ودفن بتريم، وقبره بها معروف مشهور بمقبرة زنبل. وتزوج بابنته مريم الفقيه السيد الصالح الناسك، عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن المقدم. وجاءت له بعبدالرحمن، ومبارك، وفاطمة. فعبدالرحمن والد السيد الإمام القطب محمد بن عبدالرحمن الأسقع، الذي قال فيه الشيخ علي بن أبي بكر: تدريس الفقيه محمد يفقه الحمير، ولو لم أخف في طريقي إليه من الكلاب، لتكلفت القراءة عليه.

وهو من تلامذة الشيخ علي المذكور. قرأ عليه [الإحياء] أربع مرات. وهو والد مولى الشبيكة الثاني الآتي ذكره. توفي سنة سبع عشرة.

فأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه:

[والعدني البحر الخضم أخي الندا   وكذا الوجيه المتقي الأخشع]

فالأول من المذكورين في هذا البيت، هو السيد الشريف، العالم

العامل، الزكي الكامل، الجواد المفضال، بحر الكرم والجود، شيخ المشائخ، قدوة الأولياء، وإمام الأصفياء، شيخ الشريعة والطريقة، بحر الحقيقة، أبوبكر بن عبدالله العيدروس. أثنى عليه المشائخ العارفون، وعظموه، وأجلوه، ومدحوه أتم المدح، وبالغوا في تعظيمه وإشهاره قبل وجوده وفي صغره، منهم: والده العيدروس، وعمه الشيخ علي بن أبي بكر، والشيخ سعد بن علي مذحج، والفقيه الإمام محمد بن أحمد بن فضل، والسيد الولي العارف بالله حسين الأهدل، والشيخ الولي عبدالرحمن بن عمر باهرمز، وتلميذه الفقيه الصوفي عمر باغرمه، والشيخ أبوبكر باصهي، والشيخ عبدالصمد بن عبدالحق الجرداني، وغيرهم ممن يكثر عددهم.

ولد رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وثمانمائة. ووفاته سنة أربع عشرة وتسعمائة. وأمه السيدة الولية عائشة بنت الشيخ عمر المحضار. تعلم القرآن على السيد الشريف الشيخ محمد بن علي بن عبدالرحمن علوي باجحدب، وعلى العبد الصالح سالم بالنميري، وختمه على يد الشريف المذكور، ونشأ في حجر أبيه وعمه وتاج العارفين سعد بامذحج.

وكانت قراءته للعلم الشريف على يد الفقيه العلامة الصالح الولي، عبدالله بن عبدالرحمن بن الفقيه أبي بكر بالحاج بافضل. قرأ أكثر [التنبيه] و[المنهاج] وفي كتاب [الطراز]، جميعه مرارا. وعلى الفقيه الصالح محمد بن أحمد بافضل كتبا كثيرة. وله منه إجازات كثيرة ذكرها في كتابه [الجزء اللطيف في التحكيم الشريف]. وأخذ أيضا عن الإمام يحيى بن أبي بكر العامري صاحب [البهجة]، ولبس منه الخرقة. وكتب له إجازة. وكان سنه سن الشيخ الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بافضل. وقرأ الشيخ المذكور على السيد أبي بكر المذكور في [التنبيه] وغيره، من ربع العبادات تبركا. ذكره السيد خرد في [الغرر] عن ولد الفقيه المذكور مشافهة. وقرأ على عمه الإمام علي بن أبي بكر كتاب [الإحياء]،

و[العوارف]، و[النشر]، و[رسالة القشيري]، وقرأ على أبيه الشيخ عبدالله [بداية الهداية].

وكان أبوه يحترمه حتى حال تعلمه، ويأمر باحترامه، وأدخله الخلوة، ثم أمر بإخراجه بعد سبعة أيام. وقال: لاتحتاج إلى رياضة أصلا بحمد الله. وقال فيه قبل ولادته: بشرت بولد من أهل الولاية والعناية والمكارم، وذلك بعد ماكبر الله ثلاثا.

وأخبر الفقيه إبراهيم بن عبدالرحمن، أخو الفقيه عبدالله بالحاج، أنه سمع الشيخ عبدالله العيدروس يقول: إن الله تعالى بشرني بولد اسمه أبوبكر، يحوز جميع مافي هذا المرطبان. وضرب بيده على بطنه، ويحوز سر جده عمر وأبي بكر، وجده عبدالرحمن، وجميع الأولياء، فولد له بعد ذلك الشيخ أبوبكر المذكور، وقبل موت أبيه الشيخ عبدالله العيدروس بنحو شهر. أجلسه مجلس المشيخة مكانه، وألبسه الخرقة الشريفة، وحكمه، وأجازه في اللباس، والتحكيم، والإقراء، والتدريس، وذلك في شهر رجب، سنة خمس وستين وثمانمائة، وعمر صاحب الترجمة أربع عشرة سنة. وكان يقول: أتوني بها مسرجة ملجمة.

وكانت له الرياضات العظيمة، لم ينم عشرين سنة. وكان في صغره، يخرج هو وابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن علي إلى شعب في تريم يتعبدان، فينفرد كل واحد منهما بقراءة عشرة أجزاء من القرآن في الصلاة، ويرجعان قبل الفجر.

وكان يحب العلم، ويكرم أهله. وكان له الزهد الحقيقي، والجود الطبيعي، والعبادة القوية. وكان في الجود والكرم عين الأعيان، وأعجوبة الزمان. كان يذبح لسماطه في رمضان كل يوم ثلاثون كبشا. وكرمه يبهر العقول.

وكان في غاية من التواضع، ويقول: تقبيل يدي كلطمي، وتقبيل

رجلي كقلع عيني، بغضا لعز الدنيا. وإلى ذلك أشار رحمه الله تعالى بقوله شعرا:

ليتنا ماعرفنا حد ولاحد عرفنا   ليتنا لم نكن أو ليتنا ماولدنا

وكان كثير الخشية لله تعالى، غزير الدمعة. وله الجاه الوسيع، والصيت الحسن، الذي طبق الآفاق، وملأ الطباق. وذكر العلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي في كتابه [مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس] عن شيخه العارف بالله محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني، أنه قال: اشهدوا أن الشيخ أبابكر أمير المؤمنين، المالك للحل والعزل، والتولية والعقد، وأنه اليوم خير أهل الأرض ظاهرا وباطنا.

وذكر الشيخ بحرق المذكور، في كتابه المذكور، عن شيخه السيد الإمام الحسين بن الصديق الأهدل اليمني المحدث، أنه قال في الشيخ أبي بكر: لو أشرقت شمسه، لأحرقت الوجود كله. وكان يشير إليه بالقطبية. ونقل الإمام بحرق المذكور عن عمه الشيخ الإمام علي بن أبي بكر، أنه قال فيه: أشهد أنك القطب، وابن القطب، وأنك سوف تسكن عدن، تموت بها، وذلك قبل أن يسكن عدن.

وكان له الكرامات الخارقة، من إحياء الموتى، والإطلاع على الخواطر، وإظهار المعدوم، وإنقاذ الغرقى. وبالجملة فيتعسر تدوين أحواله. ومناقبه وكراماته كثيرة. وقصدنا الاختصار في هذا الشرح. فلينظر من الكتب المذكورة، أحواله فيها، مثل كتاب تلميذه بحرق، وكتاب [العقد] لابن أخيه شيخ، وكتاب [الغرر] للسيد خرد، وغيرها.

ومن كلامه رضي الله عنه: ماخسر صاحب حسن الظن وإن أخطأ، فإنه غير ملوم. حسن الظن الكنز الأكبر، والاسم الأعظم. احذروا سوء الظن، فإنه دليل على الشقاوة، ويخشى على صاحبه سوء الخاتمة. وعليكم بزيارة الأولياء والتعرف بهم، فهم الوسائط إلى الله. ولا تستقلوا الطاعة، وإن كانت يسيرة، فإن فيها رضا الله. ولاتستقلوا

المعصية، وإن صغرت، فإن فيها غضب الله. وماعير أحد أخاه ببلية، إلا ابتلاه الله بها أو بأعظم منها. قال علي كرم الله وجهه: لوعيرت امرأة بالحبل، لخشيت أن أحبل.

وله رحمه الله تعالى تصانيف في الحقائق، وجوابات على سؤالات عالية، أبانت عن سعة علمه ومعرفته. وله كتاب [الجزء اللطيف في التحكيم الشريف]. وله في الأذكار والأدعية النبوية ثلاثة مجاميع: وسيط، وبسيط، ووجيز. وله ديوان شعر أعرب فيه عن علوم عويصة، ومعارف إلهية. وله فقراء ومريدون في سائر الأقاليم، وعلى قبره بعدن قبة عظيمة، مقصودة بالزيارة، والأنذار من الجهات حيا وميتا. وخلف من الأولاد السيد الشيخ الإمام أحمد. كان شيخا فاضلا سخيا، أعتق ثمانين عبدا ذكرا سوى الإناث، وخلف من البنات ثلاثا. ولأحمد بن أبي بكر المذكور ولد اسمه محمد. كان منقوله [الإرشاد]، و[مختصر الحاوي]، و[ملحة الإعراب]. وقرأ بعض [منهاج النووي]. وتوفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة. أمه فاطمة بنت الشيخ حسين وأم أخيه عقيل. ماتا ولم يعقبا.

وأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[وكذا الوجيه المتقي الأخشع]، فمراده به حامل راية القوم الصوفية، السيد الشريف، الزاهد التقي، الورع العابد، أحد العلماء الأعلام، بركة المسلمين والإسلام، الشيخ القدوة الإمام، العارف بالله وبأحكامه، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف باعلوي. تعلم القرآن العزيز على السيد الشريف الصالح محمد بن علي بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله باعلوي، هو وابن عمه الشيخ أبوبكر العدني، وعلى سالم بن أبي النميري. وقرأ لانفراده لنافع وأبي عمرو. وكانت قراءته لحفص. وقرأ في النحو الوردية. ومكث في عدن أربع سنين يطلب العلم الشريف، وشارك في جميع الفنون. وقراءته على الفقيه

العلامة محمد بن أحمد بن عبدالله بافضل، وعلى الفقيه الدوسري. ولقي أخيارا صالحين، وعلماء فاضلين، فاقتبس منهم، وحظي ببركاتهم.

وتربى بوالده، وتخرج به في الطريقة. قرأ [الإحياء] عليه أربعين مرة، وقرأ [منهاج العابدين]، و[الأربعين الأصل]، و[نشر المحاسن] و[الروض]، و[الإرشاد] للإمام اليافعي. وقرأ [عوارف المعارف]، و[رسالة القشيري] و[الأذكار]، و[التبيان] للنووي، و[موجبات الرحمة] للرداد اليمني، و[تفسير الواحدي] و[الشفاء] للقاضي عياض، و[صحيح البخاري] على غير واحد.

وقرأ على عمه العيدروس، وعلى السيد الإمام محمد بن علي، صاحب عيديد، وهو صغير. ومن جملة ماقرأ: [الحاوي في الفقه] للقزويني، وأجازه العامري. وقرأ على الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل [رياض الصالحين] للنووي.

وأما محمد بن أحمد فضل، والعلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة، فقرأ عليهما في سائر العلوم. وقرأ مصنفات والده كلها عليه، وقصائده وأقواله. وسمى أكثر قصائده بإذنه. وحج بيت الله الحرام، وزار قبر جده عليه أفضل الصلاة والسلام. ولبس الخرقة الصوفية من مشايخ أجلة، منهم: والده، وعمه العيدروس، وعمه أحمد بن أبي بكر، ومن الشيخ سعد بن علي، والسيد محمد بن علي عيديد.

وكان له الكشف الخارق، والزهد الكامل، والعقيدة العظيمة في الصالحين الأحياء والأموات، والمحبة القوية للخير وأهله، وطلب الدعاء ممن يوصف بالخير من الناس كافة.

وكان كثير الذكر والتلاوة والأوراد، آناء الليل وأطراف النهار. وكل مارآه في الكتب، عمل به من الفضائل والطاعات. وكان حاله الخمول، ويعظم حال أهل الدين، ويحب المساكين، ويميل إلى

المنكسرين، ويحب التقشف وطريقة الفقر، والورع الدقيق. وبالجملة فهو جامع أشتات المحاسن والفضائل، وغلب عليه التصوف.

وكان يقول: ماأحب الحياة إلا لمطالعة الكتب، ولأزداد من الخير، ولأشرف على العلوم النافعة. وكان مولده سنة خمسين وثمانمائة. ووفاته سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، في شهر المحرم.

وتخرج به كثير من العلماء الأكابر، منهم: السيد الجليل عمر بن محمد باشيبان. قرأ عليه كتبا كثيرة. ومنهم: السيد الجليل العلامة، المحدث الصوفي، محمد بن علي بن علوي خرد، صاحب [الغرر]، قرأ عليه [رياض النووي] ثلاث مرات، و[رسالة القشيري]، و[شرح أسماء الله الحسنى] لليافعي، واستمع [الروض]، و[المائتين] لليافعي أيضا. وقرأ عليه مصنفات أبيه الثلاثة الكبار.

وممن أخذ عنه، وتربى به، ولده السيد الإمام شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن، وقرأ عليه كتبا كثيرة، والفقيه الصالح الإمام العلامة، صاحب القلائد في الفقه، عبدالله بن محمد بن سهل بن عبدالله بن الشيخ محمد بن حكم باقشير. قرأ عليه [الإحياء] إلا قليلا منه، وغيره. وقرأ عليه فضل بن عبدالله [الإحياء] كله، وغيرهم من الأكابر.

وكان، أعني الشيخ عبدالرحمن بن علي، إذا زار والده وأطال الجلوس عنده، يسمعه من داخل القبر، يقول له: قم! أحرقتك الشمس. وكان يسمع الرد عليه، إذا ذهل عن شيء من القراءة، من قبر الفقيه المقدم.

وكان يشاهد الأولياء كشفا من أهل البرزخ، والأحياء الغائبين عن بلده. وجاء مرة يلقن ميتة، فقام عنها بلا تلقين، فقام إليه ابنه السيد الجليل فقيه، والسيد العلامة محمد بن علي خرد، وقال له: كيف تركت تلقينها؟ فقال: لقيت عندها الشيخ عبدالله، يعني عمه العيدروس.

فقال لي: هذه ماتحتاج إلى تلقين. ذكر ذلك الشيخ محمد خرد المذكور في [الغرر].

ثم ذكر في الكتاب المذكور، أنه رأى الحق سبحانه وتعالى، يثني على السيد عبدالرحمن بن علي، ويصفه بأوصاف حسنة. فلما أراد يعلمه بالرؤيا المذكورة، كاشفه بها. وذكر أنه لما حج أول حجة، هو وابن عمه أبوبكر العدني، مرض ابن عمه المذكور، فتعوق بسببه عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعب جدا، فبينما هو يطوف، ظهر عليه رجل على صورة أبيه الشيخ علي، فقال له: اعتراضك على القدرة أعظم من تركك الزيارة، فرجعت إلى عدن، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في البحر، أمسك برأسي، وقال لي: عادك تزورنا زيارة حسنة، ونحن راضون عنك، وقد قبلناك، مع بشاشة عظيمة، وتحنن وكلام لطيف وإعزاز. ونلت بذلك لذة عظيمة، حتى احتلمت، وأنا قليل الاحتلام.

ثم حججت الحجة الثانية، فزرته عليه السلام، وذلك سنة عمر المسجد النبوي بعد احتراقه. وحصل عند القبر، إشارة غيبية عظيمة، ظهرت ثمرتها، وحصل في الطريق، غاية الإكرام والإعزاز والتيسير. . . . . انتهى. هذا مقصود المذكور في الكتاب، وأكثر عمدتنا في نقل كرامات المتأخرين عليه، وعلى كتاب العقد للسيد شيخ بن عبدالله العيدروس، مع مراجعة غيره من الكتب المصنفة.

ومن وصاياه رضي الله عنه: الله الله في العزلة عن الناس، إلا عند الضرورة، ودم على تلاوة القرآن، وقولة: لا إله إلا الله، ولاتترك قيام الليل أصلا، فإن الخير كله جمع فيه، وماعقد عقد ولاية لولي من أولياء الله إلا بالليل، فإن ربنا جل وعلا ينزل في النصف أو الثلث الأخير من الليل. وأسري بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه. وكم ذكره الله تعالى في القرآن، كقوله تعالى: [سبحان الذي أسرى بعبده ليلا]. . . و[إنا أنزلناه في ليلة القدر]. . . و[إنا أنزلناه في ليلة مباركة].

وقال بعض الصالحين: عليك بالسهر، وإن لم يكن بعبادة، فالمراد الاستيقاظ. فإن استطعت، أن لاتكون آخر الليل، إلا مستيقظا، فافعل. والله الله في الصمت والذكر، وأن لاتتكلم بغيره، إلا فيما لابد منه، وادع لي والسلام.

وله ديوان شعر في الطريقة عظيم، ومنها وصايا بديعة مؤثرة، نفعنا الله به وبسلفه، وبسائر الصالحين، وجمعنا وإياه في محل كرامته مع أحبابه في عافية، آمين.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[وسليل علوي بأحمد جحدب والشيخ شيخ ذي المحل الأرفع]

فالأول منهم: السيد الشريف، قدوة الأولياء، وتاج الأصفياء، وشيخ المشائخ، وبحر الحقائق، ومعدن الفضائل، إمام أهل الشريعة، وشمس أهل الطريقة، الشريف أحمد بن علوي بن المعلم محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ عبدالله باعلوي، عرف بجده جحدب.

ولد رضي الله عنه بتريم. وحفظ القرآن، وحفظ [الجزرية]، و[الأربعين الحديث] للنووي، و[عقيدة الغزالي]، وبعض [المنهاج]. وتفقه بجماعة، منهم: القاضي أحمد بن علي بن علوي خرد المسمى، أحمد شريف، وبالفقيه العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل. وأخذ التصوف عن الشيخ عبدالرحمن بن علي المار ذكره قريبا. وأخذ الحديث عن السيد العلامة محمد بن علي بن علوي خرد المحدث، صاحب كتاب [الغرر]، وعني بعلم التصوف. وأكثر قراءته في [الإحياء] و[رسالة القشيري]، وغيرها. وترجمه المشائخ، ومدحه الأولياء، واعترف له الأكابر. وممن ذكره، وأثنى عليه، وعده في مشائخه، السيد العارف بالله، الشيخ الإمام أحمد بن الحسين بن الشيخ عبدالله العيدروس.

ومن كلامه فيه: توسل إلى الله بالسيد الحشيم، ذي الخلق العظيم، والحال الجسيم، شهاب الدين أحمد بن علوي، المخصوص بكل مقام علوي، منبع المصطفى، القائم بحقوق الوفاء في الطريق والتحقيق، والورع والزهد الدقيق، من أكمل العقلاء، طالب الدرجات العلى، نفعنا الله به آمين، وأفاض علينا من مواهبه، والحمد لله على معرفته وصحبته. قليل في وقتنا أمثاله. ولم يرزق أحد حاله، إلى آخر ماأطال به، وهو أهله ومحله.

وممن ذكره: السيد الشريف باهرون، صاحب أحمد أباد، تلميذ السيد الشيخ شيخ بن عبدالله العيدروس، المشار إليه في هذا البيت. ذكره في كتابه المسمى فيما أظن [أنس السالكين]، أطال فيه جدا في كراماته وشيء من أحواله.

وسمعت شيخنا الإمام العارف بالله، عبدالله بن علوي الحداد نفسه، صاحب هذه القصيدة يقول: ممن نال الصديقية الكبرى من ساداتنا آل باعلوي، السيد أحمد باجحدب. . . . . انتهى.

وكف بصره آخر عمره، ولزم الاعتكاف في حمام مسجد آل باعلوي، وحصل له قربَ انتقاله جذبة قوية ربانية، اندهش بها عن حسه، وأُخِذَ عن نفسه، ومكث أربعة أيام لايأكل ولايشرب، ولايضع جنبه على الأرض. ذكر هذه الحكاية السيد العلامة عبدالقادر بن شيخ العيدروس، الآتي ذكره في البيت بعد هذا البيت.

ونقل عن الشيخ الولي عبدالرحمن بن عمر العمودي، أنه قال في السيد أحمد بن علوي المذكور: هو ممن يعد في حكم رجال الرسالة، لشدة ورعه وتقشفه، واستقامة طريقته. ذكر ذلك في كتابه الذي في التاريخ، المسمى بـ[النور السافر عن أخبار أهل القرن العاشر]. وهو من جملة مااعتمدت في شرحي هذا.

وكان انتقال السيد أحمد المترجم له، يوم الثلاثاء، لعشر خلت من شهر رمضان، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، ببلد تريم. ويزار قبره. وله كرامات خارقة، منها: أنه لما ركب البحر في عزمه على الحج، شرب من مائه، فأخذ بعضهم سؤره، فإذا هو حلو. وله في الزهد حكايات لاتوجد في تراجم كبار الأولياء أكبر منها، وبالجملة، فيتعسر أو يتعذر تدوين أحواله ومناقبه وكراماته.

فأما الثاني من المذكورين في هذا البيت، المقول فيه: [والشيخ شيخ ذي المحل الأرفع]، فهو السيد الإمام، الشيخ العارف بالله، شيخ العصر حالا وعلما، وإمام الدهر حقيقة ورسما، شعر:

شيخ إلى سبل الرشاد مسلك ... وطريقه في العلم مالايجهل
شيخ تقدم في السلوك لأنه ... إن عد أرباب الكرامة أول

السيد شيخ بن عبدالله بن شيخ بن الشيخ عبدالله العيدروس، صاحب كتاب [العقد النبوي]، وصاحب أحمد أباد، وهي مدينة مشهورة بالهند. يقال لها أحمد أباد. ومعنى أباد عمر، كأنه قال عمارة أحمد، لأنه اختطها أحمد بن محمد بن مظفر، صاحب كُجْرَاتْ في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة.

وكان ولادة السيد شيخ، صاحب الترجمة بتريم، ونشأ بها. وولادته سنة تسع عشرة وتسعمائة، ووفاته سنة تسعين وتسعمائة، ليلة السبت، لخمس وعشرين خلت من شهر رمضان، بأحمد أباد المذكور. ودفن بها في صحن داره، وعليه قبة عظيمة. أخذ عن والده عبدالله بن شيخ، وعن الشيخ السيد الإمام شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن بن علي، وعن صاحب القلائد الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد باقشير، وعن الفقيه محمد بن عمر باقضام بعد دخوله عدن بها.

ثم دخل الحجاز، فحج حجة الإسلام، سنة ثمان وثلاثين

وتسعمائة مع والده، واجتمعا فيها بالشيخ أبي الحسن البكري وولده، وطلب كل من الأبوين لولده الدعاء من الآخر. وظهرت فيهما آثار الإجابة، ثم زار مع والده المدينة الشريفة، وعاد إلى تريم، ثم حج وحده ثانيا. وكلا الحجتين بالجمعة في حياة والده، سنة إحدى وأربعين. وجاور بمكة ثلاث سنين، ملازما للعلم والعبادة، سالكا سبيل السعادة.

وأخذ عن الشيخ الإمام أحمد بن حجر الهيتمي، والفقيه عبدالله بن أحمد الفاكهي، وأخيه عبدالقادر الفاكهي، والعلامة عبدالرؤف بن يحيى، والعلامة محمد الحطاب المالكي، وقراءته في التفسير، والأصلين، والحديث والفقه، والعربية، والفرائض، والحساب.

وكان يعتمر في رمضان أربع عمر بالليل، وأربعا بالنهار، وهذا من الغريب المتعذر، وليس بالغريب في أحواله الغريبة العجيبة. ومدة مجاورته لم يترك الزيارة لجده عليه السلام، وطلب منه شيخه، الشيخ ابن حجر أن يسلم منه على جده محمد صلى الله عليه وسلم، ويدعو له بدعوات، منها القبول في كتبه، وأن يعافيه الله من البواسير، فاستجاب الله تعالى له. ثم رحل إلى زبيد، فأخذ بها عن الحافظ عبدالرحمن الديبع. ومدة إقامته بالهند اثنتين وثلاثين سنة.

وله من مشايخه إجازات يطول ذكرها. وله الإذن المطلق من أكابر شيوخه في التحكيم والإلباس. وأثنى عليه الأكابر والأولياء. فممن أثنى عليه: عم أبيه، الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس، وأشار إليه بالسر المصون، وقال فيه: إنه ولدي، وصاحب سري. وذلك قبل وجوده في عالم الدنيا، قاله لوالده وعدد سائر أولاده، وخصص صاحب الترجمة بما ذكر. وكذلك الشيخ علي بن أبي بكر عم جده شيخ، قال: أرجو أن يتزوج عبدالله بن شيخ أحد بناتي، أو بنات أولادي، فيحصل منهم ذرية صالحة، فلما كبر تزوج بوالدة المذكور الشريفة فضل الله بنت محمد

باعمر. أمها علوية بنت الشيخ علي بن أبي بكر، فحقق الله الرجاء فيه، وفي إخوانه أبي بكر وحسين، ومحمد بني عبدالله بن شيخ.

وقال الشيخ الإمام الكبير أبوبكر بن سالم، صاحب عينات: ماأعطي أحد من آل باعلوي مثل شيخ بن عبدالله بن شيخ. وقد أفرده بالتصنيف جماعة، منهم: الشيخ أحمد بن علي البسكري المكي، صنف فيه كتاب [نزهة الإخوان والنفوس في مناقب شيخ بن عبدالله العيدروس]. وقفت على هذا الكتاب، وطالعت فيه غير مرة. وممن أفرده بالتأليف، الأديب حميد بن عبدالله السندي، وأطال ذكره ابنه العلامة عبدالقادر في كتابه [الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية]، وقد وقفت عليها وطالعتها، واستمددت في هذا الشرح منها. وذلك في ترجمة الشيخ أبي طالب المكي، ولكن بواسطة نقل سيدنا الناظم، نفع الله به، لعدم حضورها حينئذ. وترجم له أيضا ولده عبدالقادر المذكور في كتابه [النور السافر]، ونقلنا منه هنا. وممن ذكره وأطال فيه: السيد باهرون في كتابه الذي أشرنا إليه في ترجمة السيد أحمد باجحدب الماضي قريبا. وذكر له كرامات كثيرة، وهو من تلاميذه الآخذين عنه، وأخذ عنه غيره خلائق لايحصون، منهم: ولده عبدالله، وولده عبدالقادر الآتي ذكرهما في البيت بعد هذا. وأخذ عنه حفيده محمد بن عبدالله، الإمام الجليل، والسيد الإمام الكبير عبدالله بن علي صاحب الوهط، والشيخ أحمد بن علي البسكري، والشيخ عبدالله بن فلاح، وأبو السعادات الفاكهي محمد بن أحمد، والشيخ حميد بن عبدالله السندي، وغيرهم.

ومن تصانيفه: [العقد النبوي] المشهور المذكور، وشرحان على منظومة [تحفة المريد]، ومولدان، ورسالة في المعراج، ورسالة في العدل. و[نفحات الحكم على لامية العجم] على لسان التصوف، لم يكمل. وله ورد سماه الحزب النفيس، وديوان شعر عظيم. ومناقبه وفضائله طويلة، نفعنا الله به، ورضي عنه.

وأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[وسليله ذاك العفيف وصنوه   الحبر عبدالقادر المتضلع]

فذكر في هذا البيت اثنين: أحدهما العفيف عبدالله بن شيخ المذكور آنفا في البيت قبل هذا. والثاني صنوه عبدالقادر بن شيخ.

فأما الأول، فهو السيد السند، الإمام الأوحد، ذو الكرم الواسع، والجاه الشاسع، والعلم العظيم الواسع، حامل راية المكارم، عفيف الدين عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس. فأبوه شيخ صاحب العقد، وإليه الإشارة بالضمير في قول سيدنا الناظم [وسليله]، وإلى صاحب الترجمة الإشارة بالضمير في هذا البيت بقوله: [وصنوه].

كان السيد عبدالله المذكور من أكابر العارفين، وأماثل الأولياء والصالحين، وخيار الأئمة المهتدين، اتفقت فيه صفات الخير كلها من العلم والعبادة وحفظ الأوقات، ووسع الكرم والسخاء، والجود والعطاء، ونفع الخاصة والعامة، مع كمال الإنصاف والرجوع إلى الحق والاعتراف، والدعاء إلى الله تعالى. قال أخوه السيد عبدالقادر بن شيخ العيدروس في كتابه [النور السافر عن أخبار أهل القرن العاشر]، وفيها، يعني سنة خمس وأربعين بعد التسعمائة، ليلة الأربعاء، ثامن عشر المحرم: كانت ولادة شيخنا، السيد الكبير، والعلم الشهير، العارف بالله، عفيف الدين الشيخ عبدالله العيدروس فسح الله في مدته آمين، بتريم، وتاريخ ذلك العام بجمعه[ذَرْهُمْ]. وكان جعل هذا التاريخ والدهم، نفع الله به، ثم نظمه، فقال شعرا:

ذرهم إشاره لك عن العباره   يفصح بميلادك مع البشاره
الله قل ذرهم بالحذاره   في نظمها التوحيد مع الإشاره

ونشأ على قدم العفاف والتقوى، وقرأ على جماعة من علماء عصره، وشارك في كثير من الفنون مع عقل وجود، وتواضع وحلم، وحسن خلق. وما أحسن قول شيخنا عبدالمعطي بن حسن باكثير المكي، رحمه الله تعالى فيه، شعرا:

هو القطب عبدالله نخبة حيدر   مربي العلا والمجد والأصل هاشم

وذكر أبيات الشيخ باكثير المذكور. ثم قال: وهو، والله كما وصفه شيخنا وفوق ذلك. وأخذ في الثناء علي أخيه المذكور، إلى أن قال: وبالجملة، فهو جواد كريم، عالم بالكتاب والسنة، وعامل بهما. وأخذ يثني عليه. ثم قال: لو حلف الحالف أنه لم يكن أكرم منه، ولاأعقل منه في زمنه، لم يحنث. ويرحم الله الشيخ عبدالمعطي حيث يقول من قصيدة فيه:

ياخليلي يمما أرض نجد   واسلكا كل فدفد وقفار
واقصدا حضرموت نحو تريم   بقعة الخير منبت الأخيار
وانزلا ساحة الممجد   عبدالله معدن الأسرار

قال: وأثنى عليه جماعة من الكبراء. وأشار إليه غير واحد من الصلحاء. وكان والده يحبه ويجله، ويعظمه ويحترمه، حتى سمعته مرارا يقول: ماأحد يعرف قدري مثل ولدي عبدالله. ولم يسافر من بلده تريم إلا مرة واحدة. دخل الهند لزيارة والده سنة ست وستين، ورجع في عامه. وله كرامات، وذكر اثنتين وقعتا له معه. قال: وكان كف بصره الشريف منذ سنوات، ثم رده الله عليه. . . انتهى.

ولم يذكر تاريخ وفاته، لأنه لم يذكر بعد الألف أحدا. وذكره السيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه باعلوي في كتابه [المشرع الروي]، وأطال فيه، فلننقل شيئا مما لم يذكره أخوه، كما نقلنا عنه في ترجمة غيره، ممن سبق، ومن يلحق إن شاء الله تعالى. لأنه لنا في نقل المناقب والاهتداء في

معرفتها كالنجم الثاقب، كما أشرنا إليه فيما سبق. فذكر أن وفاته رضي الله عنه كانت وهو ساجد في صلاة العصر، يوم الخميس خامس عشرة ذي القعدة، سنة تسع عشرة بعد الألف، وصلى عليه إماما ولده شيخ الإسلام زين العابدين، ودفن بمحل اشتراه لدفنه بين مقبرة السادة زنبل، وبين مسجده مسجد النور. وله مسجد آخر في طرف تريم الشمالي يسمى مسجد الأبرار.

صحب أباه، وأخذ عنه العلوم، وهو شاب. وأخذ عن الشيخ السيد شهاب الدين، وعن الشيخ الولي حسين بن عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل أصولا وفروعا. وأخذ عن الشيخ أحمد بن عبدالله بن عبدالقوي بافضل. ثم زار والده كما سبق ذكر ذلك، فأخذ عنه ثانيا كثيرا من العلوم. وأول كتاب قرأه عليه، كتاب [الشفاء]. وحج بيت الله الحرام، فزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام.

وأخذ بالحرمين عن جماعة، وتخرج به جماعة من أكابر العارفين، منهم: أولاده، الإمام محمد، والإمام شيخ، والإمام زين العابدين، وحفيده عبدالرحمن السقاف بن محمد، والسيد أبو بكرشليه، والسيد عبدالله بن محمد بروم، والسيد حسين بن عبدالله الغصن، والسيد أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب، والسيد أحمد بن حسين بلفقيه، والسيد عبدالرحمن بن عقيل، والسيد أبوبكر بن علي خرد، والشيخ زين بن حسين بافضل، وكلهم أكابر.

وأما الثاني من المذكورين: فهو السيد الحبر، الشيخ القدوة، الإمام العارف بالله وأيامه وأحكامه، الشيخ عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن الشيخ عبدالله العيدروس باعلوي. كانت ولادته رضي الله عنه عشية الخميس، لعشرين من ربيع أول، سنة ثمان وسبعين، في القرن العاشر.

وقد رأى والده السيد الإمام شيخ بن عبدالله العيدروس قبل ولادته

بنحو نصف شهر، جماعة من أولياء الله تعالى، منهم: الشيخ القطب الكبير السيد عبدالقادر الجيلاني، والشيخ القطب الكبير أبوبكر العيدروس باعلوي، وغيرهم. وكان الشيخ عبدالقادر يريد حاجة من السيد شيخ، والد صاحب الترجمة، فلهذا سماه عبدالقادر، وكناه بأبي بكر ولقبه محيي الدين. وقال عند ذلك شعرا:

بداالنور من نجد ومن شعب عامر	بطلعة أبي بكر الفتى عبد قادر
بشهر ربيع ليلة الجمعة الغرا	لثالث عشرين نهت بالبشائر
لعام ثمان بعد سبعين سنوة	من الهجرة الغراء ذات الأشائر
وتسع مئين صح ميلاد سيدي	دعي بأبي بكر محمد باقر
من المصطفى المختار مشكاة نوره	إلى العيدروس المجتبى بالسرائر

انتهى.......

وخمّسها: الشيخ أحمد بن محمد باجابر، والشيخ محمد بن عبداللطيف مخدوم زاده. نظم تاريخه أيضا، وصدرها وعجزها أحمد بن علي البسكري المالكي المغربي، وضبط والده عام ولادته بتاريخ هو بخ بمولود قطب زمانه، وقال له مرة: إذا وقع زمانك، فافعل ماشئت.

وكان يحبه جدا، وما عاش له من الأولاد غيره بأرض الهند. وكانت أمه أم ولد هندية بكرا، لم تلد له غير الولد المذكور. وكانت من الصالحات على جانب من سلامة الصدر والتواضع. قرأ القرآن العظيم في حياة والده، وقرأ عدة من المتون على جماعة من العلماء الأكابر، وشارك في فنون العلم، وفرغ نفسه لتحصيل العلوم النافعة لوجه الله تعالى وابتغاء رضاه. وبالغ في تحصيل الكتب واقتنائها. وأخذها من الأقطار البعيدة، حتى اجتمع عنده منها شيء كثير. وحصل كتاب [الإحياء] في أربعين مجلدا رغبة في ضمانة جده العيدروس بالجنة لمن حصله كذلك. وبلغ في العلوم رتبة علية، ووهبه الله من مواهبه السنية. وقال بفضله العلماء، ومدحه الفضلاء. وسارت بمصنفاته الرفاق، وخضعت لعزته الرقاب،

ووقع على محبته الاتفاق، وأخذ عنه الأكابر، وتربى به الأعيان، ولبس منه خرقة التصوف الخاص والعام.

قال أخوه الشيخ عبدالله بن شيخ: مانرى، يعني صاحب الترجمة، إلا في منزلة والده، وأنه من الذين يتصرفون في الكون، وتنفعل لهم الأشياء بإذن الله تعالى.

ومما قال فيه الشيخ الفقيه المحقق عبدالملك بن عبدالسلام دعسين الأموي اليمني الشافعي من قصيدة مدحه بها:

تغذى بالمعارف وهو طفل ... وفي سن الكهولة ماأحقه

حباه الله بالعلم اللدني ... فأضحى فاتقا بالفهم رتقه

وذاك الشيخ عبدالقادر العيـ ... دروس أخوالفهوم المستدقة

فآتاه الإله فنون علم ... بلا تعب لديه ولامشقة

فأدرك في العلوم مقام بسط ... وأعجز من تصوف أوتفقه

وصنف في فنون العلم كتبا ... جليلات أبان بهن حذقه

انتهى . . . . . . بتقديم وتأخير.

فأما تصانيفه فهي كثيرة عظيمة مقبولة، متفق عليها بديعة، لم يسبق إليها، منها: كتاب [الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية]، مجلد ضخم، وكتاب [الحدائق الخضرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة]، ألفه وسنه دون العشرين. وهو أول كتاب ألفه. وكتاب [إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة]، وكتاب [المنتخب] في المولد الشريف، وكتاب [المنهاج إلى معرفة المعراج]، وكتاب [الأنموذج اللطيف في أهل بدر الشريف]، وكتاب [أسباب النجاة والنجاح في أذكار المساء والصباح]، و[الدر الثمين في بيان المهم من علم الدين]، و[الحواشي الرشيقة على العروة الوثيقة]، و[منح الباري بختم صحيح البخاري]، [وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء]، و[عقد اللآل

بفضائل الآل]، وكتاب [اختصار العقد النبوي]، و[بغية المستفيد]، و[النفخة العنبرية في شرح البيتين العدنية]، و[غاية القرب بشرح نهاية الطلب]، وشرح على قصيدة للشيخ أبي بكر العدني العيدروس، و[اتحاف إخوان الصفاء لذكر الخلفاء]، و[الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي]، و[صدق الوفاء بحق الإخاء]، و[النور السافر]، وتقريظ على شرح دعسين لذخر المعاد، وآخر على رسالة الشيخ أحمد البسكري التي في تنزيه الإمام مالك، وديوان شعر، وإجازة للفقيه أحمد بن محمد باجابر.

ومن مؤلفاته، كتاب: [قرة العين في مناقب الولي عمر بن محمد باحسين]، ولم يذكره في كتاب [النور السافر] الذي نقلنا ترجمته هذه منه، لأنه رضي الله عنه ترجم نفسه في هذا الكتاب، أعني [النور السافر]. قال: إنما هو من باب التحدث بنعمة الله ولم أر في نعم الله التي أنعم بها علي بعد الإسلام والنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة أجل منه، فأفاد أن جميع ماذكره من المناقب دون هاتين النعمتين اللتين هما الإسلام، والنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن مصنفاته [الزهر الباسم من روض السيد حاتم] نحو مجلدين، وهو شرح رسالته إليه من السيد حاتم الأهدل المذكور، وعده في هذا الكتاب من أجَلِّ أو أجَلُّ مشائخه بعد والده، قال فيه: وهو الذي أسرع بأسرارنا حتى لقحت، وفتق ألسنتنا حتى نطقت. وأطال ذكره في [النور السافر] في ترجمة الشيخ محمد السودي.

قال: وشيخنا الثالث عبدالله بن شيخ العيدروس، صنوي ووالدي، حكمني وألبسني الخرقة، ونصبني شيخا، وأطال فيه. وقال: شيخنا الرابع درويش حسين المكشهري، وشيخنا الخامس: موسى بن جعفر المكشهري، وترجمهما، وذكر أنه أجاز الثاني وأجازه. وقال: وشيخنا السادس: الولي الكبير محمد بن الشيخ عمر باحسين،

انتهى . . . . . من الزهر المذكور بواسطة كتاب [المشرع الروي] للسيد محمد شليه .

وقد وقفت سابقا على كتاب الزهر المذكور، وسمعت من الفتوحات القدوسية على شيخنا الناظم، عبدالله بن علوي الحداد مرات كثيرة، وطالعتها منفردا. وكان شيخنا المذكور يقول: أكثر آل باعلوي تآليف عبدالقادر بن شيخ العيدروس، وسمعته كثيرا يثني على السيد عبدالقادر المذكور بجودة التصانيف ووسع العلم.

فأما قول الناظم:

[والشيخ أبي بكر سلالة سالم ذي الفخر والجاه الفسيح الأوسع]

فهو السيد الإمام، شيخ مشائخ الإسلام، بحر الكرم والجود، بركة الوقت والوجود، ملجأ المنقطعين والوفود، صاحب الأحوال السنية، والمقامات العلية، المتفق على ولايته وإمامته وعلو مرتبته، فخر الإسلام، أبوبكر بن سالم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف.

ولد رحمه الله تعالى ونفع به بتريم، يوم السبت، ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة تسع عشرة وتسعمائة، ونشأ بها على طريقة الخير والصلاح، واشتغل بطلب العلم على مشائخ عصره، وتفنن في سائر العلوم وحقق فيها. وصحب المشائخ الأكابر، ولبس منهم خرقة الصوفية، وتخرج في طريق القوم الصوفية.

فممن أخذ عنه من الأكابر: السيد عمر بن محمد بن أحمد بن أبي بكر باشيبان، صاحب كتاب [الترياق]، وقد ذكرته في هذا الشرح استطرادا عند ذكر عقب سيدنا الفقيه المقدم. ومن مشائخ الشيخ أبي بكر بن سالم المذكور أيضا: السيد الإمام أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ الفقيه المحقق عبدالله بن محمد سهل باقشير، والفقيه الصوفي الذائق،

عمر بن عبدالله بامخرمه. قرأ عليه رسالة القشيري. وكان الفقيه عمر بامخرمه لايقرىء إلا من تفرس فيه النجاح والاستعداد.

ومن مشائخه: الشيخ الكبير العارف بالله أبو محمد معروف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد المؤذن بن عبدالله بن محمد جمال الشبامي، ثم الدوعني. ولزم العزلة والخلوة، وسلك طريق المجاهدة والرياضة والعبادة، والتهجد والصيام، والصدق والتواضع، حتى فتح الله عليه طرق الهدى. وظهرت له الحقائق، وصرف في الأكوان، ونال مالم ينله غيره، وانتفع به الخلائق خصوصا وعموما، وقصد لذلك من أقاصي البلدان.

وأخذ عنه جماعات لايحصون، منهم: أولاده، ومنهم، السيد الإمام أحمد بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي، صاحب الشعب، والسيد الإمام عبدالرحمن بن محمد الجفري، صاحب تريس، والسيد الإمام محمد بن علوي، صاحب المقيروبات، والسيد الإمام عبدالرحمن البيض، صاحب الشحر، والسيد الإمام السيد يوسف الفاسي المغربي، صاحب مريمه، والفقيه العلامة محمد بن سراج الدين باجمال، صاحب الغرفة.

وصنف نفع الله به كتبا في الطريقة والحقيقة، منها: كتاب [معراج الأرواح إلى المنهج الوضاح]، وكتاب [فتح باب المواهب]، و[بغية مطلب الطالب]، وهو مجلد كبير، وكتاب [معارج التوحيد]، وكتاب [مفتاح السرائر وكنز الذخائر].

وله كلام حسن في التصوف والحكم. وله شعر فائق في الحكم والحقائق، وغيرها. وله تائية عظيمة.

وقال رضي الله عنه: طلبت الله أن يريني حال السقاف، فتجلى لي نور ملأ الدنيا والسقاف مبرقع فيه.

وكانت أمواله مبذولة للفقراء والمحتاجين والضيفان. وكان عظيم الحلم، حسن الخلق، كامل التواضع، محبا للخمول. وكان يجتمع بالخضر وإلياس عليهما السلام. وكان يكاشف بالمغيبات والخواطر، وتظهر منه الخوارق. وله في ذلك وقائع حذفناها اختصارا. وكان يقول: الدنياكقصعة بين يدي.

وترجمه جماعة من العلماء، وأثنى عليه أكابر من الفضلاء، نثرا ونظما، منهم: الشيخ عبدالقادر بن أحمد الفاكهي، والعلامة علي بن جارالله بن ظهيرة الحنفي، والسيد الجليل عبدالرحمن البيض، صاحب الشحر باعلوي. ومدحه بعض فضلاء الغرب بقصيدة، مطلعها:

من جنة الخلد أم من سفح عينات   لاحت لعيني أنوار العنايات
لله من نفحات لم تزل أبدا   يجلو صداها الشذا من وجه مرآة

وممن مدحه: الفاضل عمر بن إبراهيم الحباني، ومحمد بن علي جعفر الكثيري. وانتقل رحمه الله ليلة الأحد، لثلاث بقين من شهر ذي الحجة، سنة أثنتين وتسعين وتسعمائة. وقبره بنخر عينات، وبني عليه قبة عالية. وعينات على نصف مرحلة من تريم أسفلها. أول من اختطها آل كثير، سنة تسع وعشرين وستمائة.

وكان السيد الولي المكاشف، العارف بالله، صاحب الكرامات الخارقة، أحمد بن علوي المجذوب، ساكن مريمه، يأتي حافة عينات التي عمرها الشيخ أبوبكر قبل عمارتها. ويقول: يولد لنا مولود كبير القدر، يسكنها ويعين مساجد الشيخ، ومحل صلاته.

وقد أشار إليه السيد شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن، حين شكا إليه والد الشيخ، قبل مواظبته على تعلم القرآن، بأنه سيكون له شأن عظيم. وقال بعض الصالحين: جئت إلى السيد الإمام شهاب الدين، ألتمس منه إثبات الصحبة والإرادة، فقال: عليك بالسيد أبي بكر، فإنه

من أكابر الرجال، ولا في آل باعلوي مثله، وهو بالسلك يؤثر الخمول. فكاشفه بذلك الشيخ أبوبكر، وحكمه.

ولما بلغ سيدنا الإمام الموهوب المحبوب عبدالله بن محمد بلفقيه باعلوي، صاحب الشبيكة، موت الشيخ معروف باجمال، نفع الله بهم، قال: والله، ماغابت شمس الشيخ معروف، إلا وطلعت شمس الشيخ أبي بكر.

وكان شيخه الشيخ معروف المذكور، يثني عليه جدا، ويفضله على سائر المشائخ، ويشير إلى أنه القائم بولاية القطبية، ويصرح بذلك، فيقول: هو قطب الزمان. صاحب الدائرة يظهر الله على يديه هذه الدعوة. من أمده الله في الحياة، رأى لهذا العبد شأنا عظيما، وعاد شمسه تشرق على أهل لا إله إلا الله، ماأحد أقيم فيما أقيم فيه، وهو صاحب الوقت والخليفة. وكان عمدة مشائخه، وعليه جل انتفاعه. وكان هو كثير الذكر للشيخ معروف. وقد يقول: والله! إنه هذه الساعة جالس معي، ولاغاب عني لحظة.

وتوفي الشيخ معروف المذكور يوم السبت، خامس عشر، صفر الخير، سنة تسع وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية بدوعن.

وكانت مجاهداته كثيرة، أعني الشيخ معروفا، لم ينم خمس عشرة سنة، ولم يأكل، ولم يشرب مثلها. وقد يحصل له بعض الليالي أنه يذكر الله أربعين ألف مرة، مابين تسبيح وتهليل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وكانت ولادته بشبام، ليلة الجمعة، حادي عشر، شهر رمضان، هذه سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة. وحال الكتابة في هذا الشرح في شهر رجب الأصم المحرم المعظم، سنة إحدى وعشرين ومائة وألف من الهجرة. يسر الله على نظر الفقير أحمد بن زين الحبشي علوي، شارح هذا القصيدة العينية، عمارة مسجد الشيخ معروف بن عبدالله مؤذن

جمال المذكور، الكائن قبلي بلد شبام. وكان مدفونا فوقه مثله طين، فوجدناه صحيحا تحت الطين، حتى جوابيه إلا الجدران بنيناها ورفعناها، فالله يجعل ذلك لوجهه، وسببا مقربا منه، ومدخلا في أوليائه وأهله في خير وعافية.

وكان الشيخ معروف المذكور كبير الشأن. من مشائخه الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن عمر بن محمد هرمز. وإبراهيم المذكور تلميذ الشيخ عبدالرحمن بن عمر هرمز، وهو عمه، وهو الملقب الأخضر. وقد أخذ عنه معروف أيضا، وأخذ الأخضر عن عمه الجليل الإمام إبراهيم بن محمد هرمز، ولنعد إلى مانحن بصدده من شرح قصيدة شيخنا وبركتنا، شيخ الإسلام عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، نفع الله به، وسائر الصالحين، فقوله رضي الله عنه:

[وابن الحسين العيدروس ونجله   وكصاحب الوهط الملاذ المفزع]

[الملاذ] مايلاذ به، و[المفزع] بفتح الزاي: مايفزع إليه، و[النجل]: الولد. ذكر في هذا البيت ثلاثة من أهل البيت النبوي. الأول: السيد أحمد بن الحسين العيدروس، ونجله، ابنه عبدالله بن أحمد، صاحب الطاقة. والثالث: السيد عبدالله بن علي، صاحب الوهط.

فأما الأول، فهو السيد الإمام القطب، العارف بالله، الجامع بين الشريعة والحقيقة، قطب مدار الطريقة، غوث البرية والخليقة، شهاب الدين. وبركة المسلمين، أحمد بن الإمام الشيخ السيد الحسين بن الشيخ عبدالله العيدروس. كان من سادات مشائخ الطريقة، المكاشفين بأنوار الحقيقة. جمع الله له بين محاسن الأخلاق، وبسط المعرفة، وصحة النية، وصدق المعاملة.

ولد بمدينة تريم. وحفظ القرآن العظيم، وطلب العلم الشريف، فقها وحديثا وتصوفا. وأقبل على الجد والاجتهاد. وصحب أباه الحسين،

وعمه شيخا ابني عبدالله العيدروس. وأخذ أيضا عن السيد الإمام عمر باشيبان، والعارف بالله معروف بن عبدالله باجمال، والفقيه الصوفي عمر بامخرمه، والعلامة محمد بن عمر بحرق. وكانت بينه وبين السيد الصوفي، إمام العارفين، أحمد بن علوي باجحدب صحبة أكيدة، وانتفع به الخلق، وعمت بركته الوجود. وصنف كتبا في الرقائق والشمائل، منها كتاب [إرشاد المريدين] مفيد في بابه، انتفع به جماعة من أصحابه. وكتاب في أخبار والده الحسين، وتراجم مشايخه الذين أخذ عنهم.

وكانت له اليد الطولى في تربية المريدين، وإرشاد الغاوين. وكان مكرما للعلماء، محبا للفقراء، محسنا إليهم، باذلا ماله وجاهه، مستغرقا في ذكر الله، مقبول الشفاعة عند الملوك. وكانت له كرامات خارقة، رآه الشيخ الولي الصالح أحمد بن عبدالقوي بافضل، يطوف بالبيت العتيق، ويسعى بين الصفا والمروة، وهو بتريم. وعاينه واقفا بعرفات عيانا. وله رضي الله عنه مكاشفات ترجمه العلماء، وأثنى عليه الأكابر، منهم: السيد الإمام عبدالقادر في [النور السافر]، والسيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه باعلوي في [المشرع الروي]، والفقيه العلامة محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين جمال.

وكان الشيخ معروف بن عبدالله مؤذن باجمال، يعظمه ويثني عليه. ويقول: الشيخ أحمد، ذات وصفات. وجلس مرة يذكر الله في مسجد الشيخ عمر المحضار، ويعد سبحته، فكلما ذكر الله، انكسرت حبة، وطاشت بقوة. وأخبر بوفاة الشيخ أبي الحسن البكري بمصر، وهو بتريم.

توفي رحمه الله ونفع به بتريم، ودفن بها في قبة جده عبدالله العيدروس، لسبع خلون من جمادى الأولى، سنة ثمان وستين وتسعمائة. وقال فيه السيد الشيخ شيخ بن عبدالله العيدروس، صاحب [العقد] من مرثية عظيمة، شعرا:

ماكنت خلت بأن تريم تضعضعت   أرجاؤها أو أنها تنهار
حتى نعى ناع شهابا أحمدا   ابن الحسين بن العفيف مزار
العيدروس السر سر الله من   أسراره تسري به الأدوار
رفع الولي ابن الولي ابن الولي   من جده خير الورى المختار

إلى أن قال:

قد كنت نورا في تريم ظاهرا   تقضى به الحاجات والأوطار
هيهات ما إن للمنية دافع   أبدا ولا لحياتنا استقرار

ثم قال:

لازال منكم في الولاية سيد   ماغردت في أيكها الأطيار

وأما الثاني من المذكورين الثلاثة في البيت المشار إليه، يقول سيدنا الناظم: [وبنجله]، فهو السيد الإمام، الشيخ الكبير، العلم الشهير، العارف بالله، الولي الأكبر، صاحب الكرامات الظاهرة المتكاثرة، والأحوال الباهرة، والكشف الجلي، والمنصب الشامخ العلي، عبدالله بن أحمد بن الحسين بن الشيخ عبدالله العيدروس باعلوي، نفع الله بهم. صحب جماعة من الأكابر. منهم: والده أحمد بن حسين الماضي ذكره، وانتفع به. وصحب السيد أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ الفقيه السيد علي بن أحمد السياح بن عبدالله الصافي بافرج باعلوي، وغيرهم. وسافر إلى مكة المشرفة، هو وأخوه الإمام محمد، فحجا حجة الإسلام. وسبب سفرهما محنة لحقتهما، وطلب منهما أهل اليمن الإقامة للتبرك بهما، فلم يجيبا.

وكان السيد عبدالله بن أحمد المذكور تطرقه أحوال عظيمة، تخرجه عن شعوره. فكان يصيح بأعلى صوته، ويأمر بالسماع، وبضرب الدفوف، ويدور بأهل السماع في شوارع تريم، كجده الشيخ القطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس.

وأما كراماته، واستجابة دعواته، وصحة فراسته، فيتعذر حصرها. وقد تداولها الناس خاصهم وعامهم. وله مكاشفات ظاهرة شهيرة، وأحوال باهرة كثيرة، مايأتيه طالب حاجة، إلا رجع بقضائها، ولاضلت لأحد ضالة وأتاه، إلا وافاها، ولااستغاث به مستغيث، إلا أغاثه الله ونجاه، ولو بأبعد مكان وأقصاه. وقد أطلعه الله على الضمائر. وانكشفت له السرائر. وتاب على يديه خلق كثير من أهل الكبائر، وفي جميع ذلك من الوقائع والأخبار والحكايات، مايعسر استيفاؤه، ويتعذر إملاؤه. وما من أحد من أهل عصره غالبا في جهته، إلا ويحفظ شيئا من كراماته. وبالجملة، فكراماته وخوارقه غريبة، وأحواله عجيبة، وبركته عامة، وأسراره طامة، وله القدم الراسخ في منازلات الأولياء، والهمة الجزيلة من أحوال الأصفياء، والقبول التام عند الخاص والعام.

ترجمه تلميذه السيد الإمام شيخ بن عبدالله، صاحب كتاب [السلسلة] فيها، وذكره السيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه باعلوي في تاريخه المسمى بـ[عقد الجواهر والدرر في أخبار أهل القرن الحادي عشر]، وغيرهم.

ومن أولاده: علوي، وعلي، وأبوبكر.

فأما علوي صاحب ثبي، فهو إمام كبير، وشيخ اشتغل بطلب العلوم. وأخذها عن السيد العارف بالله تعالى، علوي بن محمد بافرج باعلوي، والسيد العارف بالله، عبدالله بن سالم مولى خيله، والسيد العارف بالله أحمد بن محمد بن علوي الحبشي صاحب الشعب، والشيخ العارف بالله زين بن حسين بافضل، ولبس منهم الخرقة الصوفية. وصحب والده الإمام عبدالله، وعادت عليه بركاته، وتخرج به، وأخذ عنه جماعة كثيرون، منهم: السيد الجليل العلامة محمد بن أبي بكر شليه باعلوي، والعلامة أحمد بن عمر بن فلاح وولده عمر، وسالم بن زين بن حسين بافضل، وأخوه حسين، والفقيه المنور محمد بن أحمد باجبير، قرأ

عليه [إحياء علوم الدين]، ثم قرأه على شيخنا الناظم بكماله، وحصل له بخطه وقراءته، على شيخنا في النسخة المذكورة بكماله بحمد الله تعالى.

وممن أخذ عن السيد علوي بن عبدالله المذكور، والدي زين بن علوي بن أحمد الحبشي، وانتفع به كثيرا. وهو من أجل مشائخه. وكثيرا ماكنت أسمعه يقول: قال سيدنا علوي حكايات كثيرة. وممن أخذ عنه: الشيخ أحمد الكثيري، والشيخ عمر الزبيدي، والشيخ علي باوزير، وعبدالله منيف الجابري.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[وكصاحب الوهط الملاذ المفزع]، فمراده به السيد الإمام، السيد السند، واسطة عقد المجد، تاج الشرف، مبدي علوم الحقيقة بعد خبوها، ومظهر المعارف بعد استتارها، جامع أشتات الفضائل، وحائز أعلى المراتب والوسائل، الشيخ الكبير، عبدالله بن علي بن حسن بن الشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ عبدالرحمن السقاف.

ولد رضي الله عنه بتريم. وحفظ القرآن العظيم. وأخذ العلم والطريقة، عن مشائخ أجلة، منهم: السيد الإمام شهاب الدين، والسيد الجليل عبدالله بن سالم خيله، والشيخ الكبير زين الدين بن حسين بافضل، ثم رحل إلى بندر الشحر. وتفقه بها على الفقيه المحقق العلامة علي بن علي بايزيد. ودخل إقليم السواحل واجتمع بعلمائها، وأخذ عنهم. ورحل إلى الديار الهندية. وقصد السيد الإمام شيخ بن عبدالله العيدروس صاحب أحمد أباد، فأخذ عنه، ولازمه جدا. وقرأ عليه بعض مؤلفاته، وألبسه الخرقة، ثم أمره بالرحلة إلى السيد الإمام الكبير عمر بن عبدالله باعلوي بن الشيخ عبدالله العيدروس صاحب عدن.

وكان كبير الشأن، لاتحصى مقروآته، ومشائخه وفضائله. ترجمه

العلامة المحقق سالم باصهي الشبامي، وأفرده بمصنف جليل. أخذ صاحب الترجمة عنه، ولازمه وقرأ عليه عدة فنون، وألبسه الخرقة الصوفية، وحكمه التحكيم الشريف.

وكانت له، أعني السيد عبدالله بن علي، مجاهدات عظيمة ورياضات، وظهرت له مبشرات، حتى صار علما من أعلام الهدى. وتوطن قرية الوهط اليمنية، وانتفع به الخاص والعام. وانتهت إليه تربية المريدين، وتخرج به جماعة من الأولياء والصالحين، منهم: شيخ شيخنا الناظم السيد الجليل، إمام الحرمين، محمد بن علوي السقاف. ومنهم: السيد الشيخ الإمام شيخ بن عبدالله العيدروس، صاحب دولة أحمد أباد، وصاحب السلسلة أخوه زين العابدين. وممن أخذ عنه: صاحب الترجمة الشيخ السيد عبدالرحمن بن عقيل صاحب المخا، والسيد الإمام أبوالغيث بن أحمد صاحب لحج، والسيد عبدالله المساوى صاحب إب، والسيد عقيل بن عمران صاحب ظفار.

وكان بينه وبين السيد الإمام الجد أحمد بن محمد الحبشي صاحب الشعب، اتحاد غريب، وإخاء عجيب. وكان له ديوان شعر، فتق بأنواره جِيْدَ حَنَادِس الظُّلَم. وأعجز به بلغاء الكلم. وكانت له الكرامات الخارقة مع كراهته لها. ظهر له إبليس في صورة عبد أسود، كبادية اليمن، وقال له: ماعبد أحد مثل عبادتك. فكشف له عن حاله، وطرده.

ومن كلامه: صاح شاؤش الأولياء بأخذ العهد عليهم، أن يستروا ماعندهم بعد الأربعين والألف. فعليكم بالاستقامة، فإنها أعظم كرامة.

وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وألف. وقبره ببلد الوهط مشهور مقصود بالزيارة، معروف بقضاء الحاجات، ونيل الطلبات. وعليه قبة عظيمة عملها محمد باشا.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[والشيخ عبدالله صاحب مكة مولى الشبيكة سل به وتضرع]

فمراده به، مولى الشبيكة الثاني، وهو السيد الإمام، منبع العلوم الربانية، وخزانة الأسرار الإلهية، ومجمع الكمالات الرحمانية، شيخ الطريقة، وترجمان الحقيقة، واحد العصر، ونادرة الدهر، السيد العفيف عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن سيدنا الفقيه المقدم. وأما مولى الشبيكة القديم، فهو عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن سيدنا الفقيه المقدم.

ولد بتريم، وتفقه بها. وتولى القضاء بها قليلا. ثم جاور مكة أربعين سنة، وانتقاله بها سنة ست وثمانمائة في القرن التاسع، آخر ربيع ثان. وقبره بمكة. وكان من أكابر صوفية آل باعلوي، وأكابر فقهائهم.

وأما صاحب الترجمة، فتاريخ ولادته بعيدة من وفاة مولى الشبيكة القديم، لأنه، أعني الثاني، ولد أوائل القرن العاشر، ومات سنة أربع وسبعين منه، أعني القرن العاشر، بمكة أيضا، ولكن إقامته بها أربع عشرة سنة، وموته يوم الجمعة، تاسع جمادى الأولى. وفي سنته مات الشيخ الإمام العلامة أحمد بن حجر الثاني الهيتمي، صاحب [التحفة]، شارح مختصر الشيخ الإمام عبدالله بافضل يجمع تاريخ وفاة السيد عبدالله والشيخ ابن حجر - سنة شيخ مكة - غير واحد، بالجمل الكبير، لأن عدد الشين ثلاثمائة، والخاء ستمائة، والياء قبله عشرة، والميم أربعين، والكاف عشرين، والهاء خمسة، فيصح خمسة وسبعين وتسعمائة، يسقط واحد.

وحفظ سيدنا صاحب الترجمة، القرآن العظيم على والده. وقرأ عليه بالتجويد. وحفظ [الجزرية]، و[عقيدة حجة الإسلام]، و[أربعين النووي]. وحفظ من منهاجه إلى باب الربا، و[الإرشاد] للمقري،

وبعض شروحه. ولازم والده، واعتنى به والده. وقرأ عليه [صحيح البخاري] ثلاث مرات، وأخذ عنه علم الحديث والأصلين. وقرأ عليه في التصوف كتبا كثيرة، منها: [الإحياء].

ووالده المذكور، هو الإمام الكبير، محمد الأسقع، شيخه مولى الشبيكة القديم. قرأ عليه في حال مجاورتهما بمكة المشرفة، وعلى القاضي إبراهيم بن ظهيرة القرشي المكي، وعلى الحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوي المصري، وغيرهما من علماء تلك الجهة. وأجازه مشائخه في جميع العلوم. وقرأ على خاله الإمام محمد بن أحمد فضل العدني [التنبيه]، و[المنهاج]، و[الحاوي] للقزويني، وكان يحفظه، [وتلخيص المفتاح]، و[الألفية]، و[البخاري]، و[مسلم]، و[البيضاوي]، وغيرها. وقرأ على الإمام عبدالله بن أحمد بامخرمه جميع هذه الكتب مع سنن أبي داود والترمذي، وصحاح الجوهري، وألفية البرماوي.

وقال فيه سيدنا الإمام علي بن أبي بكر علوي: تدريس الفقيه محمد يفقه الحمير، ولو لم أخف من الكلاب في طريقي إليه لتكلفت القراءة عليه.

وقد ألبسه الشيخ علي بن أبي بكر المذكور، وحكمه، وأذن له في الإلباس، وأجازه في سائر العلوم. ولازم الشيخ عليا جدا، حتى أنه قرأ [الإحياء] عليه أربع مرات، و[منهاج العابدين]، و[البداية]، و[عوارف السهروردي]، و[رسالة القشيري].

ولنعد إلى ذكر صاحب الترجمة عبدالله بن محمد المذكور، فنقول: أخذ أيضا عن العلامة صاحب [القلائد]، وأجازه إجازة عامة، وألبسه. وأشار عليه شيخه الإمام عبدالرحمن بن علي بالسفر للطلب، فسار على قدم التجريد، فأخذ بالشحر عن الإمام أحمد الشهيد بافضل، وبعدن على السيد الكبير الإمام أحمد بن أبي بكر العيدروس، وعن الفقيه العلامة عبدالله بن محمد بن أحمد بافضل، وسافر معه للحج والزيارة، ورأى

النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره بالمجاورة بالحرمين، ولازم الشيخ الكبير محمد بن عراق، واشتغل عليه في سائر العلوم. وحكمه وألبسه الخرقة، وأخذ أيضا عن شيخ الإسلام أبي الحسن البكري. وكانت مدة إقامته هناك يجمع الحطب ويتقوت منه، وأخذ أيضا عن الشيخ علي المتقي الهندي، وأجازه في مروياته وكتبه، وأثبتها بخطه. وأخذ عن الإمام عبدالله باكثير، والإمام النشيلي، والشيخ محمد بن عبدالرحمن العمودي، وانتفع به وأوصى له بثيابه، وأوصاه أن يقرأ عليه بعد موته ثلاث ختمات، فقرأها.

ولما حج السيد الجليل أحمد بن عبدالرحمن باعلوي الملقب البيض، لازمه في الخروج إلى تريم، فاستشار شيخه محمد بن عراق، فأشار بالسفر أولا إلى زبيد، والتزوج بها، ثم إلى حضرموت، وأخذ بزبيد عن جماعة من علمائها، وأخذ بها عن جماعة منهم. ثم دخل تريم بعلم كثير، ولازم بها السيد الإمام القاضي أحمد شريف، وأخاه المحدث الصوفي محمد بن علي صاحب كتاب [الغرر]، وأجازه. ورأيت إجازة صاحب [الغرر] له بخطه إجازة عامة، بجميع مروياته. وأثنى عليه ثناء عظيما، ثم رحل إلى الشيخ العارف بالله معروف باجمال، ولازمه مدة، وانتفع به، وألبسه الخرقة، وحكمه.

ومشائخه، ومروياته ومقروآته كثيرة. كان يقول: اجتمعت بمشائخ كثيرين لم أعرفهم إلا بالنسبة الباطنة، وأخذنا عنهم الإجازة والخرقة والذكر. ورأيت بخطه نفع الله به. سند مروياته للكتب الشهيرة، منها: [الصحيحان]، وسند [منهاج الطالبين]، وغيرها. وذكر روايات كثيرة لم أذكرها خشية التطويل، هكذا نقله السيد المحقق محمد بن أبي بكر شليه باعلوي.

ثم نقل، أنه ولد له أولاد بتريم المباركة. ورحل بهم إلى مكة المشرفة، وحج بهم، وأقام بها، واستوطنها. فكان كهفا منيعا، وحصنا

حصينا، وحصل له جاه عظيم، وصيت جسيم. وانتفع به الواردون، واغتبط به القاطنون. وكان مقبول الشفاعة عند الخاص والعام، باذلا جاهه، حسن الأخلاق، ملازما للسنة النبوية، والأذكار المحمدية، جامعا بين الطريقتين، إماما في علوم الكشف، جوادا كبيرا، تأتيه الأنذار والهدايا من جيمع الأماكن، ويخرجها لله تعالى.

وكان يتكلم على الخواطر، ويخبر بما سيقع، ويخبر عن الوقائع في البلدان البعيدة، فتجيء كلها كما أخبر. وبشر السيد عبدالرحيم الأحسائي بولد صالح، فولدت له زوجته بعمر المشهور بالبصري، وهناه به قبل أن يرسل إليه بالعلم، ودعا الله تعالى أن يرى والدته بعد موتها، فرآها يقظة عيانا. وأخبر، أعني السيد المترجم له، بوفاة ابنه علي أنها بعد الشروع في بناء القبة على قبره، وذلك قبل وفاته ووفاة ابنه.

وقال فيه الشيخ عبدالله العيدروس، فيما رواه السيد الجليل أحمد بن عمر باعلوي بارقبه: وأما عبدالله بن محمد، فله نوبة تُضرب في السماء، ونوبة في الأرض. وشرب من كأس الحميا، وذلك أنه أشكل عليه حاله، وحال السيد أحمد بن علوي جحدب باعلوي، وحال السيد الإمام أحمد بن حسين بن الشيخ عبدالله العيدروس، فأتى قبر الشيخ عبدالله العيدروس، وتوسل به إلى الله أن يبين حال كل من الثلاثة المذكورين، فغلبته عيناه، فرأى العيدروس يقول له. أما أحمد بن علوي، فأفرده الله تعالى. وأما أحمد بن حسين فبحر الحقيقة. وأما عبدالله بن محمد فذكر ماسبق ذكره.

وعبارة [النور السافر] أنه آلى على نفسه أن لايذهب، يعني بارقبه من عنده، حتى يعلمه بأحوال الثلاثة، وبمن يقتدي به منهم، فنام. وكلمه الشيخ عبدالله العيدروس، وقال: جئت تسأل عن أحوال الثلاثة. أما الشيخ أحمد إلى آخرها.

وله رضي الله عنه، كرامات خارقة مشهورة، ولما حضر عنده الشيخ

أحمد بن حجر، وأمر السيد المذكور بالسماع، صفق الشيخ ابن حجر والحاضرون، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت جميع الموجودات صفقت، فصفقت معها.

وقد صنف الشيخ ابن حجر كتابا سماه [كف الرعاع عن محرمات السماع]، فأخذ بعض العلماء من تعبيره بالرعاع، أن العارفين لاحكم لنا عليهم. فكتب الشيخ ابن حجر بعده. وهو أخذ حسن مقبول، لأن من تجلى بحقيقة المعرفة، يكون مجتهدا، فلا يعترض عليه، لأنه لم يسمع بشهوة تدعو لمذموم أصلا قطعا بخلاف غيره،.... انتهى ماكتبه ابن حجر.

فأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به:

[وكصاحب الشعب المهيب أحمد　　من بالجلالة صار كالمتدرع]

أي كأن الجلالة والجلال، له درع لابسه. و[المهيب] بفتح الياء المثناة المشددة بعد الهاء، وبعدها باء، اسم مفعول، أي جعله الله مهيبا. و[الشعب]، هو شعب بني مخدم بالحسيسة، المقبور به سيدنا الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر، رحمهم الله ونفعنا بهم. ختم الناظم نفع الله به السادة آل باعلوي بالسيد أحمد الحبشي المذكور، كما ختم السادة المشائخ من السلف ومن بعدهم، بقوله: وكصاحب الغرب المنير شعيبه، وشعيب تصغير شعب، والشعب محل فيض الماء من السماء إلى الأرض إلى الأودية، فتسيل بقدرها.

ومراد سيدنا الناظم بمن ذكر، السيد الإمام العارف بالله وأحكامه، الشيخ الكبير، والعلم الشهير، بحر النور الغزير، وحبر العلم المنير، وكنز المعدوم وجبر الكسير، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي بن علي بن الفقيه أحمد بن محمد أسد الله بن حسن بن علي بن سيدنا الفقيه المقدم باعلوي. ذكره السيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه في كتابه [المشرع الروي في مناقب آل باعلوي]. فلننقل شيئا مما ذكره.

فقال رحمه الله تعالى: ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، ثم شرح الله صدره لطلب العلوم، وحببت إليه الطاعات، فصحب أكابر أهل زمانه، وأخذ عن علماء عصره وأوانه.

فمن مشائخه: الإمام عبدالرحمن بن شهاب الدين، والعارف بالله أبوبكر بن علي خرد باعلوي، والسيد الجليل محمد بن عقيل مديحج، والشيخ أبوبكر بن سالم صاحب عينات.

وكان بينه وبين السيد عبدالله بن سالم خيله ملازمة، وصحبة أكيدة. وأخذ كل منهما عن صاحبه، ورحلا على قدم التجريد إلى الحرمين الشريفين، وأخذا بهما وباليمن عن جماعة من العلماء كثيرين، منهم: الإمام العارف بالله محمد بن أبي الحسن محمد البكري. حكي أنه لما رأى السيد أحمد الحبشي المذكور، قال: لتركبن طبقا عن طبق. قال بعض العلماء، يعني حالا بعد حال، ومقاما بعد مقام. وجاور صاحب الترجمة بالحرمين عدة سنين. وكانت له مجاهدات وشدة رياضات. وربما ترك الأكل أياما عديدة. وكان كثير الصيام، كثير القيام، سالكا مسلك أهله الأكابر، ملازما للسنن النبوية، والآداب الشرعية، مايعلم بفضيلة إلا عمل بها، ولايسمع بكراهة إلا اجتنبها. ووهبه الله من المعارف مايبهر الألباب، وما لم يكن له في حساب.

وكان رضي الله عنه من خلفاء الله على عباده، وأمنائه على فيوضات إمداده. وسار اسمه في مشارق الأرض ومغاربها. وكان عظيم الكرم، قوي الورع، يصدع بالحق، ولايخاف لومة لائم، لايحاذر الجاهل ولا لظالم، دعوته تخرق السبع الطباق. وكان له اعتناء بكلام السادة الصوفية، خصوصا الفقيه عمر بن عبدالله بامخرمه، ويرد عنهم كلام المبطلين. وشرح [الحكم] لابن عباد، يكشف غموض أسرارها، ويظهر شمس أنوارها. وكان يحب القهوة ويأمر بشربها، ويقول: هذه الثلاثة شرح الحكم لابن عباد، وقصيدة الفقيه عمر بامخرمه، والقهوة البنية من النعم التي اختص بها المتأخرون.

واستوطن الحسيسة آخر عمره عند قبر المهاجر الإمام السيد أحمد بن عيسى. فكان ملجأ الوافدين، وملاذ المسافرين. ولم يزل بها إلى أن توفي بها سنة ثمان وثلاثين بعد الألف، . . . . انتهى مانقلناه من [المشرع الروي] للسيد محمد بن أبي بكر شليه.

وصاحب الترجمة جد والدة الناظم، وهي سلمى بنت عيدروس بن أحمد الحبشي المذكور، وجد والدي زين بن علوي بن أحمد المذكور. أخبرني شيخنا الناظم أنه، أعني سيدنا أحمد الحبشي، كان يحب والدته ويطلبها من بلدها تريم، وتأخذ عنده مدة. قال: ورأيته ألبسني الخرقة، لكنه القبع المعتاد لفقراء الشيخ عبدالله باعباد، فتعجبت، فألبسني القبع المعتاد لآل باعلوي فوق الأول، وسألني عن مسألة، فأجبته عنها، فأثنى علي. قلت: والشيخ عبدالله باعباد المذكور ينسب في أول لباسه وباطنه، إلى سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي علوي، وفي آخر لباسه وظاهره، إلى الشيخ أحمد بن الجعد اليمني. وأم جدي علوي بن أحمد الحبشي المذكور من آل باعباد، قبيلة الشيخ عبدالله باعباد المذكور.

تزوج الجد أحمد منهم بإشارة وبشارة، ذكرتها في كتابي [المسلك السوي في الالتقاط من المشرع الروي]. وأخبرني الفقيه المنور أحمد بن عبدالله بن الشيخ عمر شراحيل الغريب، أنه سأل السيد الإمام عمر بن عبدالرحمن العطاس باعلوي عن قلة اجتماعه بالسيد أحمد الحبشي. فقال: عليه شعاع نور يغرز العيون. وهذا يوافق قول شيخنا الناظم رحمه الله: [من بالجلالة صار كالمتدرع]، عجز البيت المذكور.

وأخبرني الشيخ السيد الصالح الملحوظ أحمد بن هاشم بن أحمد الحبشي عن الفقيه عبدالرحمن بامدرك، تلميذ السيد المترجم له، أن السيد أحمد بن عيسى كلم السيد أحمد الحبشي، وأعطاه فنجان قهوة وشيئا من ماء الورد، من محل قبره المعروف الآن. وقال له: من عجز عن المطلع لزيارتي، فليزرك.

وكان صاحب الترجمة لايكلم أحدا، ولايكلمه أحد، من بعد صلاة الصبح إلى أن يصلي الشروق. ولايفسح لأحد في ذلك أصلا. وأخبرني ولده السيد الجليل الحسن بن أحمد المذكور، عن السيد الإمام محمد بن علوي السقاف بالحرم الشريف مشافهة عن السيد عبدالله بن علي صاحب الوهط، قال: مامن مسجد في الأرض، إلا وللسيد أحمد فيه سجدة، أو ماهذا معناه.

قال لي السيد حسن الحبشي المذكور: وألبسني السيد محمد بن علوي الخرقة الصوفية، تجاه الركن من البيت المشرف. وأخبرني بعض فقراء آل باحميد عن خاله باوزير عن بلده حورة، قال: طلبت من السيد أحمد الحبشي الدعاء بالسيل، وأنا عنده بالشعب، قال: سر إلى بلدك الآن، وتأتي إليها، وهم يرعضون ويقع لخلعك سيل في سيل في سيل في سيل في سيل في خمسة سيول، عدها في أصابع يدي الخمسة، فوقعت كلها في تلك الليلة، حتى تمنيت، أن أصابع يدي أكثر من خمسة. وذكر قصة طويلة، هذا المقصود منها، وأظن أن الراوي لي باحميد، مع خاله المذكور في الواقعة المذكورة.

وكان السيد أحمد المترجم له كثيرا ماينهى بعض الناس من غير سبب ظاهر. ويقول: رأينا معه شيطانا، فزجرناه، فذهب عنه، وطعن مرة بعض الأخدام له، وكان قدام راحلته، برمح في ظهره خرج من صدره، ثم جذبه منه، فلم يجد بصدره ألما ولاأثرا، فقال: إنما طعنا الراكب فوق ظهرك. فكان الخادم المذكور آنفا وسوس له الشيطان. أخبرني بهذه الحكاية الفقيه أحمد شراحيل المذكور آنفا.

وله من الأولاد خمسة عشر ذكرا، وأربع عشرة أنثى. عرف من الإناث: فاطمة بتريم، وطلحة من بور، ومزنة بشبام. ومن الذكور: الحسن الماضي ذكره، أمه من آل أحمد القبائل المعروفين.

أخبرني عن خاله عبدالله بن راصع، أنه دخل ظفار، وفيها

مصروع من الجن، فلما دخل، صاح الجني، وقال: نحترمك، ونخرج لأجل صهرك. وكان ذلك قبل أن يعلم بزواج السيد أحمد بأخته، فحفظ الوقت فوجدوه بعد تزويجه بها. وكان اجتماعه بهذه المرأة، أم الحسن ليلة واحدة، وأصبحت سائرة إلى بلدها، وحملت بالحسن المذكور.

وكان كثير الزواج. أخبرني ولده الحسن أن اللاتي دخل بهن من النساء نحو ثلاثمائة وستين غير من عقد عليهن فقط.

وأخذ عنه جماعة، منهم: السيد علوي بن عبدالله العيدروس صاحب ثبي. وأولاده، ومنهم: السيد الجليل عيدروس، جد شيخنا الناظم، كما سبق ذكره. وكان عالما فاضلا، له تصانيف، وزهد وعبادة. وله شعر مليح. تزوج بابنة عمه عمر بن محمد الحبشي، فجاءت له بوالدة سيدنا الناظم وغيرها. ومنهم: أبوبكر الحبشي، سيد فاضل. له ذوق في الحقائق، خال سيدنا الناظم. وممن أخذ عنه: والد سيدنا الناظم علوي بن محمد الحداد. سمعت والدي زين بن علوي الحبشي عن السيد علوي بن محمد الحداد المذكور قال: جئت عند جدك أحمد الحبشي قبل أن أتزوج أم ولدي عبدالله، فسألته الدعاء، فقال: أولادك أولادنا فيهم البركة. فما عرفت إشارته إلا بعد وجود ولدي عبدالله، لما ظهرت عليه النجابة، ومخايل الولاية، أو كما قال بمعناه.

ولنعد إلى مانحن بصدده من الشرح للقصيدة، فقول سيدنا الناظم:

[ولأقبضن عنان قولي ههنا حسبي وفي تعدادهم لم أطمع]

استعار للقول [عنانا] تشبيها بالخيل المطلقة الأعنة إذا لم تقبض، والتشبيه والاستعارة والمجاز من مسائل علم البيان، أي يقبض قوله لكثرتهم وكثرة مناقبهم ههنا عند ذكر السيد المذكور. [حسبي] أي كفاني، و[لم أطمع] لعمري في تعدادهم. ومعرفة هذه الأمور اللفظية، عليه مدار كبير في العلوم النظرية العقلية. وقد جاءت في القرآن العزيز كقوله

تعالى: [وإنه في أم الكتاب]، قوله سبحانه: [لتنذر أم القرى]. وسيما الاستعارة، فان لفظ الأم في أصل وضع لغة العرب للوالدة، ويلقب به أم كل شيء، كما هنا للمناسبة من بعض الوجوه. وكما يقال: رأس المال، ووجه النهار، ويد الدهر، فالاستعارة من المجاز والتشبيه منهما.

وقول سيدنا الناظم [لم أطمع] بكسر الميم، يعني سأذكرهم إجمالا في أهل البيت النبوي. وفي ذكرهم في جملة أهل البيت، غاية التنويه والتعظيم بعظيم فضلهم، وبالتفصيل لذكرهم، تطمئن القلوب. وبعض التفصيل يدل على كله، كما فعل الناظم رضي الله عنه ونفع به:

[فهم الكثير الطيب المدعو لهم   من جدهم حين الزفاف ألا تعي]

أي، حين زفاف فاطمة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. والضمير في قوله: [المدعو لهم] عائد على آل باعلوي خصوصا، وجميع بني فاطمة عموما. والحديث المشار إليه مارواه أنس رضي الله عنه قال: جاء أبوبكر ثم عمر رضي الله عنهما يخطبان فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يرجع إليهما شيئا، فانطلقا إلى علي كرم الله وجهه يأمرانه بطلب ذلك، قال علي: فنبهاني لأمر، فقمت أجر ردائي، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: زوجني فاطمة، قال: وعندك شيء؟ قلت: فرسي وبُدُنِي، قال: أما فرسك فلابد لك منها، وأما بدنك فبعها. فبعتها بأربعمائة وثمانين، فجئت بها، فوضعتها في حجره، فقبض منها قبضة، فقال: أي بلال، ابتع لنا بها طيبا. وأمرهم أن يجهزوها، فجعل لها سرير مشروط، ووسادة من أدم حشوها ليف، وقال لعلي رضي الله عنه: إذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك. فجاءت مع أم أيمن، فقعدت في جانب البيت، وأنا في جانب، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ههنا أخي؟ قالت أم أيمن: أخوك؟ وقد زوجته ابنتك. قال: نعم. ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لفاطمة رضي الله عنها: ايتيني بماء، فقامت إلى قعب في البيت، فأتت فيه بماء،

فأخذه ومج فيه، فقال لها: تقدمي! فتقدمت، فنضح بين ثدييها وعلى رأسها، وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. ثم قال لها: أدبري، فأدبرت، فصب بين كتفيها، ثم فعل مثل ذلك بعلي، ثم قال له: ادخل بأهلك، بسم الله والبركة. رواه أبو داود السجستاني، وأخرجه أحمد وأبو حاتم بنحوه.

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أيام من خطبة علي، فقال: ادع أبابكر، وعمر، وعثمان، وعبدالرحمن، وعدة من الأنصار. فلما اجتمعوا، وأخذوا مجالسهم، وكان علي غائبا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد: إن الله تبارك اسمه، وتعالت عظمته، جعل المصاهرة سببا لاحقا، وأمرا مفترضا، أوشج به الأرحام، وجعلها مختلطة مشتبكة، وألزم الأنام، فقال عز من قائل: وهو الذي خلق من الماء بشرا، فجعله نسبا وصهرا، وكان ربك قديرا، فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره. ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة، إن رضي بذلك علي. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر، ثم قال: انتهبوا، فانتهبنا. ودخل علينا علي، فتبسم في وجهه. ثم قال: إن الله تعالى أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت بذلك؟ قال: قد رضيت بذلك يارسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيرا طيبا. قال

أنس: فوالله، لقد أخرج منهما الكثير الطيب. رواه ابن أبي حاتم، والإمام أحمد بنحوه. ورواه غيرهما بمعناه.

وكان زواجهما رضي الله عنهما أواخر السنة الثانية من الهجرة على خلاف فيه. وسن فاطمة رضي الله عنها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، ولم يتزوج علي عليها، حتى ماتت.

وممن ذكر الحديث ابن عساكر. وفي رواية عن أنس: فبينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ غشيه الوحي، فلما سري عنه، قال: إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي، فانطلق، فادع أبابكر وعمر، وسمى جماعة من المهاجرين إلى آخره.

وفي رواية أخرجها النسائي بسند صحيح، أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي، لما تكلم في فاطمة: مرحبا وأهلا، وفيها، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ، ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله عنهما، وقال: اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما. وفي رواية: في شملهما. وهو بالتحريك الجماع. وفي أخرى: في شمليهما. وفي رواية أخرجها أبو علي الحسن بن شاذان: أن حبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أمرك أن تزوج فاطمة من علي. وفي أخرى: قال؛ فجمع الله شملهما، وأطاب نسلهما، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمة. وفي أخرى: بارك الله لكما، وبارك فيكما، وأعز جدكما، وأخرج منكما كثيرا. وأخرج أكثره أبوالخير القزويني. فكل ما ذكرناه هنا في فضل أهل البيت مما ذكره الشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيتمي في كتابه [الصواعق]، وغيره.

ثم قال الناظم رضي الله عنه وأرضاه:

[بيت النبوة والفتوة والهدى والعلم في الماضي وفي المتوقع]

أما كونهم رضي الله عنهم بيت هذه الصفات الأربع في الماضي واضح ظاهر، وجلي شاهر. [وفي المتوقع] فمشاهد باهر، ومثل سائر.

وفي المتوقع المستقبل أيضا من زمن سيدنا الناظم، لو لم يكن إلا الإمام المنتظر، بوعد الصادق، خير البشر، محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المهدي لكفى. فـ[النبوة والفتوة والهدى والعلم] يرجع معانيها إلى الصلاح في النفس، والإصلاح للغير، وآل باعلوي بيت ذلك ومحله، وأخص أهله من المتأخرين من أهل البيت النبوي. فمن معاني الفتوة الإنصاف من النفس، وعدم الانتصاف لها. ومن معانيها، الوفاء والصدق وحسن الخلق. ومن معاني الهدى، الرشاد والدلالة والتعريف. وغاية الهدى نور يشرق في عالم الولاية، يشير إليه بقوله تعالى: [قل إن هدى الله هو الهدى]. ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم هدى، بضم الهاء وفتح الدال، كما ذكره بعض علماء السير، والعلم هو المعرفة بالله تعالى وصفاته وأحكامه وأفعاله. والنبوة يجمع ذلك كله.

وقال سيدنا الناظم نفع الله به:

[بيت السيادة والسعادة والعبا   دة والخيرات كل أجمع]

فـ[السيادة]، تشريف الله لهم، و[السعادة] لهم، إسعاد الله إياهم، و[العبادة] توفيقه إياهم للتذلل له، وإخلاص الأعمال المرضية لوجه الله، و[الخيرات] تعم هذه المذكورات، وأكده بقوله: [كل أجمع].

وقوله رضي الله عنه:

[بيت الإمامة والزعامة والشها   مة والأمنات للمتروع]

فـ[الإمامة]. تأهيل الله لهم للاقتداء بهم في الدين، والتقدم للاستتباع في سلوك الصراط المستقيم، من الذين أنعم الله عليهم، ومثلها [الزعامة]، لأنها الرئاسة في الأمور و[الشهامة]. و[الأمنات] جمع أمنة، من الأمن [للمتروع] والخائف. وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم: [النجوم أمان لأهل السموات، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي، جاء أهل الأرض من الآيات ماكانوا يوعدون]،

وفي حديث آخر: [مثل أهل بيتي فيكم، كسفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق. . .] انتهى. وآل باعلوي من خاصة أهل البيت.

ومن جملة دعائه صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة رضي الله عنهما ليلة دخوله بها: جمع الله شملهما، وأطاب نسلهما، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمة. فشبههم بالنجوم في الأمان بهم، والحفظ بسببهم. وكذلك في الاقتداء بهدي العلماء منهم، الصالحين. قال الله تعالى: [وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر]. وقال تعالى: [إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه:

[قوم يغاث بهم إذا حل البلا   ولدى المساغب كالغيوث الهمع]

[المساغب] جمع مسغبة، وهي المجاعة. و[الغيوث الهمع]، فكم أغاث الله بهم عند حلول البلاء، وكم أعطى بسببهم، وأطعم بواسطتهم عند المساغب. وشبه الناظم رضي الله عنه كرمهم وعطاياهم عند المساغب والمجاعات بالغيوث الهوامع.

وقوله رضي الله عنه:

[قوم إذا أرخى الظلام ستوره   لم تلفهم رهن الوطا والمضجع]
[بل تلقهم عمد المحارب قوما   لله أكرم بالسجود الركع]
[يتلون آيات الكتاب تدبرا   فيه ولا كالغافل المتوزع]

وصفهم رضي الله عنه في قيام الليل، أنهم رضي الله عنهم إذا جنهم الليل، وشبه تراكم ظلمته بإرخاء الستور. [لم تلفهم] بالفاء [رهن الوطا والمضجع]، أي مرتهنين بالمضاجع في الفرش الوطيئة، بل هم كما قال الله تعالى: [تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا

وطمعا. . . . الآية]. وهو المفسر بقول الناظم: [بل تلقهم] بالقاف. [عمد المحارب]، أي كأنهم عمد حال قيامهم في محاريبهم، أي محل صلاتهم، قوما لله في صلاتهم خاشعون، يتدبرون آيات القران بلا همز، متفهمين معانيه، ويسمعونه، ولاعَنَهُ غافلين، متوزعين الفكرة بغيره، متجزئين الخواطر، بل مقبلين على ماهم فيه.

[والمحارب] جمع محراب، والمراد به مكان الصلاة الذي يقوم فيه المصلي. واختلف في اتخاذ المحاريب للمساجد، فقيل: يكره، لحديث: [اتقوا المذابح]. قال في [الدر الثمين]: هي المحاريب، أي اجتنبوا اتخاذها والوقوف فيها.

قال الحافظ العلقمي في شرح [الجامع الصغير] عن شيخه السيوطي، قال: ومن خطه نقلته، إن قوما خفي عليهم كون المحراب في المسجد بدعة، فظنوا أنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه، ولم يكن قط في زمنه ولا في زمن الخلفاء الأربعة، إلى آخر المائة الأولى.

وحدث في المائة الثانية مع ورود الحديث بالنهي عنه، وأنه من بنيان الكنائس، واتخاذه من أشراط الساعة. وقال الضحاك: إنه أول شرك في الصلاة. وعن الحنفية: يكره أن يقوم الإمام فيه، لأنه يشبه اختلاف المكان كالانفراد، ولابأس بقيامه في المسجد وسجوده فيه. . . . انتهى.

لكن قال الزركشي: المشهور الجواز، بلا كراهة، ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير. واعترضه السيوطي بأن عمل الناس ليس بحجة مع ورود النهي من طرق. والمسألة ليس فيها نقل في المذاهب. وحمل بعضهم النهي على مافيه تشبيه بالنصارى بدليل حديث: [لاتزال أمتي بخير مالم يتخذوا في مساجدهم مذابح النصارى]، أي مع كون المحراب شعارا على القبلة، فيندب وضعه لذلك، بل ربما وجب على العارف بذلك وضعه عند الاختلاف والجهل وقلة الاعتناء بمعرفة

القبلة. . . . انتهى بمعناه من كتاب [المشرع الروي] للسيد محمد بن أبي بكر شليه باعلوي.

ثم قال سيدنا الناظم نفع الله به:

[ثبتوا على قدم الرسول وصحبه والتابعين لهم فسل وتتبع]
[ومضوا على قصد السبيل إلى العلا قدما على قدم بجد أوزع]

أي قاموا واستقاموا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطريقته المثلى، وسيرة أصحابه الذين اتبعوه واقتفوه فيها رضي الله عنهم، وسبيل الذين جاءوا من بعدهم على إحسان الإتباع لهم في الاقتداء به عليه السلام. وهذه الأوصاف الجميلة ظاهرة شهيرة في السادة آل باعلوي الحضرميين الحسينيين الفاطميين، ممن ذكره الناظم نفع الله به، وممن لم يذكره من أصولهم وفروعهم وسائر آل باعلوي. فكلهم رضي الله عنهم مضوا على سلوك السبيل، والقصد الأقوم، في الأصول والفروع، والأعمال والأقوال، والأفعال والأحوال، لم يزيغوا عن السنة.

وقوله: [إلى العلا]، أي المقامات الشريفة، والمراقي العلية المنيفة، يتبع بعضهم بعضا، لم تَزِلْ أقدامهم عن الطريقة النبوية، والسنة المحمدية، والسيرة العلية الصوفية، بالهمة القوية، والعزوم السديدة الوفية، رزقنا الله لزوم طريقتهم، ولاحرمنا بركتهم، بجاه جدهم وإمامهم، الهادي إلى الصراط المستقيم، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به آمين:

[وجماعة منهم أخذنا عنهم علم الطريق القصد فانصت واسمع]

فقوله: [منهم]، أي آل باعلوي. فإنه رضي الله عنه أخذ عن خلق كثير من آل باعلوي وغيرهم، من أعيان وقته وصالحيه، في حضرموت وغيرها، شريعة وطريقة، أشار إلى شيء من ذلك في فتاويه [النفائس

العُلوية في المسائل الصوفية]. وسمعنا منه في ذلك شيئا كثيرا حذفناه اختصارا، فألق السمع وأنصت، وأنت شهيد القلب حاضره، كما يقول من قوله نفع الله به آمين:

[مثل الجمال نـزيل مكـة شيخنا والفخر والصوفي عقيل المصقع]

بالصاد والسين المهملتين، ذكر في هذا البيت من مشائخه الذين أخذ عنهم الطريقة، ثلاثة: السيد محمد بن علوي السقاف نزيل مكة، والفخر أبابكر بن شهاب الدين، والسيد عقيل بن عبدالرحمن نزيل تريم.

فأما الأول منهم، فهو السيد الإمام الكبير، جمال الدين محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن الشيخ عبدالرحمن السقاف. ولد رضي الله عنه ببندر الشحر، سنة اثنتين وألف، وبها نشأ، وصحب بها أولا السيد العارف بالله، ناصر بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتربى به. وأخذ عن السيد الجليل عمر باعمر، ثم رحل إلى تريم، فأخذ بها عن زين العابدين الشيخ علي بن عبدالله العيدروس، والشيخ الكبير أحمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ العيدروس، والعارف بالله عبدالله بن أحمد العيدروس، والشيخ العارف بالله زين بن الإمام حسين بافضل، والسيد القدوة الجليل، عقيل بن عبدالرحمن بن عقيل السقاف، وأمره بالخلوة في زاوية مسجد الشيخ علي بن أبي بكر أربعين يوما، ففعل، وفتح عليه. ثم رحل إلى عينات، فأخذ بها عن السيد الإمام الحسين بن أبي بكر بن سالم وإخوانه، وعن الشيخ العارف بالله حسين بن أحمد باشعيب، ورحل إلى الهند، وأخذ بها عن الإمامين عبدالقادر بن شيخ العيدروس، ومحمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس، وحكمه. وأمره السيد عبدالقادر بالرحلة إلى السيد الولي عبدالله بن علي صاحب الوهط، فلازم صحبته، وألبسه الخرقة الصوفية، وأمره بالحج

سنة تسع عشرة وألف، فحج حجة الإسلام، وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم عاد إليه، فزوجه ابنته أم هاني.

وانتقل شيخه السيد عبدالله المذكور سنة تسع وثلاثين وألف، كما قد ذكرنا ذلك في هذا الشرح عند ذكر سيدنا الناظم له قبل هذا البيت بأربعة عشر بيتا.

ثم حج السيد محمد بن علوي المذكور عن شيخه عبدالله المذكور حجة الإسلام. وزار طيبة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام، ورجع إلى الوهط، ثم إلى الشحر، ثم إلى الحجاز، وتوطن الحرمين الشريفين. وتوفي بمكة المشرفة بعد صلاة الجمعة، لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الثاني، سنة إحدى وسبعين وألف. ودفن بمقبرة المعلاه، بقرب مشهد أم المؤمنين، خديجة الكبرى، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وعليها وآله أجمعين.

وكان عارفا بالله، لاتمضي عليه ساعة، إلا وهو مشتغل بطاعة الله. لاتذكر الدنيا في حضرته، بل هي معدن المعارف والعلوم. وكان له في الكرم والزهد المقام الكبير العالي. وكان من الذين إذا رُأُوا، ذكر الله تعالى. وكان مجاب الدعوة يكاشف بالخواطر. وكان لايترك الجمعة والجماعة. أخذ عنه الطريقة، ولبس منه الخرقة خلائق، يتعسر أو يتعذر إحصاؤهم. منهم: السيد الجليل، الإمام العلامة، محمد بن أبي بكر شليه باعلوي، صاحب كتاب [المشرع الروي في مناقب السادة آل باعلوي]، كما ذكره في كتابه المذكور، وذكر أخذه عنه، ونقلنا هذه الترجمة منه، وهو من جملة مااعتمدناه في نقل هذا الشرح.

ومن جملة الآخذين عنه: شيخنا الناظم كما شافهني بذلك مرارا، منها عند إلباسه الخرقة الشريفة، قال: ألبسني الخرقة السيد محمد بن علوي السقاف مراسلة، أرسل بها إلي من مكة المشرفة. وأذن لي في

إلباسها إذنا مطلقا، وهي القبع المشهور عند آل باعلوي. وذكر لي، يعني شيخه المذكور في كتابه، إنا خشينا اندراس السند للخرقة. . . انتهى.

قال السيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه في كتابه [المشرع الروي] في ترجمته لمناقب شيخنا الناظم: حكى غير واحد أنه أرسل له بالخرقة في السنة التي مات فيها، قيل: ووصلت يوم انتقال السيد محمد بن علوي. قال بعضهم: أشار بذلك إلى أنه خليفته. . . . انتهى كلام السيد محمد شليه.

وقال لي شيخنا الناظم نفع الله به: وقعت لي مسائل، أظنه قال: ثلاث، فلم يجبني عليها أحد بتريم، فرأيت الشيخ حسن باشعيب، يعني تلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم في مسجد آل باعلوي خارجا من مقالده، فوقفته لأسأله عنها، وهو كالمتضجر، فأجابني عن الأولى والثانية.

ثم قال في الثالثة: إنما يجيبك فيها السقاف، فوقع في خاطري أن المراد بالسقاف، السيد محمد بن علوي السقاف المذكور، فكتبت بها إليه، فأجابني فيها. . . . انتهى ماحكاه لي شيخنا بمعناه.

وأما قول سيدنا الناظم نفع الله به: [والفخر والصوفي عقيل المصقع]، فالمراد [بالفخر]، السيد الجليل، والفخر الإمام الكبير، الشيخ الشهير، أبوبكر بن الإمام السيد عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر بن الشيخ عبدالرحمن السقاف. كان رضي الله عنه على جانب رفيع من الخير والطاعة، والعزلة والتواضع، ملازما للعبادات والأوراد.

ولد بتريم، وحفظ القرآن، وتفقه بالفقيه العلامة، محمد بن إسماعيل، ولازم دروس والده، وأخذ عنه أخذا جامعا من فقه، وحديث، وأصول، وتفسير، وتصوف. وأخذ عن أخيه الهادي بن عبدالرحمن، وعن الشيخ عبدالله العيدروس بن شيخ. ورحل إلي اليمن والحرمين وجاور. وأخذ عن السيد العلامة عمر بن عبدالرحيم البصري، والشيخ أحمد بن علان، والشيخ عبدالعزيز الزمزمي. وسمع

من كثيرين. وانتفع به جماعة من العلماء، منهم: شيخنا الناظم، والعم عيدروس بن علوي الحبشي، والسيد الجليل أحمد بن عمر الهندوان، والسيد عبدالرحمن بن محمد، إمام مسجد السقاف، والشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، والسيد أحمد بن حسين بافقيه، وأخوه عبدالله، والشيخ أحمد بن عتيق، والسيد أحمد بن أبي بكر شليه.

وأما الثالث من مشائخ شيخنا الناظم المذكورين في هذا البيت، فهو السيد الإمام، المحقق الصوفي المكاشف، عقيل بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن عقيل بن الشيخ أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف. ولادته ومنشؤه بتريم، ووفاته بها. وحفظ القرآن، ولازم والده، واشتغل في العلوم عليه، واعتنى به والده. وكان يحبه ويثني عليه، وقال فيه قبل ولادته: سيولد لي ولد يكون له شأن عظيم. ويطول عمره، وكذا أثنى عليه شيخه محمد الهادي بن شهاب، وأخذ الفقه عن الفقيه فضل بن عبدالرحمن بافضل، ولازم دروس السيد الجليل محمد الهادي، وأخذ عن السيد الإمام عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين العابدين.

وكان رضي الله عنه محققا لاصطلاحات الصوفية، وله اعتناء تام بعلم القوم خصوصا. وأخذ عنه جماعات، وانتفع به خلائق، منهم: شيخنا الناظم، والسيد العلامة أحمد بن عمر الهندوان، والسيد عبدالله بن علي باحسين، والشيخ عبدالله بن محمد باغريب، والسيد محمد بن أبي بكر شليه، كما ذكر ذلك في كتابه [المشرع الروي]. وقال في الكتاب المذكور: وممن أخذنا عنه: شيخنا العارف بالله السيد محمد بن علي نزيل الحرمين، فإنه لما دخل تريم، لم يجد والده عبدالرحمن بها حيا، فأخذ عنه وأدخله الخلوة أربعين يوما بزاوية الشيخ علي، هكذا نصه في [المشرع الروي].

وقال فيه أيضا: وله كرامات، منها ماأخبرني تلميذه عبدالله بن محمد باغريب أن محمد بن أحمد بامصباح تعرض له بسوء، فدعا عليه،

وقال: فيطيح من داره، وتنكسر عظامه، وتموت امرأته. فكان كما قال. وأنه أخبر باغريب المذكور أنه سيرحل إلى مكة ويجاور بها، فكان كذلك. . . . انتهى كلام محمد شليه.

وسمعت شيخنا وبركتنا الناظم نفع الله به يقول: رأيت من السيد عقيل كرامتين، إحداهما: أني أضمرت عند خروجي يوما إليه، أني أريده يلبسني الخرقة الصوفية هذا اليوم، فلما جئته، نزع كوفية كانت على رأسي، وجعلها على رأسه، ثم ألبسنيها، وقال: ألبسناك ولم نلبس غيرك. ولم يذكر لنا شيخنا الناظم الكرامة الأخرى اعتبارا منه. وسمعت السيد الجليل أحمد بن عمر الهندوان نفع الله به، يقول: كنت عند السيد عقيل يوما، وأنا صغير، وهو يتكلم. وفي كلامه شيء من ذكر أوصافه، فخطر لي أن هذا من الثناء على النفس، وهو مذموم، وتعبت مع ذلك الخاطر مع كراهتي له، فقال لي السيد عقيل: لا ياولدي! إنما هو تحدث بالنعمة، قال الله تعالى؛ [وأما بنعمة ربك فحدث]. ثم قرأ عليَّ شيئا من القرآن، وعلى جميع أعضائي واحدا، واحدا. . . . . انتهى بمعناه.

وسمعت الفقيه المحقق المنور، محمد بن أحمد باجبير الدوعني، ثم التريمي، قال: خرجت أنا وسيدنا علوي بن عبدالله العيدروس لصلاة الجمعة، فرأينا السيد عقيل المذكور ينظر في كتاب، بشق الجامع النجدي قرب الصلاة، فقال السيد علوي: إن هذا الكتاب لعظيم، حيث اشتغل به هذا السيد الفضيل في هذه الساعة، ولكن لعله أن يرسله لي بعد الجمعة، أنظره. فلما انصرف الناس من الجمعة، فإذا بالسيد عقيل يناديني: يامحمد! هاك هذا الكتاب. أعطه السيد علويا ينظره، لأنه يفرح بذلك، أو ماهذا معناه في الحكاية.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[وأبي حسين عمر العطاس من   قد صار من أهل اليقين بموضع]

كناه بابنه حسين الموجود الآن. والعطاس لقب سابق لهم. وقوله:

[من أهل اليقين]، هو قوة الإيمان، وغلبته على القلب، غلبة يحمل على العمل بمقتضاه، وهو، أعني اليقين، رأس الأعمال الصالحة، وأصلها، وأساسها. وقد حقق الكلام فيه، وحرره حجة الإسلام الغزالي في كتاب العلم من [الإحياء] وغيره، كـ[كتاب الخوف]، وأكثر الإشارة إليه سيدنا الناظم في كتبه، وفصل مقاماته في قصيدته التائية.

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: [من أعطي حظه من اليقين والصبر، لم يُبَلْ مافاته من قيام الليل وصيام النهار].

وقد أثنى على السيد عمر بن عبدالرحمن المذكور غالب صالحي قطره وعصره. وكان عالما عاملا، داعيا إلى الله بقوله وفعله وحاله. أخذ عنه الطريقة جماعة من أكابر وقته، وانتفع بصحبته خلائق، وتلمذ له طوائف، وتلقنوا منه الذكر ولبسوا منه الخرقة الصوفية.

فممن أخذ عنه: شيخنا وسيدنا الناظم، أخذ عنه الطريقة، وألبسه الخرقة، في وقت زيارته إلى بلده حريضة، ولقنه كلمة الإخلاص لاإله إلاالله، وصافحه كما صافحوه، ولقنوه، وألبسوه. ذكر ذلك لي شيخنا عند أخذي عنه الإلباس والتلقين والمصافحة. وقد أشرت إلى ذلك في التقاطي المسمى بـ[المسلك السوي من المشرع الروي] عند ذكري لمناقب شيخنا الناظم، ومصنفاته ومشائخه. وأخذ السيد عمر المذكور الطريقة والإلباس عن الشيخ السيد الإمام الحسين بن أبي بكر بن سالم صاحب عينات. وأخذ تلقين الذكر عن السيد عمر باركوه السمرقندي، وهو المقبور ببلد الغرفة. وأخذ المصافحة عن السيد محمد الهادي بن عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بسنده إلى جده الشيخ علي المذكور، أبا عن أب. وسند الشيخ علي المذكور في كتابه [البرقة] كسائر أسانيده.

وممن أخذ عن السيد عمر العطاس، السيد الجليل عيسى بن محمد بن أحمد الحبشي، والسيد الجليل أحمد بن هاشم بن أحمد الحبشي،

والسيد الجليل حسين بن عمر العطاس، والشيخ الجليل علي بن عبدالله باراس، صاحب الخريبة، والفقيه المنور أحمد بن عبدالله بن الشيخ عمر شراحيل، صاحب الغريب، والشيخ المنور عمر بن سالم باذيب الشبامي، وغيرهم ممن لقيتهم، كسالم بن علي بن محمد باعباد.

وله رضي الله عنه كرامات يحفظها أصحابه. وله سيرة سديدة، وأحوال شريفة، وأنوار باهرة ظاهرة، على المنتسبين إليه والمتعلقين به. وكانت وفاته في أول سنة اثنتين وسبعين وألف من الهجرة، أدركت شيئا من عمره.

فأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[ووجيه دين الله مع نجل له   يدعى بشيخ والمنيب الأخشع]

فذكر في هذا البيت ثلاثة من مشائخه الذين أخذ عنهم الطريقة، وهم: السيد عبدالرحمن عيديد ونجله، أي ولده السيد العلامة الجليل شيخ بن عبدالرحمن. والثالث، [المنيب الأخشع]، الخائف، شيخان بن السيد الشيخ الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم.

فأما الأول منهم، فهو السيد الإمام، العالم العامل، العارف بالله، وجيه الدين، وبركة المسلمين، عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن عيديد باعلوي. أخذ عن السيد عبدالله بن أحمد العيدروس، وألبسه، وقرأ عليه وعلى السيد عبدالله بن أحمد العيدروس، المعروف بصاحب الطاقة، وأدرك الشيخ أبابكر بن سالم صاحب عينات. وكان يقول لمن حضره: انظروا إليَّ، لأني قد نظرت الشيخ أبابكر، وناظره في الجنة.

وكان يبجل شيخنا الناظم، ويفخم شأنه. وكان هو وولده شيخ الآتي ذكره، إذا جاءه، يطلعه عنده فوق السرير دون غيره. وكان يقول له: مرحبا بشيخ الجماعة، أو بسيد الجماعة. وهذه الكلمة تحتها معنى كبير، وسر حافل جامع.

وقال شيخنا الناظم: أمتع الله به: دخلت على السيد عبدالرحمن بن شيخ عيديد علوي، يعني المذكور بهذه الترجمة، فذكر لي أنه وصله كتاب من السيد الصوفي عبدالله بن محمد علوي، المجاور بالمدينة الشريفة، وذكر له تشتيت حاله بسبب كثرة المطالعة للكتب، فقال: ماتقول، بأي شيء نجيبه، فقلت: أنت أعرف، فقال: أرى أن يترك المطالعة لها. . . . . . إلى آخر ماذكره.

ثم قال، أعني شيخنا الناظم: وقد اجتمعت بالسيد عبدالله المذكور مع زيارتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وجالسناه مرارا، وانتفعنا به، وهو سيد فاضل، من أهل الانقباض والخمول، نفع الله به وبسلفه، وسائر عباده الصالحين. . . . انتهى كلام شيخنا الناظم بحذف منه، واختصار له، ذكره في كتابه [الفصول العلمية والأصول الحكمية]، وبذلك يعرف أن السيد عبدالله بن محمد المدني المذكور من الآخذين عن عبدالرحمن عيديد المترجم له، وأن شيخنا الناظم أخذ عنهما، ولكنه لم يذكر الأول منهما في هذه القصيدة. وكان لأهل المدينة الشريفة وجهاتها، فيه اعتقاد تام، وله بينهم شهرة عظيمة، أعني السيد عبدالله بن محمد المذكور. وذكر له السيد الكردي المدني محمود، خارقة عجيبة في كتابه الذي ألفه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما شيخ، نجل عبدالرحمن المذكور، فكان سيدا جليلا، متفقا بين أهل عصره على إجلاله واعتقاده وتعظيمه، والتبرك به والتردد إليه، من الخاصة والعامة، والرجال والنساء. وكان له الكرامات العلية، والمكاشفات الجليلة. وكان أميا.

سمعت شيخنا الناظم يقول: طلع به أبوه من عيديد إلى المعلامة للقرآن، فرآهما السيد العارف بالله، عبدالله بن أحمد بن الحسين العيدروس، وقال لأبيه: سيأتيه القرآن سرا وحالا، وإن لم يعرفه ظاهرا، أو ماهذا معناه. ومن ذلك يعرف حلول نظر السيد عبدالله العيدروس

المذكور على السيد شيخ بن عبدالرحمن عيديد المذكور. وأنه من مشائخه ومشائخ أبيه، ولاشك ولاريب أن السادة آل باعلوي ذرية بعضها من بعض، متصلين الأسرار والأنوار، متواشكين الأنساب والأسباب، مواضع الإلقاء والأنوار، من الحبيب الأقرب، والمظهر الأكمل، سيد الأنبياء والمرسلين، المصطفين الأخيار، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الأطهار، وعلينا معهم، واللائذين آمين، آمين.

وأما الثالث من المذكورين، بهذا البيت من أهل البيت، فهو السيد الولي، والشيخ البهي، والشريف المنيف، الأبي المنيب، الأواه الخاشع، الراكع الراجع إلى مولاه، الورع التقي، شيخان بن السيد الإمام الحسين بن أبي بكر بن سالم، صاحب عينات. كان سيدا عظيما، كثير البكاء والحزن، متواضعا، كثير الذكر والطاعة، يكثر السؤال عن مآثر الخير والصلاح، وينشد من أتاه من الزوار، عن كيفية إقامة المساجد والرواتب فيها، ويسأهم إملاءها عليه. زرته أول زيارتي لنبي الله هود، عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، فأحسن التلطف لنا، والسؤال عن أحوالنا، أنا ومن معي من الزوار، وسألنا عن راتب مسجد باجريدان. وكان كثير السؤال عن أحوال شيخنا الناظم، عظيم الاعتقاد فيه، معظما لأحواله، يوصي إليه بأن يدعو له.

وكان ولده السيد الجليل العلامة سالم بن شبخان، كثير التردد إلى شيخنا للقراءة عليه، والتبرك به، فلعل ذلك بسبب مايسمع من والده المذكور من التفخيم لشأنه.

فأما قول الناظم نفع الله به:

[وكصاحب الشحر ابن ناصر أحمد   من بالعناية والرعاية قد رعي]

فهو السيد الجليل، والشيخ الجامع الحفيل، ذو السر الأصيل، والتأله والاستغراق الجميل، شهاب الدين أحمد بن الشيخ ناصر بن

السيد أحمد بن الشيخ السيد الإمام أبي بكر بن سالم، صاحب عينات. اجتمع به شيخنا الناظم بالشحر، وأخذ عنه، وعقد بينهما عقد الأخوة. وأثنى عليه ثناء عظيما، ووصفه وصفا حسنا. وأول من توطن الشحر، جده أحمد بن الشيخ أبي بكر، رحل إليها من عدن بعد اجتماعه فيها بالسيد الإمام أحمد بن عمر العيدروس من غير كلام بينهما. وذلك بعد القصد من كل منهما للقاء صاحبه، فحال بينهما نور، منع التكلم بلسان المقال، كما قاله أحمد بن أبي بكر المذكور، جد صاحب الترجمة أحمد بن ناصر بن أحمد المذكور.

وكانت وفاة جده، أحمد المذكور، ببندر الشحر سنة عشرين وألف، ولعل صاحب الترجمة أدركه، وحل عليه نظره. ولاريب أنه أدرك أباه ناصر بن أحمد المذكور. وقد أثنى على أحمد بن أبي بكر المذكور السيد أحمد باجحدب، وقال: إنه أزهد أولاد الشيخ أبي بكر، لما رحل إليه بتريم، وأخذ عنه.

ولقد كان صاحب الترجمة غاية في الزهد، وعدم المبالاة بالدنيا، وقلة النظر في أحوالها، والغيبة عن رسوم أهلها، وماهم عليه من تدبير حفظها وجمعها، وعدم مراعاة قلوب الناس، لإيقاع الحشمة والمحل فيها، بل هو كائن بينهم، بائن عنهم. هكذا نقل عنه الثقات الأثبات، ولاغرو أن تكون هذه الثمرة، فإنها من تلك الشجرة، شجرة البيت النبوي، والسر المصطفوي، بيت النبوة والفتوة، والهدى والعلم والسعادة، والسيادة والعبادة، وكل خير وصلاح، وبر ونور.

وجاء إليه بعض السادة من آل باعلوي من آل الأخضر، يطلب منه إشارة صالحة، فقال له: إشارتك في مكة. فسار إليها، ولقي بها بعض السادة الأفاضل من آل باعلوي، فقال له: فتوحك في قشن بلد المهري، فسار إليها، فحصل له مقصوده. هكذا أخبرني بعض المحبين لدي من آل باعلوي آل الأخضر.

ثم قال سيدنا الناظم:

[وبقية في العصر منهم عمروا   لتكون فيهم متعة المتمتع]
[ويكون فيهم للربوع وأهلها   أنس ونفع الطالب المتنفع]
[فالله يحفظهم ويخلف منهم   أمثالهم في حينا والمربع]

قوله: [منهم]، أي من آل باعلوي. [عمروا] إلى وقت نظم هذه القصيدة، وإنشائها، [لتكون] أي لأجل تكون فيهم، أي في البقية الذين عمروا إلى ذلك الوقت من السادة آل باعلوي، متعة المتمتع في الدين، إذ هم معادن العلم، ومفاتيح الحكمة، ومحل البركة، وأمن الأمة، كما قال صلى الله عليه وسلم فيما مضى عند قول الناظم: [فهم الكثير الطيب المدعو لهم]. . . البيت إلى آخره، ولأجل يكون فيهم أنس للسالكين طريق الله، ونفع الطالبين لله، المتوجهين إليه.

قوله: [متعة المتمتع]، أي إقامة حاله، وإصلاح باله، في سلوك سبيل الدين، وطريق عباد الله الصالحين. ويكون فيهم، أي في البقية الذين عمروا [للربوع]، أي المحال، [وأهلها]، أي أهل الربوع. والمراد أهل الطريقة، من أهل العلم والعمل، من أهل تريم وأهل حضرموت خصوصا. ومن سائر أهل الأرض عموما، من السالكين سبيل الله، والمنتهجين نهج أوليائه، وذوي الرغبات، والخيرات، والمسارعة والجد في الأعمال الصالحة، [أنس ونفع الطالب المتنفع]، أي يكون في البقيةَ الباقين من السادة القادة المذكورين، أنس في سلوك طريق الله، ونفع في طلب الحق، والتوجه إلى الله.

وقوله: [فالله يحفظهم] إلى آخر البيت، دعاء من سيدنا الناظم، للسادة الذين بقوا بالحفظ لهم، ولما أعطاهم الله من الفضائل والفواضل، والأسرار والأنوار.

وقوله: [يخلف منهم أمثالهم]، يجعل منهم خلائف في الأرض، وخلفاء وخلفا في حَيِّنَا. [والمربع]، أي مربعنا خصوصا، فلنذكر منهم

ثمانية، كما ذكر الناظم نفع الله به ثمانية من الذين أخذ عنهم، وهم: السيد محمد بن علوي نزيل مكة، والفخر السيد أبوبكر بن شهاب، والسيد عقيل بن عبدالرحمن، والسيد عمرالعطاس، والسيد عبدالرحمن عيديد، وولده السيد شيخ عيديد، والسيد شيخان بن حسين، والسيد أحمد بن ناصر، ويكون الذكر منا لهم، بحسب السهولة والتيسير، والحضور في البال، وبحسب ماأظهره الله تعالى عليهم في سيرهم وشمائلهم من أسراره في بواطنهم. وما ترشح من عالم غيبهم على شهادتهم، مما نقل إلينا. ورأينا من إجلالهم وأحوالهم، وعلومهم وأعمالهم، بسبب إصلاح الله لسرائرهم وقلوبهم. وكذلك في سائر من ذكرناه وترجمناه أولا وآخرا، وعلم الله سبحانه من وراء ذلك، هو أعلم بكم إذ أنشأكم، ولا أهل الله غيرهم، وأنى لمثلي التحقيق لأحوال أولياء الله، والمعرفة لأسراره، في أهله وأحبابه، فالأعتذار الاعتذار إلى عالم الأسرار، ومودع الأنوار، في قلوب الأخيار، البصير بما يعملون، لهم درجات عند ربهم، يختص برحمته من يشاء، ولايضيع أجر المحسنين.

والاعتذار أيضا إلى أولياء الله، وأهل المعرفة بأسراره، فإن ذكرنا لهم بحسب عقيدتنا فيهم، وما نقل إلينا من سيرهم وأحوالهم.

فممن أشار إليه سيدنا الناظم من البقية من ذكرهم بقوله: ومنهم السيد الشريف جمال الدين الشيخ الفقيه العلامة محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ العارف بالله أحمد بن الشيخ الكبير العلامة الحسين بن الشيخ القطب الرباني عبدالله بن أبي بكر العيدروس رضي الله عنهم ونفع بهم. كان السيد محمد هذا فقيها، عالما فاضلا، أخذ العلم في بداية طلبه عن المعلم المنور، أحمد بن محمد بالحاج التريمي. وكان معلما مباركا، تعلم عليه القرآن جماعة كثيرة من السادة آل باعلوي وغيرهم.

قال الناظم عفا الله عنه: تعلمت عليه القرآن من أثناء سورة

يوسف عليه السلام، حتى ختمت عليه القرآن، ثم عدت حتى قاربت الختم من الإعادة.

وكان المعلم هذا قد دخل إلى الهند، وأقام بها زمانا، ولقي بها جماعة من أهل العلم والفضل. وله مشاركة في كثير من العلوم، حتى علم السيمياء والطب. وقد ذاكرناه بأشياء منها، ومن غيرها. ولما رجع إلى تريم، رجع بأم أولاده، وهي هندية، وقد ولدت له بعض الأولاد بالهند فيما أظن. وكان في حال إقامته بتريم يتردد على كثير من فضلاء السادة، مثل السيد القدوة أبي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب، والسيد الشيخ عبدالله بن أحمد بن حسين العيدروس المعروف بالصليبية، وغيرهما. ويأخذ عنهم، ويذاكرهم رحم الله الجميع.

ثم أخذ السيد المذكور عن الفقيه العفيف الشيخ عبدالله بن أبي بكر الخطيب، وبه تخرج. وسمعت أنه أخذ أيضا عن السيد الوجيه العالم الفاضل عبدالرحمن بن عبدالله باهرون باعلوي، ثم بعد ذلك جلس السيد محمد بن عبدالرحمن للتدريس والإفادة، فأخذ عنه خلق كثير من السادة الأشراف، وغيرهم، وانتفعوا به.

وكان يطالع [إحياء علوم الدين] كثيرا، هو وصاحبه السيد العلامة علي بن الجنيد باهرون باعلوي، واجتمعت به مرارا عديدة، على مذاكرة واستفادة وإفادة. ووقف على الرسالة المسماة بـ[رسالة المعاونة]، ونظر فيها، وبقيت عنده أياما. وكان يسمع القصائد من النظم المنسوب إلي في المحافل، وربما رد على المنشد إذا لحن. هكذا بلغني عن بعض الحاضرين.

وكان مولد السيد محمد هذا في حدود الخمس والثلاثين أو نحوها بعد الألف. ووفاته في سنة اثنتي عشرة بعد المائة والألف. ودفن في قبة جده الشيخ القطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس.

وكان له ولد فقيه عالم، متفنن في كثير من العلوم، اسمه

عبدالرحمن. أخذ عن والده، وتخرج به، وأخذ عن غيره من علماء تريم، وعلماء الحرمين الشريفين، وعلماء الهند، لأنه قد دخلها مرارا، وأقام بها مدة. وتوفي بعد والده بيسير سنة ثلاث عشرة بعد المائة والألف بتريم. وقبره ظاهر داخل قبة جده الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس أيضا، رحمهم الله.

وللسيد محمد بن عبدالرحمن، ولولده عبدالرحمن أيضا، أولاد بتريم مباركون، ولهم طلب للعلم الشريف، فالله تعالى المسئول أن يفتح عليهم، ويجعلهم من العلماء الصالحين المخلصين في ذلك، لله رب العالمين.

ومنهم: السيد الشريف العفيف، العالم الفاضل، سليل السادة الأفاضل، الفقيه الصوفي عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالرحمن بن السيد الفاضل الفقيه الشهير محمد بن عبدالرحمن باعلوي، المعروف بالأسقع. كان السيد عبدالله هذا ممن نشأ في طلب العلم والعبادة من صغره. وكان والده السيد أحمد بن عبدالله من الصالحين الخاملين. وكان بين الناظم وبين السيد عبدالله هذا اختلاط وملازمة ومعاشرة في حين صغرهم، وإقبال شبابهم. وكانوا يخرجون إلى الأودية المباركة مثل عيديد ودمون على الانفراد، وربما دخلوا بعض المساجد نهارا، فيتنفلون بها كثيرا.

قال الناظم: وكنت أتدارس أنا وإياه القرآن، بعد أن ختمنا لقصد الحفظ في بعض المساجد، فيقرأ هو في المصحف قدر ربع جزء، ثم يعيده بالغيب، ثم أقرأ بعده كذلك، أقمنا على ذلك مدة كثيرة. وكنت أقرأ أنا وإياه مختصر الفقيه الشيخ الإمام عبدالله بالحاج بافضل، الكبير من مختصراته على السيد الوجيه الفقيه الصالح عبدالرحمن بن عبدالله باهرون.

ثم إن السيد عبدالله المذكور دخل إلى الهند، وأقام بها مدة، ولقي بها جماعة من السادة باعلوي والأفاضل، مثل السيد أبي بكر بن الحسين

بافقيه باعلوي، والسيد العلامة محمد بن عمر بافقيه باعلوي، والسيد القدوة عمر باشيبان، فيما أظن. فإنه كان موجودا، إذ ذاك. ثم إنه خرج منها إلى مكة المشرفة، وحج البيت، وسار إلى المدينة لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاور بالحرمين الشريفين حينا، واجتمع فيها بكثير من أهل العلم والصلاح، وأخذ عنهم، واستجاز منهم.

فمن أجل من أخذ عنه: سيدنا وشيخنا السيد محمد بن علوي نزيل مكة، والسيد الشريف العلامة محمد بن أبي بكر شليه باعلوي، والشيخ الحافظ عيسى المغربي، والشيخ الجامع العالم أحمد بن محمد القشاشي المدني، رحم الله الجميع، ونفع بهم.

ثم إنه خرج إلى بلده تريم، وأقام بها إلى أن توفي، يدرس العلوم، وانتفع به كثير من الطلبة من السادة آل باعلوي وغيرهم. وكانت وفاته في شهر شعبان عن مرض خفيف، في سنة اثنتي عشرة ومائة وألف. وكان مولده في سنة ثلاث وأربعين، أو أربع وأربعين بعد الألف.

وكان له ولد اسمه محمد، طلب العلم على والده. وكان نجيبا، ولكنه لم تطل مدته، توفي قبل أبيه بمدة قريبة. وكان له نظم حسن ومذاكرة مفيدة. وكان له ولد ثان، اسمه عبدالرحمن، طلب العلم على والده، وعلى جده الإمام السيد الشيخ محمد بن عبدالرحمن العيدروس، وغيرهما. وهو الآن يدرس بتريم في الحديث والفقه والتصوف، وغيرها من العلوم، نفع الله بالجميع، وجعلهم من الخلف الصالح، السائرين بسير سلفهم، المبارك الميمون، من أهل البيت المطهر المصون.

ومنهم السيد الجليل، الشريف الأصيل، الشهاب المنور، الفقيه الصوفي، أحمد بن هاشم بن الشيخ العارف بالله، السيد أحمد بن محمد الحبشي باعلوي، المعروف بصاحب الشعب، نسبة إلى الشعب الذي سكنه هذا السيد، وهو الشعب الذي به ضريح سيدنا المهاجر إلى الله، الشيخ الكبير أحمد بن عيسى بن محمد الشريف الحسيني.

كان السيد أحمد بن هاشم المذكور، ممن نشأ من صغره على طلب العلم الشريف، وملازمة الطاعة، والتردد على أهل الفضل والدين. أخذ العلم الشريف على السيد القدوة، طه بن السيد عمر بن طه السقاف باعلوي، المقيم ببلدة سيئون، فقها ونحوا. وأخذ عن الشيخ الوجيه الفقيه عبدالرحمن بن عبدالله بن مدرك المقيم ببلد بور. وكان فقيها، وتولى الأحكام الشرعية بها. وهو من أصحاب جده الشيخ أحمد الحبشي المذكور، والملازمين لحضرته المباركة في حياته وبعد وفاته. وأظن السيد أحمد قرأ عليه [المنهاج] بكماله، وأحسب أيضا أن السيد أحمد أخذ العلم على الفقيه الأجل الشيخ أحمد الصبيحي باجمال بغرفة باعباد في أحيان كان السيد يتردد إليها في وقت مانزوج بالغرفة على بنت عمه السيد علوي بن السيد أحمد. وكان السيد أحمد يجيء إلى تريم، ويقيم بها الأيام، ويحضر بعض دروس علمائها، مثل الفقيه الجمال محمد بن أحمد باجبير وكان له اجتماع واختلاط كلي، ومحبة صافية مع الناظم. وكانوا يطالعون إذ ذاك في الكتب الغزالية، وغيرها. وفي الدواوين المنظومة لأهل الذوق والشوق، مثل الشيخ عبدالهادي السودي وغيره. وكان السيد أحمد المذكور له صوت حسن بالإنشاد، وإقامة حضرات الذكر لله تعالى.

وسافر في بدايته لقصد زيارة الشيخ الرباني سعيد بن عيسى العمودي بدوعن، واجتمع بالسيد العارف بالله عمر بن عبدالرحمن العطاس باعلوي، ثم بصاحبه الشيخ الأجل علي بن عبدالله باراس بعلو دوعن. ثم سافر بعد ذلك، هو والناظم لقصد زيارة الشيخ سعيد بن عيسى، ولزيارة السيد عمر بن عبدالرحمن، ومعهما جماعة، وزاروا السيد عمر، وأقاموا عنده بحريضة أياما، ثم صعدا لقصد زيارة الشيخ سعيد نفع الله به، فبدا للسيد أحمد الرجوع من دون الهجرين أول مرة وثاني مرة، وصعد الناظم حتى بلغ زيارة الشيخ سعيد وزيارة من بدوعن من

عباد الله الصالحين. واجتمع فيها بالشيخ علي باراس، وبغيره من الصلحاء الموجودين في ذلك الحين، رحم الله الجميع، ونفع بهم.

كان إقامة السيد أحمد بقرية بور المباركة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم. ثم أخذ في طلب العلم والمواظبة على العبادة، ولم تكن له رحمه الله صبوة، ولم يزل على السيرة الحسنة المرضية، فاتفق أنه حصل عليه مرض شديد، أشرف منه على الموت، وحصل عليه ضعف واضطراب في العقل، وصدر منه فراق بطلاق بنت عمه علوي، فوقعت وحشة بينه وبين أخيها السيد الجليل عيدروس بن علوي.

وكان له تربية وحسن نظر على السيد أحمد. وفي عصمة السيد عيدروس، كريمة السيد أحمد رقية بنت هاشم، وهي أم أولاده الجميع، فنقلها من بور إلى الغرفة، وتطاولت بينهم الوحشة جدا، وبعد ماحصل على السيد أحمد الصفا، خرج إلى الشعب الذي فيه مشهد جده السيد الشيخ أحمد الحبشي. وأقام به مدة طويلة، هو ووالدته، والمتصلين به. وتزوج بشريفة من أخواله آل السقاف الذين بمريمة، وبنى بالشعب دارا غير الدار التي كانت بالشعب لجده السيد أحمد، ثم لم يزل ذلك الصفا يعاود السيد أحمد في الأحايين إلى أن توفي رحمه الله. ثم بدا له الرجوع إلى قرية بور والإقامة بها، والتردد إلى الشعب المنور في إقامة حضرة جده السيد أحمد الحبشي، ولغير ذلك.

وفي أثناء تلك المدة، سافر لحج بيت الله الحرام، ولزيارة قبر جده الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، وعاد إلى حضرموت، واجتمع في الحرمين الشريفين بجماعات من أهل العلم والصلاح. وكانت له قبل ذلك مكاتبة إلى السيد العارف بالله محمد بن علوي صاحب مكة، وإلى الشيخ القدوة أحمد بن محمد القشاشي المدني. وانتفع بالسيد أحمد جماعة من أهل قرية بور، وغيرهم. وقرأوا عليه في الفقه والتصوف.

وكان في آخر عمره خصوصا يتردد ويختلف إلى القرى القريبة، وأكثر التزويج في تلك الأيام بزواجات كثيرة من الأشراف وغيرهم. وله منهن أولاد كثيرون ، ذكورا وإناثا، بارك الله فيهم، وجعلهم أجمعين من عباده الصالحين المخلصين.

وكان مولده فيما أظن، سنة ثلاث وأربعين، بالشعب المنور، أو ببور. لأن والده السيد هاشم أقام بالشعب بعد وفاة والده السيد أحمد. ثم لما كثر عليه الناس، رجع منها إلى بور، وبها توفي. ونقل بعد موته إلى الشعب، فدفن في قبة أبيه. وقبره بها ظاهر يزار. وكذلك السيد أحمد صاحب الترجمة، إلا أنه دفن حول القبة عند والدته، ولعل ذلك بوصية منه. وكانت وفاته وانتقاله إلى رحمة الله يوم الإثنين، لأربع خلت من ذي الحجة، سنة ألف ومائة وخمس عشرة. وصلي عليه، ودفن يوم الثلاثاء.

ولما بلغت وفاته إلى الناظم، تعب عليه كثيرا لما بينهما من الأخوة والمعاشرة والقرابة. وأحسبه رثاه بأبياته التي أولها:

شرى البرق من نجد فهيج لي شجوي ... فهل من سبيل ماإلى العالم العلوي

إلى الملأ الأعلى إلى القرب واللقا ... إلى طور سيناها إلى الشطر والنحو

فحيًّا الحيا نجدا وحيا ربوعها ... بسحماء تهمي لاتعاجل بالصحو

وسحابة الأذيال من كل نسمة ... معنبرة والليل يزمع أن يقوي

وهتافة ورقاء في عذباتها ... تذكر عهدا كان والغصن لم يذو

فآه على الأحباب بالحي إذ غدوا ... وراحوا ومامنهم على الحي من يلوي

فهل عودة للنازحين إلى الحمى ... ومن وردهم أروى وعن فضلهم أروي

ويحيى بهم ميت الصبابة والجوى ... من القلب والجسم المشبه بالبَوِّ

إذا انسلخت أيامه اللائي قد خلت ... ومرت كمر الوحش ينفر في الدو

بكاها بدمع مُخْضِب لخدوده ... كما تخضب الغبراء من صيب النو

وقد كان ماقد كان ياقلب فاصطبر ... وسلم لرب العرش تعط الذي تنوي

وفيه تعالى مجده وجلاله ... غنى عن جميع الكائنات وماتحوي

ومنهم السيد الشريف، الحسيب المنيف، الخاشع المخبت المنيب، الشهاب المنور النجيب، أحمد بن السيد عيدروس بن الشيخ العارف بالله عبدالله بن علي صاحب الوهط بن علي بن الحسن بن الشيخ الرباني علي بن أبي بكر السقاف باعلوي.

كان السيد أحمد هذا آية في التواضع، وفي طلب العلوم والاستفادة، حتى ممن حقه أن يأخذ عنه ويستفيد منه.

ولد بتريم المحروسة، وبها نشأ وترعرع. وحفظ القرآن، وابتدأ بطلب العلم، فقرأ [بداية الهداية] على السيد الناظم رحمه الله. وكان له به تعلق واتصال من صغره، وكان والده السيد عيدروس من أفاضل السادة وأحسنهم أخلاقا، كريما مطعما للطعام، للخاص والعام. فخرج من اليمن لزيارة تريم، فتزوج بها أم السيد أحمد، وهي من آل باحسن السقاف المعروفين، بآل الفقيش، لكثرة تواضع جدهم.

ثم خرج السيد عيدروس ثانيا إلى تريم، والسيد أحمد في سن البلوغ، أو يزيد، فأخذه في صحبته، وأقام عنده تحت شريف نظره، إلى أن توفي السيد عيدروس، وهو القائم بمنصبهم هناك بمحروس الوهط من لحج أبين، فأقام السيد أحمد بعده أتم قيام، وسلك مسلك أبيه في الإطعام، إلى أن قلت ذات يده. ولحقته ديون بعضها مما أخذه هو، وبعضها مما خلفه والده. وتعسرت على السيد الإقامة هناك، ودخل الحبشة، فأقام بها في محروس أوسة، وبنى مسجدا هناك، وتزوج بالثانية، أخت الإمام.

ثم خرج إلى تريم قاصد التوطن بها. وأقام مدة بالشحر، وحصل له إقبال وجاه عند السلطان علي بن السلطان بدر رحمهم الله. ثم خرج إلى تريم، فتَدَيَّرها. وسافر منها إلى الحرمين الشريفين، وحج البيت الحرام مرارا، وزار الرسول كذلك، وجاور بمكة والمدينة. واجتمع هناك بجماعات من أهل العلم والصلاح، وأخذ عنهم، وهو في ذلك الحين متأهل للأخذ منه.

ثم سافر إلى الهند، فلقي بها السيد الصفي الوفي أحمد بن عمر الهندوان، فأقام عنده، وقرأ عليه. ثم خرج إلى تريم في معاونة السيد أحمد الهندوان بمال لقضاء ماعلى خاله السيد العلامة أبي بكر بن السيد الحسين بافقيه من الدين، فأحسن السيد أحمد، وأجمل فيما تولاه من ذلك.

ودخل الهند مرة أخرى في صحبته محب السادة سعيد، تابع الشيخ حامد. ثم خرج السيد أحمد إلى تريم، وقرأ بها الكتب المفيدة على الناظم، وعلى السيد عبدالله بن أحمد بلفقيه.

وتوفي رحمه الله وهو على الطلب وقراءة العلم، وتحصيل الكتب النافعة. وقد أناف سنه على الخمسين عاما. وبلغت قراءته في [إحياء علوم الدين] على الناظم إلى أثناء كتاب المراقبة. فأشار الناظم على السيد النجيب جعفر الصادق بن الحسين بن شيخ بإتمام الكتاب عليه، فأتمه. وكانت وفاة السيد في أواخر شهر الحجة، من عام ست عشرة ومائة وألف عن مرض خفيف. وذلك بتريم. وقبره بها بين أجداده وأهله.

وخلف أولادا، ذكورا وإناثا، منهم: عيدروس، ودرج قبله، وبنتان بالوهط، أمهما بنت عمه السيد محمد بن السيد عبدالله بن علي، وبتريم محمد، وعبدالله، ورقية، أمهم من آل باحرمي، بارك الله فيهم الجميع، وسلك بهم مسالك الصالحين.

وللناظم قصيدة فيها أبيات في مدح السيد أحمد، وهي جواب على قصيدة نظمها، أعني السيد، وأرسلها، وهو غائب في بعض أسفاره مذكورة في ديوان الناظم، منها:

وخص شهاب الدين منهم بفضله زيادة إحسان وألطاف رأفة
سليل الشيوخ العارفين معادن الـ سرائر والعرفان أهل الولاية
لنا منهم نعم الصلات ومحكم الـ روابط في أحكام علم الطريقة
فعنهم أخذنا واقتبسنا حقائق الـ طريقة عن صدق وصفو مودة
فبالحق فلنأخذ علوم طريقهم يدا بيد حتى مقام النبوة

فيـا أحمـد الحـبر المبارك يـابن من سـما بعلو القـدر بـين البريـة
فعن عيـدروس السر بعـد عفيفـه إلى الشيخ قطب العارفين الأئمـة
عـلى ابن أبي بكـر الإمـام مـلاذنـا وقـدوتنـا في نقـل علم الحقيقـة
بـأبيـاتـك الغـر التي قـد نـظمتهـا تـذكـرت أيـامـا خلت لـلأحبـة
وكم بعثت لي من شجـون فحـركت كـوامن أشـواق بقلبي ومهجتي
فدم في صلاح ناعم البال صالح الـ سـرائر معمـورا الـوجـود بنفحـة
وصـلى إلهي كلما هـبت الـصبـا على المصطفى الهادي وآل وعترة

ومنهم: السيد، الشريف الفاضل، الجامع لأشتات الفضائل، الفقيه الحافظ، علوي بن عبدالله بن محمد باحسن باعلوي. كان هذا السيد المذكور من أهل العلم والفضل، والحرص البليغ، على التفنن في العلوم والنظر، في الكتب المؤلفة فيها، والجد في تحصيلها، سيما كتب الحديث. وخصوصا منها مؤلفات الحافظ عبدالرحمن السيوطي رحمه الله، فإنه حصل الكثير منها.

وكان السيد علوي هذا، قد اتفق له دخوله إلى الهند في إقبال شبابه. دخل إليها وأقام مدة بها، وطلب الحديث، وطالع كتبه، ولعله أدرك هناك أحدا من الحفاظ المتقنين لهذا الشأن. ثم إنه خرج إلى حضرموت، وأقام ببلدة بور، ويتردد بينها وبين تريم، وتزوج بأم أولاده بنت السيد حسن بروم، وبزوجة قبلها من بني عمه.

وكـان يجتمع هـو والفقيه الأجـل، عبدالـرحيم بن محمد بـاكثير، ويتذاكرون ويطالعون الكتب الفقهية وغيرها. وسافر لحج بيت الله الحرام. وزار جده رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأخذ في الحرمين عن علمائها، ثم رجع إلى حضرموت، فأقام بها إلى أن طلب منه السلطان علي بن السلطان بدر أن يسير إلى بندر الشحر ليوليه القضاء بها. وكان السيد علوي كارها لذلك فيما يظهر، ولكنه لم تسعه إلا الإجابة، فأقام بالبندر على القضاء والتدريس بالجامع، وولاية الإمامة والخطابة،فأثنى عليه بالخير وحسن السيرة، فيما تولاه من تلك الوظائف.

وكان يخرج إلى تريم للزيارة والاجتماع بالأهل والأقارب، وبمن بها من العلماء والصالحين. وكان قد قرأ على الناظم صدرا من كتاب العلم من [الإحياء]. وكان إذا وصل من البندر، يتردد عليه، ويستفيد ويفيد. وفي آخر زيارته له إلى تريم، طالت إقامته بها، فقرأ عليه كتاب [الأربعين الأصل] للإمام الغزالي. وكانت مذاكرته حسنة، وله فهم ثاقب في العلوم. ثم إنه رجع إلى الشحر، وأقام بها مدة قريبة.

وتوفي رحمه الله على حالة مرضية، وسيرة سديدة حسنة. وذلك [بياض بالأصل]. وخلف بتريم وبالبندر كثيرا من الأولاد الذكور والإناث، بارك الله فيهم، ووفقهم للاقتداء بأسلافهم.

ومن أولاده الذكور: عبدالرحمن الملقب بجلال، لقبه والده بذلك لمحبته في الجلال الحافظ السيوطي، وهو الآن في البندر، يخطب في الجامع، ويؤم الناس لصلاة الجمعة وغيرها. وقد أخذ من العلم طرفا صالحا على والده (بياض) بالأصل.

ومنهم: السيد الوجيه النجيب، الصالح الناسك، عبدالرحمن بن السيد عمر بن حسين بن السيد فقيه بن الشيخ الوجيه عبدالرحمن بن الشيخ الرباني علي بن أبي بكر باعلوي. كان السيد عبدالرحمن هذا سيدا فاضلا، مقبلا متفرغا للعلم والعبادة، وعمارة الأوقات بذلك، وبغيرها من الأوراد ووظائف الأذكار.

وكان قد توفي والده السيد الصالح، علي بن عمر بن حسين، وعبدالرحمن صغير، في نحو سنتين من عمره، أو يزيد قليل. وكان بين السيد علي وبين الناظم أخوة، وممازجة، واختلاط كلي، وصاهره بعد ذلك بالشريفة الصالحة خديجة بنت عبدالله بن عمر. وكان السيد عبدالرحمن يتردد كثيرا إلى الناظم. وكان له نظر عليه، وملاحظة من صغره، ولم يزل كذلك إلى أن توفاه الله إلى رحمته. فنشأ نُشُوًّا حسنا. وقرأ القرآن، ثم أخذ في طلب العلم. وأكثر أخذه على الناظم، فقرأ عليه

[الإحياء]، حتى ختمه وغيره من الكتب التي هي من شأن أهل البداية وأهل النهاية، وحتى في كتب السير والأدب، ودواوين العرب. وأخذ أيضا على السيد عبدالله بن أحمد بلفقيه وغيره.

ثم إنه تزوج بابنة الناظم مريم، وأولدها محمد فقيه بن عبدالرحمن. وأقام بعد ذلك نحو سنة ونصف في بيت أبيها، ملازما للاشتغال بالعلم والعبادة والأوراد. ثم طلب السفر إلى الحج، فحج أولا حجة الإسلام، ثم سافر إلى المدينة الشريفة لزيارة جده الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى مكة المشرفة، وحج حجة ثانية لوالده أووالدته، واجتمع في الحرمين بكثير من أهل العلم والفضل. وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، لأنه في ذلك الحين أهل بأن يؤخذ عنه العلوم وآلاتها.

ثم إنه خرج من مكة قاصدا إلى بلده وجهته، واجتمع في اليمن بكثير من أهل الخير، فلما بلغ إلى مدينة تعز المحروسة، مرض بها، وتوفي إلى رحمة الله فيها، ودفن باللجينيات، مقابر الأخيار والصالحين.

وكان قد توفي من قبل السيد الشيخ العارف بالله، عمر بن عبدالرحمن باعلوي المعروف بصاحب الحمراء. ودفن بالمقابر المذكورة، رحم الله الجميع. وكانت وفاة السيد عبدالرحمن في شهر ربيع الثاني، أو جمادى الأولى، من سنة أربع عشرة ومائة بعد الألف. ولم تطل حياته، فلم يعش إلا نحوا من ثلاث وثلاثين سنة. وتعب الناس عليه، وأوحشهم فقده.

ولما خرج من الحرمين، خرج بكتب كثيرة في العلوم النافعة، والسير، وعلوم الأدب. وكأنه أهدى إليه البعض من ذلك، وبعضها اتهب. وكان متجردا عن الدنيا، حتى أنه لما وصلت تركته، لم يكن فيها إلا الكتب وهدية قريبة لأهله وأصحابه.

وكان له نظم حسن، وقصائد منورة، امتدح بها الناظم وغيره من

السلف. ولما نظم بعض القصائد، وأرسلها إلى الناظم، وكان قد مدحه فيها، أجابه بأبيات مذكورة في ديوانه، وأولها:

يـاوجيـه الـديـن والكـرم وحـليـف الـعـلم والحـكـم
وسلـيـل الـسـادة الـكُبَـرا سـابـقي العُـرب والـعـجـم
مـن إمـام فـاضـل عـلـم فـإمـام كـامـل عـلـم
أنت نـرجـو بعـدهم خلفـا منهـم مـاض عـلى الـقـدم

. . . . . . إلى آخرها.

ولما بلغت الناظم قصيدته التي أنشأها في الخرقة وإسنادها، بعدما لبسها من الناظم، كتب إليه الأبيات التي أولها:

أحـسـنـت يـاوجيـه ديـن الله يـابن الكـرام الغـر أهـل الله
في نـظمك الإسنـاد لـلإلبـاس مـن أوليـاء الله رب الـنـاس
أهـل الهـدى والحق والتـأيـيـد والعلم واليقـين والـتسـديـد

. . . . . . إلى آخرها. نفع الله بالجميع.

ومنهم: السيد الشريف، الشهاب الثاقب، كثير الفضائل والمناقب، العالم المتفنن، الشيخ المتمكن، أحمد بن عمر بن عقيل الهندوان باعلوي. كان السيد أحمد المذكور شريفا فاضلا، جامعا حافلا، نشأ نشوا حسنا في حجر والده السيد الفقيه عمر بن أحمد، وفي حجر أخواله السادة العلماء، أحمد، وأبي بكر، أولاد السيد الفقيه حسين بافقيه. فقرأ القرآن العظيم على المعلم عبدالله باجمعان، ثم أخذ في طلب العلم، ولزوم الطاعة والعبادة، بفراغ عن الاشتغال، وحسن توجه وإقبال. فقرأ على السيد الوجيه عبدالرحمن بن عبدالله باهرون، وعلى الفقيه الأجل محمد بن أحمد باجبير، وعلى العفيف عبدالله بن أبي بكر الخطيب، وعلى خاله السيد الفقيه أبي بكر بن حسين بافقيه، وعلى السيد الشريف العلامة سهل بن أحمد باحسن، وغيرهم.

قال الناظم رضي الله عنه: وكان بيننا وبين السيد أحمد الخلطة والملازمة، والمجالسة والمؤانسة الدائمة في حال اشتغالنا، على السيد الفقيه عبدالرحمن، وعلى السيد سهل، وعلى الفقيه عبدالله الخطيب، وفي الكثير من الأوقات بزاوية الهجيرة وبغيرها، على المطالعة، والمذاكرة، وجميل المعاشرة.

وكان السيد أحمد رحمه الله تعالى منور القلب، سليم الصدر، لين الجانب، مخفوض الجناح لأهل الدين والصلاح خصوصا. وكان زاهدا في الدنيا، لاتكاد تظهر له رغبة فيها، ولااحتفال بشيء من أمورها وأسبابها. وكنا نغبطه على ذلك، ونعترف له بالتقدم فيما هنالك.

ثم إنها دعت الحاجة الماسة إلى السفر إلى بلاد الهند، فسافر إليها، وأقام بها مدة لقصد إعانة خاله السيد أبي بكر، والقيام ببره، لما تعذر على السيد أبي بكر السفر، بسبب مافي وجهه من الأهل والعيال، فلم يزل السيد أحمد قائما ببره وصلته، وقضاء ديونه، ليس يهمه في الأكثر إلا ذلك.

ثم خرج من الهند إلى تريم، وسافر منها لحج بيت الله الحرام، وزيارة جده، عليه أفضل الصلاة والسلام، واتفق له بعد ذلك دخول إلى الهند مرتين أو ثلاث مرات. وفي بعضها خرج منها إلى مكة المشرفة، فحج، ولم يتفق له زيارة المدينة في تلك السفرة، ولم يزل مواظبا وملازما لتدريس العلم وإفادته، والقيام بالطلبة والمستفيدين ماأمكن. وعلى ملازمة الأوراد، ووظائف العبادات، وعمارة الأوقات، بتلاوة القرآن والاشتغال بالعلوم والأذكار، هذا دأبه وشأنه رحمة الله عليه.

ثم إنه خرج من الهند بعد وفاة خاله أبي بكر سنة مائة، فأقام بتريم على السيرة المرضية الجميلة، والطريقة المستقيمة الحسنة، إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمته ورضوانه. وذلك في أول ليلة الجمعة، لعشرين أو تسعة عشر، من شهر صفر الخير، سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف. وذلك ببلد مشطة، خرج إليها لإيناس بعض ذويه وأرحامه.

وكان موته يشبه الفجأة، من غير مرض ظاهر، وتعب الناس عليه، وانزعجوا لموته جدا، سيما لماكان على ذلك الوجه، ولما كان فيه وبه من النفع والأنس للخاص والعام.

وخلف كثيرا من الأولاد، الذكور والإناث، فالله تعالى يجعل فيهم البركة، والخلف الصالح الميمون، كما جعل ذلك في سلفهم الصالح الماضين. ولما وقف الناظم، عفا الله عنه، على التذكرة الجامعة للكتب التي عند السيد أحمد. وذلك في حين وصوله من أرض الهند المتأخر، ورأى كثرتها وجمعها لفنون العلم من الفقه والتصوف وغيرها، أنشد الأبيات، وأرسل بها إليه، التي أولها:

جزى الله خيرا سيدا وابن سيد	وعلامة من آل طه الأطايب
على جمعه كتبا يعز اجتماعها	لنفع عباد الله من كل طالب

. . . . . . إلى آخرها. ورثاه أيضا بعد وفاته بقصيدة، أولها:

ياصاحبي إن دمعي اليوم منهمل	على الخدود حكاه العارض الهطل
وفي الفؤاد وفي الأحشاء نار أسى	إذا ألم بها التذكار تشتعل

إلى أن قال في آخرها:

مثل الشريف المنيف الهندوان شها	ب الدين والعلم نعم الخاشع الوجل
صافي السريرة براق الأسرة مخـ	ـفوض الجناح لأهل الخير مبتذل
معمر الوقت بالأوراد حافظه	بالعلم والذكر لاعجز ولاكسل
هو الصفي الوفي الأخ من قدم	على الصفا والوفا إن شئتم فسلوا
السيد الفاضل بن السادة الفضلا	الصالحين بهم حي الهدى خضل
آه عليه وآه بعده وعسى	يثبت الله إن السفر مرتحل
فالله يرحمه والله يكرمه	ويرضى عنه وجنات العلى نزل
والله يخلفه بالخير في عقب	مبارك وذوي ود به ثكلوا
والأقربين وأهل القطر أجمعهم	إذ فقد أمثاله خطب له زعل

والحمـد لله لايبقى سـواه ولا يـرجى سواه عليـه الكل متكـل
ثم الصـلاة عـلى الهـادي محمـد المبعوث بالحق مختـوم به الـرسل
والآل والصحب مالاح الصباح وما هب النسيم ومال البان والأثـل

ومنهم السيد الشريف، الشيخ الكبير، والعلم الشهير، القدوة الأستاذ، والكهف الملاذ، أحد السادة القادة الأمجاد، وبقية الأسخياء الأجواد، الفقيه الصوفي المتفنن، نور الدين علي بن عبدالله بن أحمد بن الحسين بن عبدالله بن شيخ بن الشيخ القطب الرباني عبدالله بن أبي بكر العيدروس باعلوي.

كان السيد هذا ممن نشأ من صغره وإقبال شبابه، على طلب العلوم النافعة في الدين، وملازمة الطاعات والعبادات. حفظ القرآن العظيم. ثم جد واجتهد في طلب العلم، فقها وتصوفا. فأخذ عن السيد الفقيه الصالح عبدالرحمن بن عبدالله باهرون، وعن السيد الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن الفقيه، وعن الفقيه الأجل محمد بن أحمد باجبير، وغيرهم.

وكان له حرص بليغ، وصبر على مطالعة الكتب النافعة. وكان لايسأم المطالعة. وكان ملازما لمطالعة كتاب [الجواهر] و[الدرر]، وهو الأربعين الأصل لحجة الأسلام. وكان يحبه، فأقام على ذلك مدة ببلد تريم. وكان له قيام بالليل، وسهر في الخير، وانقباض عن الدنيا، ومباعدة لأسبابها. وكل مايشغل عن ذكر الله تعالى منها. ثم إنه تأهل ببلده، وولد له بها السيد السعيد الميمون عبدالله بن علي، وولد آخر مات صغيرا. ثم إنه عزم على السفر إلى أرض الهند للاجتماع بأخيه السيد الفاضل أحمد بن عبدالله العيدروس، ولرجاء قضاء دين لحقهم إذ ذاك، فسافر إليها وأقام بأرض الدكن منها مدة سنين، واجتمع بأخيه السيد أحمد. وكان السيد أحمد هذا نجيبا فاضلا، قد أخذ العلم بتريم. وكان له نظم حسن رائق، وله عقيدة على منهاج أهل السنة والجماعة. وله

شرح على قصيدة سيدي الشيخ العارف بالله أبي بكر بن عبدالله العيدروس التي أولها: [هات ياحادي فقد آن السلوك].

ثم إن السيد المذكور توفي بالهند، ولم تطل أيام حياته رحمه الله. وله ولد جليل يسمى عمر بن أحمد، ولعمر أولاد من ابنة عمه السيد علي، وهو مقيم بسُورَتْ في خدمة عمه السيد علي، وملازمته.

وأما السيد علي، فكان على نية الخروج من الدكن إلى تريم، فاتفق أن أهل سورت طلبوه إليها ليقوم بمنصب السيد الأكرم الشيخ محمد العيدروس بن عبدالله بن شيخ حين تعذر على أهل تريم السفر إلى سورت، فجاء إليهم على نية أن يخرج إلى تريم، ويكون ذلك أيسر وأسهل، فلم يتفق ذلك، وطلع إلى سورت السيد شيخ بن عبدالله بن شيخ للقيام بالمنصب، فحصلت بينه وبين السيد علي منازعات ومغالبات تعب فيها الجميع، وبعد بعث السيد علي السفر إلى هِنْدُسْتَانْ للاجتماع بالسلطان أورك شاه، فاجتمع به وأجله واحترمه، وطالت مدة إقامة السيد بتلك الديار، ثم عاد إلى سورت، وهو مقيم بها الآن على حالة مرضية، وسيرة مشهورة، من إطعام الفقراء والمساكين، وإيناس الغرباء والمستضعفين، وغير ذلك من الأفعال الحميدة، والأخلاق المرضية، وهو إلى الآن على الاشتياق والاهتمام بالخروج من الهند لحج بيت الله الحرام، ولزيارة جده الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم العود إلى بلده وجهته، والله يفعل مايشاء، ويقضي مايريد.

ومدة إقامة السيد علي بالهند إلى الآن أكثر من خمسين سنة. وكان بينه وبين الناظم عفا الله عنه، مؤاخاة وامتزاج واختلاط واتحاد، أيام إقامته بتريم، وذلك باق إلى الآن في مزيد، جعل الله ذلك فيه وله. ولم تزل بينهم المكاتبة والمراسلة، ولطيف المواصلة.

قال الناظم: وكان عقد الأخوة بيني وبين السيد علي عند قبر سيدنا الفقيه المقدم، وأظنه من ليلة الجمعة، لأني كنت كثيرا أزور أنا وإياه بعد

العشاء من ليلة الجمعة، ثم نرجع إلى الزاوية بالهجيرة، فنطالع الكتب النافعة ليلا طويلا.

وقد يجيء السيد علي في غير ليلة الجمعة لذلك، ويجتمع به كثيرا في بيت لهم بالبلد نهارا، وبمصلى الشيخ عبدالله العيدروس بالسبير في دمون على مطالعة الكتب الفقهية، والأربعين الأصل، وكتب مناقب السادة باعلوي، كالفتوحات القدوسية، ودواوينهم المنظومة، قال الناظم: ولم يتفق لنا عقد الأخوة المعروف إلا بيننا وبين السيد علي كما تقدم، ومعنا سيد آخر، وهو السيد حسن بن عوض باعقيل. واتفق عقد الأخوة بيننا وبين السيد الشيخ الصوفي أحمد بن السيد ناصر بن الشيخ أبي بكر بن سالم ببندر الشحر، عندما وصلنا إليها للسفر منها إلى الحج لبيت الله الحرام، وبيننا وبين السيد القدوة أحمد بن عمر الهندوان، وكنت أحسب أنه على وعد بذلك، حتى أخبرني المحب عمر بن أبي بكر باكتل رحمه الله أنه وقع عقد الأخوة بحضوره، فالحمد لله على ذلك، رحم الله الجميع، وجمع بيننا وبينهم في حضرته ودار كرامته بفضله ورحمته.

وللناظم في مدح أخيه السيد علي بن عبدالله العيدروس أبيات، أولها:

ذكر العَهد والـرُّبا والمنازل	فغدا دمعه على الخد سائل

إلى أن قال:

مثل نجل العفيف شيخ كريم	ابن كريم ماإن له من مماثل
الحبيب القريب حسا ومعنى	الشريف المنيف زين الشمائل
عيدروس الزمان فرد العصر	نور المكان صدر المحافل
بحر علم وطود حلم منيف	وملاذ للضعفا والأرامل
وجواد سمح زكي وفي	أريحي لله داع وعامل
كان فينا حينا وكنا جميعا	في سرور وغبطة وفواضل

فتناءت به المنازل عنا   واجتماع الأرواح باق وحاصل
إن قضى الله ربنا باجتماع   فهو أهل الجميل والكل آمل
عند بيت الإله رب البرايا   وضريح قد ضم ختم الرسائل
أو بأوطاننا وحيث نشأنا   وإقامة أسلافنا والأوائل
فهو المرتجى تعالى علاه   والمجيب لكل داع وسائل
وإذا الاجتماع لم يقض حكما   قبل حين الوفاة في حال عاجل
فعسى في جوار ربنا من جنان   قد أعدت للمتقين الأفاضل
فصلاة الإله تترى وتهدى   لنبي بالحق قاض وعادل
أحمد المصطفى الشفيع مطاع   سيد المرسلين خير الوسائل
وسلام عليه في كل حين   وأوان وبكرة وأصائل
وعلى آله الكرام وصحب   وعلى التابعين أهل الفضائل

فأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[والقصد ذكر نصيحة ووصية   للنفس والإخوان إذ كانوا معي]

[القصد] هو النية والعزم على شيء والتوجه إليه. و[النصيحة] خلوص قصد الخيرات وجمعها. و[الوصية] الأمر بالخير لنفسه وأصحابه، إن كانوا مجتمعين على ماهو عليه. وقوله رضي الله عنه:

[تقوى إله العالمين فإنها   عز وحرز في الدنا والمرجع]

هذا أول النصيحة والوصية المذكور لنفسه وأصحابه، وهي التقوى لإله العالمين. فـ[الإله]، المعبود الحق، الرب الخالق. و[العالمين] ماسواه. [فإنها]، أي التقوى. [عز]، أي شرف عظيم، ومانع منيع، وعِلِّيَة عَلِيَّة. و[حرز] حفيظ وحراسة لصاحبها. [في الدنا]، أي الدنيا. وهي حالة القلب قبل الموت، والآخرة حالة القلب بعد الموت، فهما حالتان للإنسان؛ حالة دنيا، وحالة أخرى، وموطنان أول وآخر، وهما

المرجِع والمرجَع والرجوع إلى الله تعالى بعد الموت. فرجوع أهل التقوى إلى الله تعالى، رجوع إعزاز وحفاظ وكرامة، ورجوع غيرهم من المضيعين لأوامر الله، والمرتكبين لمناهيه، رجوع ذل وخزي ومهانة. قال الله تعالى: [ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم]، أي يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون، لما تحقق عندهم الأمر وانكشف لهم الحال، ورُفع عنهم الغطاء والحجاب البدني النفسي الطبيعي الجهلي، طلبوا الرجوع للعمل الصالح، كلا أنى لهم الرجوع. [أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير].

ومعنى التقوى، امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، الباطنة والظاهرة، والحذر منه، والرغبة فيه، وفيما عنده، والعبودية له والمعرفة. [ولكل درجات مما عملوا]. ومعنى قوله: [إله العالمين]، أي معبودهم الحق، والإلٰهية هي الصفة العظمى للذات المقدسة. ويدخل في معنى الإلٰهية، صفات التنزيه السلبية، وصفات الجلال والجمال والكمال الإثباتية، وأعظم الأسماء الدالة على الذات الموصوفة بالإلٰهية، هو الله، فهو كالعلم على الذات الموصوفة بالإلٰهية المقدسة عن الإحاطة وحقيقة العلم.

ثم رَغَّبَ الناظم رضي الله عنه في التقوى ثانيا، فقال:

[فيها غنى الدارين فاستمسك بها   والزم تنل ماتشتهيه وتدعي]

[فيها] الضمير عائد على التقوى. [غنى الدارين]، الدنيا والآخرة لمن يستمسك بها ويلزمها، فإنه ينال كل ما تشتهيه نفسه، وتلذ عينه، وجميع ماتدعيه، أي تطلبه في الدنيا والآخرة. وإليه الإشارة بقوله تعالى: [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا..... إلى قوله تعالى... ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون].

والاستقامة هي التقوى الكاملة التامة، الخالصة لله. ولايتصور

إخلاص إلا في تقوى، ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام عن الإخلاص، فقال: [أن تقول؛ ربي الله، ثم تستقيم كما أمرت].

وقول الناظم نفع الله به:

[والزهد في الدنيا الدَّني متاعها   دار الوباء فما بها من مرتع]
[تلهي عن الأخرى ولاَتبقى ولا   تصفو بحال فاجتنبها أو دَعِ]

فـ[الزهد في الدنيا] هو ترك الرغبة فيها لاحتقارها، والعلم بكيدها وفنائها. ولأنها تلهي عن الله تعالى، وعن خدمته، وعن العمل للدار الآخرة. ومع ذلك فلاتصفو لصاحبها، فلهذا وصفها سيدنا الناظم بدناءة متاعها، وكثرة وبائها، أي، عدم صحة حالها. و[الوباء] ضد الصحة، [فما بها من مرتع]، أي نوال صحيح. ومما وصفها به في البيت الآخر أنها [تلهي عن الأخرى] أي، الدار الآخرة التي إليها المصير والمنقلب، دار القرار والخلود، والعذاب والنعيم. ومع كونها تلهي عن الآخرة لاتبقى أيضا لمن ألهته، ولاتصفو له بحال من الأحوال، بل سرورها ممزوج بكدرها، وفرحها بترحها، فينبغي اجتنابها وتركها، كما قال رضي الله عنه: [فاجتنبها أو دعِ] أي، ودعها. فـ[أو] هنا بمعنى الواو. وقبحها ووصفها لوصف الله تعالى ورسوله وأوليائه.

والمراد بـ[الدنى] المأمور بالزهد فيه، كل حظ من أعيانها لايصلح للتقرب به إلى الله تعالى، ولا له جدوى عند لقائه، والرجوع إليه سبحانه وتعالى، من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب. [قل أؤنبئكم. . . . . إلى قوله تعالى. . . شهد الله].

فالدنيا كل مايشغل عن الله وعن خدمته وعن الدار الآخرة، فظاهر الدنيا هذه الأصناف المذكورة في قوله تعالى: [من النساء. . . . .] إلى آخره. وباطن الدنيا شهوة النفس في هذه الأمور، وحظها منها، والزهد

رغبة القلب عنها، وتقديم أمور الله تعالى عليها، وتركها له تعالى، ومن أجله سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى: [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا. . . . . إلى آخره]. وقال تعالى: [المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا]. والآيات في ذلك كثيرة جدا، يعرفها من تدبر آيات القرآن، وما يتذكر إلا من ينيب.

وأما الأحاديث النبوية، والآثار عن السلف، فلا تكاد تحصر. قال صلى الله عليه وسلم: [ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس]. وعنه عليه الصلاة والسلام: [والزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن].

وللزهد درجات، فزهد في الحرام والشبهة، وهو من التقوى. وزهد فيما زاد على الحاجة وفيما زاد على القوام والبلغة، وهو المقصود.

وللزهد درجات باعتبار الباعث عليه. وللزهد فوائد أخروية ودنيوية، فمنها أنه صفة الأنبياء والأولياء، وفيه الفراغ للروح والجسد بالطاعة والتلذذ بها، فالراغب في الدنيا ليس له تلذذ بطاعة الله سبحانه وتعالى. ومن فوائد الزهد، قلة مخالطة أهل الدنيا من أهل الغفلة واللهو عن الله، وغير ذلك.

قال بعضهم: الزهد للإنسان في عالم الملك من كونه مسلما يكون في الأكوان، وهو الحجاب الأبعد. وفي عالم الجبروت من كونه مؤمنا يكون زهده في نفسه، وهو الحجاب الأدنى. وفي عالم الملكوت، من كونه محسنا يكون في كل ماسوى الله، وهنا يرتفع الحجاب عند الطائفة الصوفية.

واعلم أن الزهد على التحقيق، هو سهولة الدنيا على القلب، وعلامته إنفاقها لله والدار الآخرة، طوعا لاكرها، وإنما الكراهة في ابتداء الزهد بالتزهد، ومداره على الصبر.

قال سيدنا الناظم نفع الله به:

[وعليك بالصبر فلا تعدل به شيئا وبالشكر الأتم الأوسع]

فـ[الصبر] قطب مدار الإسلام والإيمان، فهو الدين كله، ومعناه حبس النفس وقهرها على التزام مقتضى الشرع، وهو أخو الشكر من وجه، وعينه من وجه. فإن الشكر لايكمل إلا بالصبر، ومن صبر فقد شكر نعمة الله عليه، فإذا تعارض أمر نفسي وديني، وقدمت أمر الدين على أمر النفس، فقد تحققت بمقام الصبر في ذلك الأمر. وقد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه العزيز، وأثنى عليه وعلى أهله، وكرر ذلك كثيرا. وكذلك أطنب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائر أهل الله تعالى.

والصبر يتنوع باعتبار تفاصيله، فصبر عن المعصية والشهوة، وصبر على الطاعة، وصبر في المصيبة، وصبر عن الشكوى، أي إلى الخلق. وأما الشكوى إلى خالقه فهو محمود.

قال الله تعالى عن عبده أيوب عليه السلام: [أني مسني الضر، وأنت أرحم الراحمين]، مع مدحه سبحانه له وثنائه عليه بقوله: [إنا وجدناه صابرا]، فإن الله تعالى ماابتلى عباده إلا ليتضرعوا إليه، ويسألوه رفع البلاء عنهم، والإعانة على ماطلبه منهم لهم، من فعل أو ترك. [واصبر، وما صبرك إلا بالله]. . . [وإن الله مع الصابرين].

ويقال في الصبر: صبر في الله إذا أوذي فيه تعالى. والصبر في الله إذا شهد صبره به سبحانه، لابنفسه. والصبر عن الله أي، أخذا عنه.

وللصبر فوائد وثمرات، وله فضائل في الأخبار والآيات، قال الله تعالى: [إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب]. فليس لثواب الصبر تقدير ولاحساب، وجزاؤه بأحسن مايكون. كما قال تعالى: [ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون]. وأهل الصبر هم الأئمة

الهادون، وقال تعالى: [وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا]. وقد ذكر الله سبحانه الصبر في كتابه، في زائد على سبعين موضعا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الصبر نصف الإيمان]. وقال: [من أعطي حظه من اليقين والصبر لم يبل مافاته من قيام الليل وصيام النهار].

والصبر كنز من كنوز الآخرة، ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن الإيمان، قال: [هو الصبر والسماحة] . . . . . . انتهى.

وقوله: [وبالشكر الأتم الأوسع]، أي عليك به أيضا، فالزمه واتصف وتحل به. والشكر هو المعرفة بأن جميع النعم من الله تعالى وحده لاشريك له فيها، والفرح بإنعامه، والعمل بطاعته. والشكر من مقامات السالكين، كالصبر والزهد، وكلها لاتنتظم إلا من علم وحال وعمل. فالفرح بإنعام الله هو الحال، والعمل بطاعة الله في نعمته هو العمل، والمعرفة بأن النعم كلها من الله هي العلم.

ومن جملة الشكر؛ المعرفة في التقصير عن الشكر. ومن الشكر الاعتذار إلى الله من قلة الشكر. ومن الشكر المعرفة بأن الشكر نعمة من الله وموهبة من فضله. ومن الشكر التواضع والتذلل مع النعمة وفيها. ومن الشكر الحياء من تتابع نعم الله عليه، والمعرفة بعظيم حلمه تعالى، وكثيف ستره. ومن الشكر حسن الأدب بين يدي المنعم، وعدم الاعتراض. ومن الشكر تلقي النعمة بحسن القبول، واستعظام صغيرها عنده، وغير ذلك من الأحوال والمعارف مما يدخل في حد الشكر، لايكاد ينحصر. وقد مضى أن أصل الشكر هو المعرفة بأن كل النعم من الله سبحانه وحده، فلايتصور إلا من مؤمن موحد، عارف بتوحيده تعالى. وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: [إذا عرفت أن النعم مني، رضيت منك بذلك شكرا]. وورد عنه صلى الله عليه وسلم: [من نظر في الدنيا إلى من هو

دونه، ونظر في الدين إلى من هو فوقه، كتبه الله صابرا وشاكرا. ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه، وفي الدين إلى من هو دونه، لم يكتبه الله صابرا ولاشاكرا].

ولعلو رتبة الشكر، قال إبليس: [ولاتجد أكثرهم شاكرين]. وقال تعالى: [وقليل من عبادي الشكور]. وقال سبحانه: [لئن شكرتم لأزيدنكم]. وقال جل وعلا: [مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم]. وقال تعالى: [وسنجزي الشاكرين]. وقال تعالى: [والله شكور حليم].

فالشكر من أوصافه وأخلاقه تعالى. ذكر ذلك حجة الإسلام في كتاب الشكر من [الإحياء].

واعلم أن الأصل في الشكر الفرح، وفي الصبر الكراهة والغم، لكن قد يجتمعان من أجل أنه مامن بلية يصبر عليها إلا وفيها نعمة، بل نعم يشكر عليها.

قال أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ماابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى فيها أربع نعم. إذا لم تكن في ديني، وإذ لم تكن أعظم منه، وإذ لم يكن أحرم الرضا فيه، وإذ أرجو الثواب عليه، انتهى........

ومن ذلك تعجيل المصيبة في الدنيا، فإن تعجيل العقوبة نعمة، إذ سلم من تبعتها في الآخرة، ولأنها تحقق عدم محبة البقاء في الدنيا والتمتع بها، وتقلل طمأنينة القلب إليها، فهي تأديب من الله تعالى للعبد، فيجب الشكر على ماذكر من هذه النعمة التي تشتمل عليها المصائب، فإنها نعم باطنة في بلايا ظاهرة. وبذلك فسر بعض العلماء قوله تعالى: [وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة]، جعل البلايا الظاهرة نعما لمافيها من الثواب والتأديب وغير ذلك، كما ذكرناه عن عمر رضي الله عنه. فقد اجتمع الشكر الذي هو الفرح والصبر على الألم، وهكذا جميع البلايا الدنيوية،

يجتمع فيها الصبر والشكر، فهي أدوية للقلوب كأدوية الأجساد، مثل الحجامة، فإن فيها صبرا على مافيها من الأذى، وشكرا للطبيب على مايرجو فيها من العافية، لكن النعمة خير من الأذى، ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من بلاء الدنيا والأخرة، وسأل الله العافية منهما.

وورد عنه صلى الله عليه وسلم: [سلوا الله العافية، فما أعطي عبد أفضل من العافية إلا اليقين] . . . . . ، انتهى. واليقين عافية القلب من الجهل. وفي دعائه عليه السلام: [وعافيتك أحب إلي . . . .]. والله قادر على تمام النعمة في الدنيا وثواب الأخرة، فنسأله بفضله تمام النعم ودوامها، باطنا وظاهرا في جميع الأمور. وفي التفضيل بينهما، أي الشكر والصبر بالمعجمة، تفصيل بالمهملة، لايعرف إلا بمعرفة تامة. حرر ذلك حجة الإسلام، وأشار إلى السر فيه شيخنا الناظم في الفصول.

وأما قوله رضي الله عنه:

[والخوف لله العظيم وبالرجا   فكلاهما مثل الدواء الأنفع]

فـ[الخوف] توجع القلب وتألمه لانتظار مكروه مستقبل. و[الرجاء] ارتياح القلب وسروره لانتظار محبوب مستقبل، وكلا الخوف والرجاء مثل الدواء، فهما دواءان للقلب من مرض الأمن من مكر الله، واليأس من رحمته. [فلايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] . . . [ولاييأس من رحمته إلا القوم الخاسرون].

ومعنى الأمن، أن لايجوز أن الله يعذبه، ومعنى اليأس، أن لايجوز أن الله يرحمه. وذلك جهل بالله، وهو مرض معطب، ودواؤه الخوف والرجاء، لأن التجويز يصحبهما، فلايقطع على الله بأمر، فإن الله شديد العقاب، والله غفور رحيم. [غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لاإله إلا هو إليه المصير]. فإذا استشعر القلب شدة عقابه تعالى، تألم وتوجع، وإذا استشعر رحمته وغفرانه ارتاح مع بقاء

علمه بشدة عقابه. فالخوف والرجاء كالجناحين للطائر، فالرجاء قائد إلى كل خير، والخوف سوط مانع من كل ضير، وهما من جملة مقامات السالكين، وأحوال الطالبين، لله رب العالمين. فمن ثبت في الاتصاف بهما، كان له مقامان، لأن الوصف إذا ثبت وأقام، كان مقاما لصاحبه، وإن لم يثبت فيه فهو حال، وكل صفة للقلب على هذا السبيل إذا ثبت فيه، فهي مقام، وإذالم يثبت، فهي حال.

والخوف والرجاء من أوصاف القلب وأحواله، والحال لايكون إلا عن علم سابق، ولايتم إلا بعمل لاحق [فمن كان يرجو لقاء ربه، فليعمل عملا صالحا، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا].

فعلامة الرجاء، طول المجاهدة بالأعمال الصالحات، والمواظبة على الخيرات. ومن علامة صدقه التلذذ بدوام الإقبال على الله، والتنعم بمناجاته، والتملق له تعالى. فاعتبر ذلك فيمن يرجو ملكا سخيا كبيرا من ملوك الدنيا، وقس بالرجاء الخوف، فإنه قسيمه لاضده، فإنما ضد الرجاء القنوط واليأس، وضد الخوف الأمن من مكر الله، ومن خاف من شيء، هرب منه. ومن خاف الله، هرب إليه.

وعلامة الخوف ترك المعاصي والشهوات، أو تكدر اللذات، وكف الجوارح عن السيئات، وتقييدها بالطاعات. وسبب الخوف العلم بالله وبصفاته. قال الله تعالى: [إنما يخشى الله من عباده العلماء].

ومن أسباب الخوف معرفة عيوب النفس، وتفريطها في جنب الله من أوامره ونواهيه، فليس للخائف شغل إلا المراقبة والمجاهدة والضِّنَّة بالأنفاس أن تقع في غير رضى الله، خوفا من عقابه وسطواته. وأقل درجات الخوف أن يمنع النفس عن المحظورات، فيكون ورعا، فإن الورع ترك المحظورات.

ويدخل في الورع العفة، فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات. والتقوى اسم للكف عن المحظورات والشبهة، ويشمر ذلك

كله الخوف الذي هو حالة للقلب، سببها العلم. فالخوف سوط الله يسوق به عباده إلى خدمته والتأدب له، لينالوا درجة القرب منه سبحانه. وأعلى الخوف خوف الله لصفاته، فإنه يبقى حالا للمتصف، وإن كان في حالة الصديقين. وثمرة الخوف في الآخرة رضى الله عنه، والرضى في جنات عدن. [رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه]. . . . [ولمن خاف مقام ربه جنتان. ذواتا أفنان].

فإن قلت: ماالأفضل من الخوف والرجاء؟ فالجواب ماأشار إليه شيخنا الناظم: [كلاهما مثل الدواء الأنفع]. والدواء إنما هو بحسب الداء، فمن غلب على قلبه داء الأمن من مكر الله، والاغترار به، والجراءة على معاصيه، فالخوف له أفضل. ومن غلب على قلبه اليأس والقنوط من رحمة الله، والفترة عن طاعته، فالرجاء له أفضل. ومن عرف ذلك، عرف أن الخوف أفضل مطلقا، لأن الغالب على الخلق الاغترار، والجراءة على الله، وإيثار العاجلة، وقلة الرغبة في الآخرة. [إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا].

فأما من رسخ قدمه في التقوى، فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، فلو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: هل تعرف شيئا في من آثار النفاق؟ وغالب مستند الرجاء في غالب الناس، إنما هو قلة المعرفة وشدة الغرور. وإنما أثنى الله تعالى على من يدعوه رغبا ورهبا، وخوفا وطمعا، قال تعالى: [يدعون ربهم خوفا وطمعا]. . . . [ويدعوننا رغبا ورهبا]، لكن عند الموت غلبة الرجاء أفضل وأصلح، لأنه أغلب للمحبة.

قال صلى الله عليه وسلم: [لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه]. قال سليمان التيمي لابنه: حدثني بالرخص، واذكر لي الرجاء،

وذلك عند موته. وكذلك فعل الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الثوري. إذالموت على محبة الله غاية السعادة.

فمن آيات الخوف، قوله تعالى: [وقدمنا إلى ماعملوا من عمل، فجعلناه هباء منثورا]. وقوله تعالى: [وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا، ثم اهتدى].

فشَرَطَ للمغفرة أربعة شروط، قل من يقوم بها، وهي التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، والإهتداء. ومثل ذلك: [والعصر إن الإنسان لفي خسر. . . . .] إلى آخر السورة. استثنى من الخسر، من آمن وعمل صالحا، وتواصى بالحق وبالصبر. والقرآن غالبه مخاوف لمن تدبره.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يسقط من الخوف، إذا سمع آية من القرآن، مغشيا عليه، يعاد بعد ذلك أياما. وكان في وجهه خطان أسودان من الدموع. وكان يقول من الخوف: ليت أمي لم تلدني.

وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه لطائر رآه: ليتني مثلك ياطائر، ولم أخلق بشرا.

ومارؤي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضاحكا آخر عمره حتى قتل.

وقد غشي على بعض العلماء عند سماع قوله تعالى: [هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق. . . . الآية]. وعلى آخر عند قوله تعالى: [يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا. ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا. . . . الآية]. ثم مات عند إعادتها ثانيا. وعلى بعضهم عند قوله: [ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم]. وقيل عند قوله: [ولو ترى إذ وقفوا على ربهم]. وعلى بعضهم عند قوله: [يوم تقلب وجوههم في النار يقولون. . . . الآية]. ثم قرىء عليه: [كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها]، فمات. ومات آخر بسماع قوله تعالى: [فإذا نقر في الناقور].

وبعضهم صعق عند سماع قوله تعالى: [ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد]. وآخر عند [إذ الأغلال في أعناقهم.... الآية]..... إلى آخره.

وقد ذكرنا شيئا من أحوال الصالحين في الخوف وغيره، في أول هذا الشرح عند ذكر الناظم لهم: واعلم أن الخوف لا يحصل إلا لمن يأمل شيئا ويرجوه، فيخاف على فوته وفراقه. فمن أيس، لم يخف. فما خاف الأولياء إلا بسبب شدة رجائهم في الله تعالى، وفيما عنده. فالرجاء ملازم الخوف، ولكن قد يغلب أحدهما. ولهذا استجلب بعضهم الرجاء عند موته، ومن ذلك عرف أن الخوف دواء وسوط يراد منه نحو مايراد من الدواء والسوط. فإن جاوز ذلك، فهو مرض يجب علاجه. فلو كان محمودا لذاته، لما عولج بأسباب الرجاء. وإن ضعف الخوف، حتى لم يؤثر في العمل، فوجوده كعدمه. وما بين ذلك درجات فأقصاها يثمر درجة الصديقين، بحيث لايبقى عند المتصف به لغير الله سبحانه متسع في قلبه مع بقاء العقل والصحة، وإلا نقص باعتبار ووجه.

فالصديقية أعلى المقامات. فمن اتصف بها، فقد اتصف بسائر المقامات من التقوى، والورع، والعفة، وغيرها. فإذا ذكر الأخص دخل فيه الأعم، فإذا قلت: سيد حسيني، علم أنه علوي وهاشمي وقرشي وعربي، لأنه أخص مماقبله. فالصديق فعيل من الصدق، وفعيل صفة مبالغة من صادق، الذي هو فاعل من الصدق، فالصديق من اتصف بأعلى الصدق في المقامات كلها، وهو مقام القربة من النبوة والرسالة.

وأول مقامات الدين ومنازله بعد الإيمان واليقين، مقام الخوف والرجاء، ثم الصبر والمجاهدة في رضا الله، فالتجريد لذكره وشكره والفكر في المعرفة به تعالى. ثم الأنس، والمحبة، والرضا، والتوكل، والثقة به. [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا]. فليس بعد المجاهدة إلا الهداية إلى المعرفة، ولابعد المعرفة إلا الأنس والمحبة. ويلزم من المحبة

الرضا بفعل المحبوب، والثقة بعنايته وهو التوكل. ومن عرف أحدا بالعلم والحلم، والكرم والجود، والقدرة والعز، والرحمة والملك، والعطايا الجزيلة، والصفات والأفعال الجميلة الجليلة، أحبه لامحالة، ووثق بعنايته، ورضي بفعله، واغتنم قربه وخدمته، والتجأ إلى جنابه، وترك ماسواه ممالايقرب إليه، ولايزلف لديه. جعلنا الله من أهله، وتولانا بما تولى عباده الصالحين له به فيه منه إليه، آمين يارب العالمين، في خير وعافية.

وقول سيدنا الناظم رضي الله عنه:

[والصدق والإخلاص لله احتفظ   بهما فإنهما عماد المشرع]

[المشرع] هو الطريق، والمراد، طريق الله وسبيل مرضاته، ومهيع شريعته، ومنهاج أوليائه، ومسلك أصفيائه. وعماد الشيء مابه قوامه. فالصدق والإخلاص عمادا الطريق. فليحتفظ بهما سالكها. فـ[العماد]، العماد في سبيل الهدى، والرشاد والقرب من رب العباد. فـ[الصدق] يستعمل في ستة معان: صدق القول، وصدق النية، وصدق الإرادة، وصدق العزم، وصدق الوفاء بالعزم، وصدق العمل، وصدق التحقيق في جميع مقامات الدين، وهو أعزها وأعلاها، كالصدق في التقوى، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والزهد، والتوكل، والمحبة، والرضا، والتعظيم، والحياء، والهيبة، وغيرها. فإذا تمت حقيقة المقام سمي صاحبه صادقا. يقال مثلا: فلان صادق في إخلاصه وفي خوفه. قال الله تعالى: [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله. . . . . إلى قوله . . . أولئك هم الصادقون]. فهذا هو الصدق في الإيمان، ومثله: [أولئك الذين صدقوا].

ولكل مؤمن حظه من الصدق، بقدر إيمانه، وبحسب حاله في مقامه الذي هو فيه. ودرجات الصدق لانهاية لها. ومن كان صادقا في جميع الأمور، فهو الصديق.

قال أبوبكر الوراق رحمه الله تعالى: الصدق ثلاثة: صدق التوحيد، وصدق الطاعة، وصدق المعرفة. فصدق التوحيد لعامة المؤمنين، وصدق الطاعة لأهل العلم والورع، وصدق المعرفة لأهل الولاية، أوتاد الأرض.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أربع من كن فيه، فقد ربح. الصدق، والحياء، والشكر، وحسن الخلق.

ويكفي في فضيلة الصدق، أن الصديق مشتق منه، كما مرت الإشارة إليه، في ذكر الخوف في البيت قبل هذا. وبالصدق وصف الله أنبياءه، كقوله تعالى: [إنه كان صديقا نبيا]. وقال الله تعالى: [رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا]. وفي التوراة، لادليل أنصح من الصدق. وقيل لسهل رحمه الله تعالى: ماأصل هذا الأمر الذي نحن فيه. فقال: الصدق والسخاء والشجاعة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال، فقال: [قول الحق، والعمل بالصدق].

وقد وقع الإجماع على ثلاث خصال إذا صحت: أن فيها النجاة، ولايتم بعضها إلا ببعض، وهي الإسلام الخالي عن البدعة والهوى، والصدق في الأعمال لله تعالى، وطيب المطعم.

والمشهور من أنواع الصدق، صدق اللسان في الإخبار ونحوه. وكماله أن يترك حتى المعاريض إلا لضرورة. وأن يراعي الصدق في جميع ألفاظه، خصوصا عند مناجاة الرب تبارك وتعالى. فلايقول: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، إلا وهو متوجه بقلبه إلى ربه، ونحو ذلك.

وأما صدق الإرادة والنية، فهو معنى الإخلاص، وسنتكلم عليه.

وأما صدق العزم، فهو تمامه وقوته. والصادق الحقيقي هو الذي يصادف

عزيمة في الخيرات كلها، قوية تامة، ليست مترددة ولاضعيفة. وقد تسخو النفس بالعزم، فإذا حقت الحقائق لم تَفِ به، فالوفاء بالعزم صدق آخر. والعزم عهد. كما قال الله تعالى: [ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله. . .] إلى آخر الآية.

ولايتحقق الصدق إلا باستواء السريرة والعلانية، فمن خالفت سريرته علانيته بقصد منه، فهو مراءٍ. وإن كان بغير قصد، فهو كاذب. ومن دعائه صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي، واجعل علانيتي صالحة.

وأما الإخلاص، فهو إرادة التقرب إلى الله من غير قصد آخر، يصحبها من حظوظ النفس، قل ذلك الحظ أو كثر. فإذا طرق العمل أدنى حظ مما تستريح به النفس، زال الإخلاص، وإن كان قصدها التقرب إلى الله تعالى باقيا لعدم خلوصه لله. فالإخلاص عزيز جدا، فالعمل الخالص هو الذي لاباعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى. وهذا لايكاد يتصور إلا ممن غلب على قلبه هم الآخرة، واستغرقه حب الله، وحفه توفيقه. ولهذا قضى بعضهم صلاة ثلاثين سنة، لانتباهه بسروره بنظر الناس إليه في الصف الأول لما تخلف عنه يوما، فكيف بمن هو ملآن القلب بلذة ثناء الناس عليه والفرح بالاستتباع. فالله يجعلنا جميعا من عباده المخلصين.

قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته خالصة. وقال: ليس للنفس في الإخلاص نصيب. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: الإخلاص صدق النية مع الله تعالى. وقال الجنيد رحمه الله تعالى: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات. وكلهم متفقون على معنى واحد، وهو الاستقامة، كما أمرك ربك على عبادته وتوحيده، وقطع كل ماسواه من نفس وهوى وخلق. ولكن إذا غلب على القلب قصد التقرب، ولو مع قصد آخر، فالرجاء أن

لايبطل العمل بالكلية، لقوله تعالى: [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره]. ولقوله تعالى: [إن الحسنات يذهبن السيئات].

وقصد التقرب إلى الله من الحسنات الثقيلة الوزن، فإذا كانت هي الباعث الأقوى، فالرجاء في الله أن لايضيع. فلاينبغي ترك العمل عند خوف عدم الإخلاص، فإن ذلك مراد الشيطان. وترك العمل يأس وقنوط، وهو جهل بالله وخسران. ومن ترك العمل فقد ترك الإخلاص مع العمل. وكل ماقطع عن العمل فليس بمحمود، وحسنات الأبرار سيئات المقربين. قال بعضهم: في إخلاص ساعة نجاة الأبد.

وورد عن الله: الإخلاص سر من أسراري، أستودعه قلب من أحببته من عبادي. فيلجأ العبد إلى ربه ليوفقه، وأن يعبده مخلصا له الدين، ألا لله الدين الخالص، فلارب سواه، ولامعبود إلا إياه، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، إياه نعبد وإياه نستعين، فنتضرع إليه أن يهدينا الصراط المستقيم، فادعوا الله مخلصين له الدين، والحمد لله رب العالمين.

وقوله رضي الله عنه:

[والتوبة الخلصاء أول خطوة للسالكين إلى الحماء الأمنع]

[الحمى]، مايحمي عنه الأغيار. و[الأمنع]، الممنوع من غير أهله، العزيز المنال. والمراد بذلك، القرب من الله. و[التوبة] هي الرجوع من طريق البعد إلى طريق القرب. وطريق البعد هي المعاصي والذنوب وغيرها مما لايقرب إلى الله، ولايزلف لديه. فمن رجع إلى الله، وسلك طريق القرب منه، مخلصا في رجوعه، فهو التائب. ولاتتصور التوبة إلا بعد علم وإيمان ويقين، فإن الذنوب هي المبعدة عن الله، الضارة في الدنيا والآخرة، ثم الندم على مامضى، والتلافي له، والترك لما هو ملابسه في الحال الراهنة، والعزم على ترك الذنب في الحالة الآتية، لإيجابها البعد عن الله، والطرد عن بابه، وهذا هو الحقيقة في التوبة والحد

الضابط لها. ولهذا وصفها الناظم نفع الله به بـ[الخلصاء] فعلاء من الخلوص عن الشوائب والمكدرات. وما كل توبة خلصاء، وأنها أول خطوة للسالكين طريق الله وسبيل معرفته تعالى في ذاته وصفاته العلى، وأسمائه الحسنى، ونعوته العظمى. وإليه أشار الناظم بـ[الحماء الأمنع].

فالتوبة أول أسباب محبة الله، ومعرفة جماله وحاله، أي على قدر العبد مما يطلق عليه معرفة، فإنه لايعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولايسلك طريقه وسبيل رضاه إلا أهل محبته، فانه يحب التوابين، وما كل حوض مورود. ولهذا قال: [الحماء الأمنع].

والخلصاء هي التوبة النصوح. قال الله تعالى: [يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئآتكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. . . . الآية].

فالتوبة النصوح، الخالصة من الشوائب المفسدة لها، والمكدرة صفوها. قال تعالى: [إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين]. التواب، الرجاع. والتوابون أبلغ في وضع اللغة من التائبين. فالتواب هو من كثر منه الرجوع إلى الله تعالى، والرجوع إلى الناس بالعفو عند أذاهم له. وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم: [إن الله يحب كل مفتن تواب]، أي الرجاع عند الامتحان، وهو الفتنة بالعفو إذا امتحن، طالبا لما عند الله. وهذا التفسير لهذا الحديث حسن. وإن كان غريبا.

فالتوبة النصوح، أن يتوب ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ولايحدث نفسه بالعود إلى الذنوب، ويتدارك مافرط في عمره، ودونه من تحدثه نفسه بالذنوب، لكنه قادر على قهرها عنها، ودونه من قد يقع في بعض الصغائر، لاعن تجريد قصد، وسبق عزم عليها، ثم ينزع عنها، ويلوم نفسه عليها، ويصدق ندمه عليها. وهذا قريب من معنى اللمم المعفو عنه. قال تعالى: [الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم، إن ربك واسع المغفرة].

ويقرب في معنى الحديث السابق ذكره، فيما رواه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا: [خياركم كل مفتتن تواب]. ويؤيده ماورد: [لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة....] الحديث. لكن أقل شؤم الغفلة والذنب حرمان لذيذ المناجاة، والاثبات في ديوان العصاة، ومن أعطاه الله قلبا حسن الإصغاء، واستشعر الخوف والتقوى، وارتقى وارتجى منه، وصدق بالحسنى، فييسره سبحانه لليسرى.

فالتوبة أول خطوة للسالكين، وهي رأس مال الفائزين، ومفتاح استقامة المائلين. وأصل الاجتباء والاصطفاء للأولياء المقربين، قال تعالى: [ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى]... [ثم تاب عليهم ليتوبوا]... [وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا، فقل سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة، ثم تاب من بعده وأصلح، فأنه غفور رحيم].... [ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون].... [إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة، ثم يتوبون من قريب].

واعلم أن التوبة، وإن كانت أول قدم للسائرين إلى الله في سبيل مرضاته، فإن غالب المقامات تدخل في معنى التوبة الصحيحة. فالصبر داخل فيها، والمجاهدة داخلة فيها. ومن تاب، فقد شكر، وخاف ورجا ورغب، وهي عين التقوى والحذر. ولامعنى للتوبة إلا بالإخلاص والصدق فيها. ومن عرف المعاني لم يتعثر في ألفاظ البواني، ومن فهم الإشارة، لم تعوزه العبارة، وإذا عرف الإصطلاح، فلامشاحة في الألفاظ. والأصل هو المعنى، واللفظ تابع، فالمعنى روح اللفظ، واللفظ من صور المعنى، فمن عرف المعنى في نفسه، عبر عنه بما أراد من الألفاظ الموصلة إلى الأفهام، فاعتبر هذا في سائر الألفاظ والعبارات لتهتدي في ظلمات الألفاظ والعبارات بنور المعاني والإشارات.

فأما قول شيخنا الناظم نفع الله به:

[وبمر مايقضي الإله وحلوه   كن راضيا ومن التوكل فاكرع]

الرضا بالقضاء فرض واجب، سواء كان مرا أو حلوا. والإيمان به من جملة الإيمان، وداخل في حدوده، ومن لم يرض بقضاء الله ويصبر على بلائه، فليتخذ ربا سواه، كما في الحديث المروي عن الله تعالى. وقوله: فليتخذ ربا سواه، أي معناه؛ إن لم يرض بقضاء الله، فكأنه لم يرض به ربا، فالخلق عبيدالله وأفعاله ومجاري أفعاله ومحل قدره.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى، أنه قال: [قدرت المقادير، ودبرت التدابير، وأحكمت الصنع، فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني. ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني]. ففي هذا الحديث الشريف، أن الرضا هو عدم السخط. وفيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن الله عز وجل، جعل الروح والفرج في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذروة الإيمان الصبر للحكم، والرضا بالقضاء. وقال الفضيل رحمه الله: إذا استوى عند العبد المنع والعطاء، فقد رضي عن الله تعالى. وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني: لاتشك إلى أحد مانزل بك كائنا ماكان، فلاتتهمن الرب عز وجل فيما فعل بك، بل أظهر الشكر. وكذلك إظهار الشكر من غير نعمة عندك في ظنك خيرا، خير من الصادق في أخبارك عند ظنك عدم النعمة. فكم من نعمة عندك، وأنت لاتعرفها؟ قال الله تعالى: [وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها]. فلاتطلع أحدا على ماأنت عليه، بل يكون أنسك بالله، وأنسك إليه، وشكواك إليه، فليس لأحد معه من الأمر شيء. وجميع الأشياء خلقه، وبيده وبأمره، كل يجري إلى أجل مسمى، كل شيء عنده بمقدار. واحذر الشكوى منه، ولو قُطِّعْتَ، وقرض من لحمك. فالبلاء كله من الشكوى، ممن هو أرحم الراحمين، اللطيف بعباده، وليس بظلام

للعبيد. قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها]. وقال تعالى: [كتب عليكم القتال وهو كره لكم... الآية]. انتهى بتصرف فيه.

وقال سهل رحمه الله: حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا، والرضا مقام عظيم من مقامات الدين، ولاتخرج عنه كراهة المعاصي والذنوب، لأن المقضي غير القضاء. فالمعاصي لايجوز الرضا بها، لأنها من المقضي، والرضا بها واجب، لأنها من رضا الله، والرضا بالقضاء واجب، وإن خالف الهوى، وهو مقصود من أهله. وهو مقام أو حال تثمره المحبة لله، فكل مايفعله المحبوب محبوب، وهذا عجز بيت وصدره.

أهواه وصلا وإن أبدى تلونه   فكل مايفعل المحبوب محبوب

ولا ينافي الرضا الدعاء والتضرع، لأنه مأمور به. وكذا سائر المأمورات الشرعية، لأن التزامها والقيام بها، مما أمر به ورضيه. وكذلك مباشرة الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، سنة الله التي قد خلت في عباده لاينافي الرضا، كما لاينافي التوكل، لأنهما، أعني التوكل والرضا متصلان متلاصقان، ولهذا قرنهما الناظم متع الله به في بيت واحد، فقال: [ومن التوكل فاكرع]، لأن التوكل هو الثقة بالله، وكون الأمر إليه، والرضا به، وكيلا، فقد اجتمعا.

فالتوكل هو الرضا بالله وكيلا، وتسليم التدبير في مملكته له تعالى. فقد دبر الله سبحانه وتعالى السموات والأرض، ومن فيهن، وأنت من جملة ذلك، فكيف لايدبرك، فقد أحسن كل شيء خلقه. [مالكم من دونه من ولي ولاشفيع]... [وكفى بالله وكيلا]... [مامن دآبة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم].... [وإن يمسسك الله بضر فلاكاشف له إلا هو، وإن يردك بخير، فلا راد لفضله، يصيب به من يشاء من عباده].

وتأمل في آيات الكفاية السبع، فإنها مشتملة على حقيقة التوكل والرضا، وهي هذه الآيات: [وإن يمسسك الله بضر....] إلى آخرها. [وقل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا، هو مولانا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون].... [وما من دآبة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين].... [إني توكلت على الله ربي وربكم، مامن دآبة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم]... [وكأين من دآبة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم، وهو السميع العليم].... [مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم].... [ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون]. وقد ورد عن علي بن أبي طالب وأبي مرفوعا، أنه من قرأها، لو سقطت السماء على الأرض لم يضره شيء.

واعلم أن التوكل منزل من منازل الدين، ومقام من مقامات الموقنين. ومعناه اعتماد القلب على الله وحده، وتبريه من حول نفسه وقوتها، وتعلقه بالله في كل حال، مع القيام بالخدمة، والأدب لله، والعمل بموجب سنته، في عباده على وجه الشرع والحكمة، والاتباع للسنة المحمدية. فالتوكل مقام شريف، لايصح إلا من زاهد في الدنيا، موقن بتوحيد الله وقدرته، وسعة علمه، ولطفه ورحمته.

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري رحمهما الله: لي من كل مقام نصيب، إلا من هذا التوكل، فإني ماشممت منه رائحة. هذا مع رسوخ قدمه في مقامات الدين. وقال وهيب بن الورد رحمه الله تعالى: لو كانت السماء نحاسا، والأرض رصاصا، واهتممت برزقي، لظننت

أني مشرك . قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : وددت أن أهل البصرة كلهم عيالي، وأن كل حبة بدينار.

واعلم أن التوكل مقام معروف عند أهله، لكن فيه درجات على قدر قوة الإيمان واليقين، وقوة القلب وعدم ضعفه الطبيعي. فتأمل قوله تعالى: [وفي السماء رزقكم وما توعدون]. . . . [فورب السماء والأرض، إنه لحق مثل ماأنكم تنطقون]. بين الله تعالى، أن أسباب الرزق في السماء، وإن كان ظهوره في الأرض. ومن الذي يطلع على أسرار السماء، فأسباب الرزق الخفية أعظم من الظاهرة، ومداخله لاتحصى، وليس إليها يهتدى. [ومن يتق الله، يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لايحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا].

فالتوكل متصل بالزهد، وهو المصحح للزهد، والمكمل له. وهو أيضا متصل بالرضا ، لأن حقيقة حال التوكل، الرضا بقضاء الله وتدبيره. ويتحقق ذلك عند تقطع الأسباب. فمن وجد قلبه عند تقطعها راضيا بحكم الله، حسن الظن بربه، فرحا بتدبيره، فقد صح مقامه في التوكل، وظهر صدقه فيه. وإن تألم عند ذلك قلبه، لم يكن من أهله، لأن الزاهد الحقيقي هو الذي لايتأسف على مافات من الدنيا، ولايفرح بما يأتي منها، فكيف بالمتوكل. فإن لم يظهر الشكوى، ولم يكثر السعي في الطلب، مع تألم قلبه، فهو في مقام الصبر، وهو دون الرضا. وإن أظهر الشكوى، واستقصى بإظهاره، مع تألم قلبه في الطلب، خرج عن مقام الصبر.

فالمتوكل الحقيقي، حاله حال المريض، بين يدي الطبيب الحكيم العالم الشفيق، فهو واثق بالله، وحسن الظن به في جميع أحواله، راضيا بتدبيره. ولهذا قال عمر رضي الله عنه: لاأبالي أصبحت غنيا أو فقيرا، فإني لاأدري أيهما خير لي. فهذا توكل ورضا، فلم يفرح إلا بفعل الله،

من حيث إنه فعل الله. فإن استشعر من هذا حاله كون الفعل المذكور نعمة الله، ولم يتألم قلبه، بل فرح بفضل الله وبرحمته، فهو حقيقة الشكر.

فمقامات الدين، متداخلة متباينة، ومتصلة غير منفصلة، فنسأل الله من فضله، أن يلحقنا بأهلها، السائرين إليها ذوقا وحالا، ومنزلة واتصافا، ولايؤاخذنا بما وصفت اللسان، كما علمنا البيان، إنه كريم جواد منان، فمن آمن بشيء كان له نصيب منه، وإن لم يتصف به، كما قال الجنيد: التصديق بعلمنا هذا ولاية.

وعلوم التوكل وأحواله بحار متلاطمة، كيف وأصله علم التوحيد، الذي قد طاح فيه كم من جهبذ فريد. ولعل سيدنا الناظم، إلى ذلك يشير بقوله: [ومن التوكل فاكرع]، حيث عبر بمن، التي من معانيها اللغوية التبعيض، ومن معانيها ابتداء الغاية أيضا. [ومن يتوكل على الله، فإن الله عزيز حكيم]. . . . [ومن يتوكل على الله فهو حسبه]. . . . [إن الله يحب المتوكلين].

وقد تبين أن التوكل اعتماد القلب على الله، مع عدم الاضطراب، عند فقد الأسباب الموضوعة في الكون. فمن علم أن الله هو الخالق للأشياء، والعالم بما يصلح منها، ومافيه السعادة، وعلم جهل نفسه، وسوء تصرفها، توكل لامحالة على الله. فكيف، وقد أمر سبحانه بذلك، فقال: [لاإله إلا هو، فاتخذه وكيلا].

ففيه أن الوكالة لاتنبغي، إلا لمن هو إله، لأنه العالم بالمصالح، والخالق الرحيم. [ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير].

وليس التوكل، إلا أن تجعل زمام أمورك، بيد ربك. وليس الأمر في نفسه إلا كذلك، فما زدت إلا ركونا إلى ربك، خلقه لك، وألهمك إياه، فلم تزد على مافي نفس الأمر شيئا، ومع ذلك أثنى عليك بالتوكل، فنسبه إليك، والأمر كله له، ومنه، وإليه. فانظر غاية الكرم من الرب الكريم.

وأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[ولصالح النيات كن متحريا متكثرا منها وراقب واخشع]

ذكر في هذ البيت، النية والمراقبة والخشوع، وأوصى بها ونصح. فالمراد بالنية ميل القلب إلى الخير، وإرادته له. فالنية، والميل، والقصد، والإرادة، والهمة، والعزم، والهاجس، عبارات عن معنى واحد. والهاجس هو الأصل، ويسمى نقر الخاطر، وهو السبب الأول.

والنية روح العمل، كروح الجسم، وكالمطر للأرض. فمن كانت نيته وقصده إلى الله ورسوله، فهي النية الصالحة. ومن كانت نيته وقصده الدنيا العاجلة ولذاتها، فهي النية الفاسدة. ولهذا قال سيدنا الناظم: [ولصالح النيات كن متحريا]، فأفاد أن من النيات؛ صالحا، ومنها فاسدا. وأفاد أيضا أنه قد يحصل في العمل الواحد نيات كثيرة، بحسب ماتعلقت به النية. وإن كانت النية من حيث ذاتها، إنما هي شيء واحد في الأصل، وهي القصد. لكن المراد النية المحمودة شرعا، وهي ميل القلب وقصده إلى الخير. قال صلى الله عليه وسلم: [إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أوامرأة ينكحها، فهجرته إلى ماهاجر إليه]. فمن نوى خيرا أثمر خيرا، ومن نوى شرا أثمر شرا، وعلى الله قصد السبيل. كما قال تعالى: [إنا هديناه السبيل، إما شاكرا وإما كفورا]. وقال سبحانه وتعالى: [وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين]، أي مخلصين النية له. أمر تعالى بإخلاص الدين له، لالغيره من نفس وشيطان، ولامُشَرَّكًا بينه وبين غيره، فالأعمال ليست مطلوبة إلا بما قصد بها، لالذاتها. فمن شغل نفسه بتحري صالح النيات، فهو مراقب، لأنه راقب الله في تخليص نيته وقصده، فلم ينو إلا مأمره به، ولايقدر على هذا بكماله، إلا من هو في

حضور دائم مع الله، وهو المراقبة. لأن المراقبة دوام المراعاة. وسنعيد ذكر المراقبة.

فالنية الصالحة إرادة وجه الله تعالى. والنية سبب من أسباب التوفيق، يشير إلى ذلك قوله: [إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لاينظر الله إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر الله إلى قلوبكم]. وورد عنه صلى الله عليه وسلم: [من غزا وهو لاينوي إلا عقالا، فله مانوى]. وفي الخبر الآخر: [من هم بحسنة فلم يعملها، كتب الله له حسنة]. وفي الحديث الآخر: [يحشرون على نياتهم]. وفي خبر آخر: [من تطيب لغير الله، جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ماافترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله. وعن سالم بن عبدالله قال: عون الله للعبد على قدر نيته، فمن تمت نيته تم عون الله له. قال الإمام الثوري: كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل. وعن الحسن: إنما خلد أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، بالنيات.

وجاء أن في التوراة مكتوبا، يقول الله تعالى: [ماأريد به وجهي فقليله كثير، وماأريد به غير وجهي فكثيره قليل]. وعن بلال بن سعد إن العبد ليقول قول مؤمن، فلا يدعه الله تعالى، حتى ينظر في عمله، فإذا عمل لم يدعه حتى ينظر ماذا نواه، فإن صلحت نيته فبالحري أن يصلح مادون ذلك. فإن عماد الأعمال النيات، فالعمل يفتقر إلى النية، والنية في نفسها خير، وإن تعذر العمل الصالح المنوي.

وفي الحديث: [نية المؤمن خير من عمله]. أي نيته من جملة طاعاته خير من عمله الذي هو أيضا من جملة طاعاته. لأن القلب هو الراعي

المتبوع، والنية عمله. وفي الصحيح: [أن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد]. وقال الله تعالى: [لن ينال الله لحومها ولادماؤها، ولكن يناله التقوى منكم] أي، لأن التقوى عمل القلب وصفته، والنية عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له، فإذا عمل العبد بمقتضى ميل قلبه إلى الخير، تأكد فيه الخير وقوي. فالمقصود في الحقيقة من أعمال الجوارح تقوى القلب على إرادة الخيرات، ليتفرغ عن شهوات الدنيا لذكر الله ومعرفته، والعمل من غير نية صالحة لايفيد أصلا، بل يضر مع النية الفاسدة. وقد سبق قوله صلى الله عليه وسلم: [من هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله له حسنة].

وأما كثرة النيات، فذلك على قدر جد العبد في طلب الخيرات، وسعة علمه واستحضاره للنيات الصالحة. وبذلك تزكو الأعمال وتتضاعف وتكثر. فالطاعة مرتبطة بالنية في أصل صحتها، وفي تضاعف فعلها. والمعصية لاتنقلب بالنية عن كونها معصية، كمن نوى مراعاة قلب إنسان، بغيبة إنسان آخر، فهو معصية، ولاتنفعه هذه النية.

وأما المباحات، فتصير بالنية الصادقة من أهل الصدق من محاسن القربات. فقد ورد: [من تطيب لله، جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك]. مثال ذلك، أن ينوي بالطيب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة، وتعظيم المسجد بالريح الطيب، وتعظيم سكان المسجد، وترويح من جلس عنده أو مر به برائحته، ودفع الروائح الكريهة المؤذية لغيره، وحسم باب غيبة الغير له بذكر ريحه الكريهة.

ومن نيات الطيب، قصد تقوية الدماغ، ليزداد بقوته فطنته في الدين، وقوة فكره، لأن قوة الفكر في وسط الدماغ، وهي مظهر القلب، وقبلها قوة الخيال والحفظ، وبعدها قوة الوهم والذكر. وقال الإمام الشافعي رحمه الله: من طاب ريحه زاد عقله.

فهذه النيات تحصل في الطيب، لكن لمن غلب على قلبه تجارة الآخرة أكثر من نعيم الدنيا، وقد صارت الآخرة أغلب همه. فمن غلب على قلبه أمر العاجلة لم يتصور منه هذه النيات الصالحة. فإن ادعى شيئا منها، فهو حديث نفس، لانية، لأن النية المحمودة شرعا تجرد باعث الدين فقط، فليتفقد المسكين سائر أعماله وقصوده، وليراقب قلبه، كما قال سيدنا الناظم: [وراقب واخشع].

ولينظر في الفعل والترك، فإن ترك الفعل فعل، فلا بد له من نية صالحة. ودواعي الهوى خفية، فلا يغتر بمشهورات الخيرات وظواهر الطاعات، وليتفطن للأسرار والأنوار، ليخرج من حيز الإغترار، وليعلم أن النية ليست قوله: نويت، بلسانه، أو بخاطره، أو فكره. فإنما النية انبعاث وميل إلى مافيه الغرض، والميل غير مكتسب إلا بأسبابه، وليست أسباب الميل والنية للآخرة، إلا أن يقوي إيمانه بالشرع، وبما جاء خصوصا في ذلك الفعل من الثواب، والقرب من الله. ولايكون كالشبعان الذي يقول: نويت أن أشتهي الطعام، ويردد ذلك على قلبه ولسانه. ولهذا امتنع بعضهم من بعض الطاعات، لما لم تحضره فيه نية صالحة، ويقولون: إن رزقنا الله نية، فعلناه.

وكان طاوس رحمه الله لايحدث إلا بنية. وقيل له مرة: ادع لنا. فقال: حتى أجد له نية. فالنية فتوح من الله، وليست في أصلها اختيارية، بل هي هبة من الله تعالى لأهل القلوب الطاهرة، والعلوم الوافرة، الغالب على قلوبهم أمره تعالى، لاكأمثالنا، لاتتيسر النية لأحدنا حتى في الفرائض المفروضة، إلا بتعب وجهد، كأجير السوء. وليتنا كذلك لأن من أجاب باعث الرغبة في الجنة، فقد أجاب باعث الإيمان بالوعد في الآخرة. ومن أجاب باعث الخوف من النار، فهو مؤمن لوعد الله في الآخرة. ومن هذه صفته، فهو على خير كثير، وإن كان نازلا عن

درجة من عظم الله لجلاله وجماله وأمره من ذوي الألباب. وأكثر أهل الجنة البله، وليتنا هؤلاء البله.

وقول سيدنا الناظم: [وراقب واخشع]، أمرنا بالمراقبة لله والخشوع لهيبته. والمراقبة هي مراعاة الرقيب، والاشتغال به، وهو الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: [ألم يعلم بأن الله يرى]، فالمراقب يراقب مراقبة الله له، ويراقب أحوال نفسه. قال الله تعالى: [وكان الله على كل شيء رقيبا].

فالمراقبة وصف إلهي، للعبد منه نصيب، فمراقبته تعالى حفظه، ومراقبة العبد له مراقبة حياء وأدب وخدمة. ومراقبة آثاره في خلقه، أفعال ظاهرة، من فاعل معلوم الوجود، ليس كمثله شيء، يرى أثره، ويسمع خبره، لايجهل وجوده، ولايعلم ذاته.

فالمراقبة حالة للقلب، سببها علمه، أي القلب، بأن عليه رقيبا، هو الله العالم بظاهره وباطنه، كما قال تعالى: [وماتكون في شأن، وماتتلو منه من قرآن، ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا، إذا تفيضون فيه، ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء، ولاأصغر من ذلك ولاأكبر، إلا في كتاب مبين]. فمن علم ذلك يقينا، واستولى على قلبه العلم باطلاع الله عليه، أورثه ذلك الخشوع، وهو الانكسار والسكون والخضوع، تحت الهيبة والإجلال. وهذه أعلى درجة في المراقبة.

فالخشوع متصل بالمراقبة كما ترى، والمراقبة وجه من وجوهها، متصلة بالنية، كما سبق ذكر ذلك. فلهذا جمع الناظم نفع الله به بينهما في بيت واحد. فالدرجة العليا من المراقبة درجة المقربين، وهي أن يصير مستغرقا بمشاهدة الله، لايتكلم إلا فيه، ولايسمع إلا منه، فلايحتاج إلى مراقبة جوارحه، فإنها لاتتحرك إلا بما في القلب.

والدرجة الثانية من المراقبة، لأصحاب اليمين، أهل الورع، غلب

على قلوبهم اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم، لكن بقي في قلوبهم اتساع للالتفات إلى الأعمال والأحوال، ولم يندهشوا مع غلبة الحياء عليهم، واليقين بنظر الله إليهم، فيحتاجون إلى مراقبة أحوالهم. فما كان لله خالصا أمضوه، وما كان لغير الله تركوه. قال الحسن رحمه الله: كان أحدهم، إذا أراد أن يتصدق، نظر وتثبت، فإن كان لله أمضاه.

ولايستقيم في هذه المراقبة، إلا أهل الرسوخ في العلوم الحقيقية، من معرفة الله والنفس والشيطان، وتمييز مايحبه الله تعالى ومايكرهه. ومن لم يكن كذلك، خيف عليه أن يدخل في أهل هذه الآية: [الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا]. نسأل الله العافية من ذلك.

فليقف العبد عند الخطرة الأولى. إذا كانت بباطل، فليدفعها، فإن لم يدفعها، أورثت رغبة، والرغبة تورث همة، والهمة تورث عزما، والعزم يورث جزم القصد، وهو يورث الفعل. وفي الحديث: [إن الله يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات، والعقل الكامل عند هجوم الشهوات].

ومن كلام سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه: اللهم أرني الحق حقا، وارزقني اتباعه. وأرني الباطل باطلا، وارزقني اجتنابه. ولاتجعله مشتبها علي، فأتبع الهوى.

وقال سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه: من التوفيق، التوقف عند الحيرة. فالمراقبة في الأعمال تكون بحسب النية، وحسن العقل، ومراعاة أدب الشرع. هذه في الأعمال الشرعية الصالحة. فإن كان في المباحات، فمراقبته فيها بالشكر لله على إباحتها، فإنه إيمان بالشرع. فإن أحكام الشرع خمسة: الإيجاب، والتحريم، والكراهة، والسنة، والإباحة.

ومن المراقبة فيها استعمالها، أي المباحات بأدب الشرع، والاتباع

والفرح بإنعام الله، والتفكر في خلق الله وعجائب صنعه في ذلك المباح، وحسن النية، وفيه ذكر الله معه.

وأما المراقبة في المعصية، فبالحذر منها، ثم التوبة والندم والرجوع إلى الله، والاعتذار إليه، والحياء منه، وإتباعها حسنة من الحسنات. ومن المراقبة محاسبة النفس، ومشارطتها ومجاهدتها ومعاتبتها ومعاقبتها. وقد ذكرنا المحاسبة عند ذكر الحارث المحاسبي في هذه القصيدة. وذكرنا قصة سهل بن عبدالله في سبب توبته في المراقبة عند ذكره أيضا.

وقول الناظم رضي الله عنه ونفع به:

[واقنع بميسور المعاش ولاتطل أملا وعما لايحل تورع]

ذكر فيه القناعة، وقصر الأمل والورع. فالقناعة هي الاكتفاء بالموجود من الرزق، والاكتفاء بالله في حوائجه، وإنزالها به تعالى، لابغيره، وسؤال الرزق منه، ويطلق القانع في كلام العرب على السائل. ويقال: قنع إذا سأل.

وقد أطلت الكلام على القناعة في تعليق لي، على قصيدة سيدنا الناظم النونية، في الوصية الصغري عند قوله:

وإن ترض بالمقسوم عشت منعما وإن لم تكن ترضى به عشت في حزن

ومقام القناعة أول الرضا. فللقانع حال من الرضا، ولاتتحقق القناعة إلا بالرفق في الإنفاق، وقلة التوسع فيه. ففي الحديث: [من اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله]. ولاتصح إلا بالثقة بتدبير الله، كما قال تعالى: [وما من دابة في الأرض، إلا على الله رزقها]. فهذا علم، والرفق عمل، وعماد الأمر الصبر، وقصر الأمل، ومعرفة آفات الغنى، وعز القناعة. ولسيدنا في القناعة قصيدة عظيمة، أولها:

إن القناعة كنز ليس بالفاني فاغنم هديت أخي عيشها الهاني
وعش قنوعا بلا حرص ولاطمع تعش حميدا رفيع القدر والشان

فبين أن القناعة هي ترك الحرص على الدنيا والطمع فيها. وأما قصر الأمل، المشار إليه بقوله نفع الله به [ولاتطل أملا]، فقصر الأمل هو استشعار القلب قرب الموت، وسرعة الانتقال من هذه الدار، إلى الدار الآخرة.

وقد أطال الكلام عليه سيدنا الناظم، في أول كتابه [النصائح]، وحقق فيها تحقيقا حسنا. وكذلك ذكره حجة الإسلام في [منهاج العابدين]. وقد قال الله تعالى: [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون]. وقال تعالى: [قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة، فينبئكم بما كنتم تعملون].

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكيس الناس وأكرمهم، فقال: [أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا. أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة].

وقال الربيع بن خيثم: لو فارق ذكر الموت قلبي لفسد. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل وطول الأمل]. ومن دعائه عليه السلام: [أعوذ بك من أمل يمنع خير العمل].

ففيه أن الأمل المذموم هو الذي يمنع خير العمل، وأنه ليس كل أمل مذموما. وقد قرر ذلك وبينه سيدنا الناظم في كتابه [النصائح].

واعلم أنه ليس لطول الأمل سبب، إلا الجهل، وحب الدنيا، والأنس بشهواتها. وعلاج الجهل الفكر في الموت، وأنه لابد منه، كما قال صلى الله عليه وسلم: [أحبب من أحببت، فإنك مفارقه].

وعلاج حب الدنيا، تقوية الإيمان بالله واليوم الآخر، والعلم بفناء الدنيا وحقارتها وبغضها. وعلامة قصر الأمل المبادرة إلى العمل، والاستعداد للموت قبل نزوله. فعنه صلى الله عليه وسلم: [اغتنم خمسا قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك].

وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول لنفسه: بادري قبل أن يأتيك الأمر. ويكرر ذلك عليها ستين مرة. وكان يقول في مواعظه: المبادرة، المبادرة! فإنما هي أنفاس لو حبست، انقطعت عنكم أعمالكم الصالحة. ويقرأ: [إنما نعد لهم عدا]، يعني به الأنفاس.

والأنفاس أزمنة دقيقة، تتعاقب على الإنسان مادام حيا. والنفس جمعه أنفاس، وهو دفع البخار الدخاني عن القلب، يطلق عليه وعلى قدره من الزمان، وكل نفس طرفتان، والطرفة تحريك جفن العين.

وقد ذكر بعض العارفين، أن للإنسان في كل ساعة ألف نفس، فيكون له في الليل والنهار أربعة وعشرون ألف نفس. وذكر بعضهم أن للقلب كل يوم سبعين ألف خطرة على عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ولايعودون. ولاشك أن القلب بيت معمور، إما بخير، وإما بشر.

وكان بعضهم يذكر الله في كل يوم على عدد أنفاسه، أربعة وعشرين ألف مرة. وهذه الفائدة عرضت هنا اغتنمناها، وإن كان بحث المراقبة أولى بها، اقتضاها عدد الأنفاس على العبد لايزيد ولاينقص. آخر العدد خروج النفس، وفراق الأهل، ودخول القبر. والأجل مستور. والشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والعبد فاتن نفسه بالشهوات، متربص بالتوبة، مرتاب في أمر الموت والآخرة، أو كالمرتاب، حتى جاء أمر الله، وهو الموت، فارتحل ضيف الدنيا، وأرجعت العارية منها، إنها لإحدى الكبر. نذيرا للبشر. لمن شاء منكم

أن يتقدم أو يتأخر في الموت، فما غاية العمر وهو تهدمه الساعة، وينقصه النفس واللحظة، فمن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل.

فأما دار الغرور، شعرا:

فما قضى أحد منه لبانته ... ولاانتهى أرب إلا إلى أرب

فأما قوله نفع الله به: [وعما لايحل تورع]، فالورع هو الاجتناب. والمراد اجتناب الحرام والشبهة، خوفا أن يكون من الحرام، لقوله صلى الله عليه وسلم: [دع مايريبك إلى مالايريبك].

والشبهة هي التي لها جانب إلى الحلال، وجانب إلى الحرام من غير تغليب، فهي مما لايحل يقينا. فدخل في قول الناظم: [وعما لايحل تورع]، فتترك تغليبا لجانب الحرمة، وماليس فيه شبهة هو الحلال الخالص، فمن ترك فضوله، فهو زاهد ورع.

فالورع هو الزهد في الحرام والشبهة، وهو عام في جميع تصرفات العبد، من أكل، وملبس، وكسب، بجميع الجوارح في جميع حركاته وسكناته، في ظاهره وباطنه، من عالم ملكه وإسلامه، وعالم جبروته وإيمانه، بل عالم ملكوته وإحسانه، لأن الورع في اللغة هو الاجتناب، والاجتناب متصور في الصور والمعاني. وكثير من أهل العناية الإلهية يظهر الله لهم علامات، إما في أنفسهم كالحارث المحاسبي وغيره، وإما في المتورع عنه.

وذكرنا في ترجمة المحاسبي أول هذا الشرح، العلامة التي أعطاه الله إياها، وقصة له في ذلك وقعت له مع تلميذه الجنيد بن محمد، رحمهم الله ونفع بهم، وسائر الصالحين آمين، ولاحرمنا بركاتهم في الدنيا والآخرة، ومن أحاطت به شفقة قلوبنا، وجميع المسلمين، آمين.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: [خير دينكم الورع]. وورد عنه عليه الصلاة والسلام: [من لقي الله ورعا، أعطاه الله ثواب

الإسلام كله]. ويروى أن الله عز وجل قال: [وأما الورعون، فإني أستحيي أن أحاسبهم]. وفي الحديث: [من اكتسب مالا من حرام، فإن تصدق به، لم يقبل منه، وإن تركه إلى ورائه، كان زاده إلى النار].

وفي بعض الأحاديث: [أماعلمتم أن الصديق لايدخل جوفه إلا طيبا]. وقال الفضيل: من عرف مايدخل جوفه، كتبه الله صديقا. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: لم يدرك من أدرك، إلا من كان يعقل مايدخل جوفه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لايقبل الله صلاة امرىء، وفي جوفه حرام.

وقال سهل التستري رحمه الله: من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين، فلايأكل إلا حلالا، ولايعمل إلا في سنة أو ضرورة. ولايبلغ العبد حقيقة الإيمان، حتى تكون فيه أربع خصال: أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب المنهي في الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الموت. ومن أكل الحرام، عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم.

واعلم أن الحرام ماحرمه الشرع، إما لمعنى في ذاته كالخمر والخنزير، أو لخلل في كسبه، كالمأخوذ بالغصب والربا والسرقة ونحوها مما فصله الفقهاء. والورع منه واجب وفرض، وترك الورع عنه فسق وعصيان، وتعرض لسخط الله تعالى، وعذاب النار. ويسمى ورع العدول.

ويعده ورع الصالحين، وهو ترك مايحتمل أنه حرام وظاهره الحل.

ويعده ورع المتقين، وهو ترك مالابأس به خشية مابه بأس، وإن أفتي بحله، ولم يكن فيه شبهة.

وبعده ورع الصديقين، وهو ترك مالايصلح للتقوي على العبادة، ومايكون لغير الله، ومايطرق إلى شيء من أسبابه كراهية أومعصية، وإن لم تكن في ذاته. مثاله الشرب من نهر حفره أمير، وجرى فيه ماء مباح، أو

أكل عنب، سقي بذلك الماء المباح الجاري في نهر الظالم. وهذا أَدْخَلُ في الورع من الأول، لأن العنب مستمد من الماء.

وأعظم من هذين امتناع ذي النون رحمه الله تعالى من الطعام الذي جاءه على يد السجان، مع كون الطعام حلالا طيبا، وهو جائع في السجن، ومع كون يد السجان لاتوصف بأنها حرام، لأن قوتها أُكْتُسِبَتْ بغذاء حرام، وهذ من أوائل الورع، في هذه الدرجة، من حيث تطرق الشبهة والكراهية إلى سبب المتروك، وآخره ترك كل ماليس لله، امتثالا لقوله تعالى: [قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون].

ومثال الدرجة الثانية، ترك الطيب لغير المتزوج، فإن الطيب يحرك الشهوة، والشهوة تدعو إلى الفكر، والفكر يجر إلى النظر وهو حرام، ويدعو إلى الزنا مع كون الطيب في نفسه مباحا.

ومثال الدرجة الثانية، كل شبهة لايجب اجتنابها. أما مايجب اجتنابه من الشبهات، فهو ملتحق بالحرام، كالذي أصله التحريم، وشك في تحلله، أو أصله الحل، ولكن غلب على الظن طريان تحريمه بسبب معتبر شرعا، كمسألة بول الظبية. وأما تعارض الأصل والغالب، فليس فيه غلبة الظن، وفيها قولان للشافعية رحمهم الله تعالى.

فأما قول سيدنا الناظم رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين:

[واحذر من الكبر المشوم فإنه داء ومن عجب وشح مهلع]

[الكبر] اعتزاز وعظمة في النفس بسبب اعتقاد رتبتها فوق رتبة غيرها، وهو نفخة الكبرياء الذي ورد التعوذ منها في قوله عليه الصلاة والسلام: [أعوذ بك من نفخة الكبر] المشار إليه بقوله تعالى: [إن في صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه].

فالكبر خلق وصفة للنفس، والتكبر إظهار تلك العظمة التي هي صفة النفس على الجوارح، والعمل بمقتضاها في نفسه بسبب، وكونها إلى

هذه العقيدة باستحقار الغير والترفع عنه، واستبعاد تقصيره في قضاء حوائجه، والتعنيف عند الوعظ، والاستنكاف من الاتعاظ، وغير ذلك من ثمرات الكبر مما لايكاد يحصى، مما يقل الانفكاك عنه، حتى من العلماء والزهاد والعباد، فضلا عن العوام وأهل العناد.

وشر أنواعه مامنع من طلب العلم، وقبوله، وقبول الحق، والانقياد له. قال الله تعالى: [اليوم تجزون عذاب الهون بماكنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون]. وقال تعالى: [سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق]. قال بعضهم: أي، سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم. وقال تعالى: [كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار]. وقال سبحانه: [إنه لايحب المستكبرين].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: [لايدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر]. وعنه صلى الله عليه وسلم: [لايدخل الجنة جبار، ولابخيل، ولاسيىء الملكة]. وعنه عليه السلام: [يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر، يطأهم الناس لهوانهم على الله عز وجل]. وقال صلى الله عليه وسلم: [لاينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا]، وفي رواية: [يجر إزاره خيلاء].

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: [إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتعاظم على خلقي، وألزم قلبه خوفي، وكف نفسه عن الشهوات من أجلي].

وفي الحديث: [أربع لايعطيهن الله، إلا من يحب: الصمت، وهو أول العبادات، والتوكل على الله، والتواضع لله، والزهد في الدنيا].

وقال يوسف بن أسباط: يجزي قليل الورع عن كثير العمل، ويجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد. وسئل الفضيل عن التواضع، فقال: هو أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه. وقال الحسن: التواضع أن لاتلقى مسلما، إلا رأيت له الفضل عليك.

وقال أبو يزيد: مادام العبد يظن أن في الخلق من هو أشر منه، فهو متكبر. . . . . انتهى.

وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه، ومعرفته بنفسه، فالمتكبر منازع لله في صفته التي لاتليق إلا به. وإليه الإشارة بما ورد عنه تعالى: [العظمة إزاري، والكبرياء ردائي. فمن نازعني فيهما قصمته]. فالخلق كلهم عباد الله، وله سبحانه وتعالى الكبرياء والعظمة عليهم، وليس ذلك لغيره من العبيد، بعضهم على بعض. [هو أعلم بكم، إذ أنشأكم من الأرض، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى]. وليعتبر العبد بلعن إبليس بسبب تكبره. وبعابد بني إسرائيل مع خليعهم.

وفي الحديث: [كفى بالمرء إثما أن يحقر أخاه المسلم]، ومن حكم لنفسه بأنه خير من أحد من عباد الله، فقد أحبط عمله، لأنه جاهل آمن من مكر الله.

واعلم أن الكبر معنى باطن، لأنه خُلُقٌ للنفس، وثمرته ونتيجته يسمى تكبرا، وهو مايظهر بسبب من الأخلاق والأفعال. وأصل الكبر، وموجبه هو العجب. فمن أعجب بنفسه، أوبعلمه، أوبعمله، أوغير ذلك، استعظمت نفسه ذلك، وهو الكبر. فلهذا عطفه عليه سيدنا الناظم بقوله: [ومن عجب] أي، واحذر أيضا من عجب.

فالعجب هو السبب في التكبر، ويظهر بواسطته الحقد على الغير، والحسد له، أعني المتكبرعليه ،ويظهر بواسطته رياء المتكبر، فإن الرياء قد يحمل على إظهار الكبر من غير عجب في الباطن. وكذلك الحقد والحسد يحملان على إظهار الكبر من غير عجب. فمن أكمن الغضب على أحد، لم تطاوعه نفسه على التواضع له، وإن اعتقد استحقاقه للتواضع. وإكمان الغضب هو الحقد. وكذلك من أضمر الحسد لأحد من أقرانه وأهل بلده مثلا، لاتطاوعه نفسه أن يتواضع له، ويأخذ عنه، ويقبل

نصحه مع معرفته بفضيلته وعلمه. وكذلك المرائي لايتواضع لمن هو أفضل منه، خوفا من أن يقال إنه أفضل منه.

ومن علامات المتكبر أن يحب قيام الناس له، وأن لايزور غيره، وإن كان ينتفع به في دينه. ومن علاماته أن يستنكف من جلوس غيره بقربه أو مساويا له. ومنها أن لايحمل متاعه إلى البيت. ومنها محبة شهرة الثياب عند رؤية الناس له.

ومن أراد التواضع فليقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم في أحواله وأخلاقه، وليرض بما رضي به عليه الصلاة والسلام لنفسه، فإنه عليه الصلاة والسلام أعظم الخلق منصبا ورفعة، ولكن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وبغضها رأس كل طاعة، فلامانع من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حب الدنيا.

وكان عليه الصلاة والسلام يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويَقُمُّ البيت، ويحلب الشاة، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعيى، ويشتري الشيء من السوق ويحمله، ولايستنكف من أن يجيب إذا دعي، وإن كان أشعث أغبر، ولايحقر مادعي إليه، ولم يَتْشِمْ قط من شبع، والفاقة أحب إليه من اليسار، وغير ذلك من أخلاقه الشريفة. فلتنظر سيرته وشمائله من الكتب المطولة المصنفة في ذلك، ويكفي عنها كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة من [إحياء علوم الدين]، فما ترك إحياء علوم الدين علما نافعا لسواه من الكتب المؤلفة، إلا استوفاه بكماله. وبحمد الله هو لشرحنا هذا هنا سَدَاهُ ولُحْمَتُهُ، ولامعول لنا في الاستمداد على غيره.

وقد ذكرنا مرتبته في الكتب الدينية، وعلو قدره، وصحة منفعته وتأثيره، وغير ذلك من أسراره وفضائله، عند ذكر سيدنا الناظم لمصنفه في هذه القصيدة.

ثم اعلم أن التواضع ضد التكبر، وهو حالة للقلب، وخلق له، فإذا صدرت من صاحبه أفعال المتواضعين مع سهولتها على القلب، فقد صح خلق التواضع له. فإذا ناظر أحدا من أقرانه، فظهر الحق على لسان قرينه، لم يثقل عليه قبوله، والاعتراف به، بل يشكره على ذلك ويثني عليه

وكذلك لايثقل على قلبه، تأخره عن أمثاله وأقرانه، في المجالس والمحافل. فإن تأخر مع ثقله على قلبه، فهو متكبر. ومثل ذلك إذا استثقل أن يجيب الفقير والمسكين إلى ضيافته، وأن يمر إلى السوق في حاجة رفيقه، أوحاجة نفسه أوأهله. فإن ثقل شيء من ذلك عند حضور الناس، وخف على قلبه إذا كان خاليا، فهو رياء لاكبر، وإن ثقل في الخلوة فهو كبر، أو ثقل في الخلوة والملأ جميعا، فقد اجتمع الكبر والرياء.

ومن بالغ في إظهار التواضع، حتى غلب عليه التملق والتخاسس، فقد خرج إلى حد النقصان، وبخس الميزان. فخير الأمور أوساطها، يكون العبد فيها ناظرا إليه، خائفا منه، منتظرا ماعنده، مشفقا مما سبق له عنده، وجلا مما يختم له به، مشغولا بنفسه لربه بربه، متحققا بفقره، عارفا بنفسه، شاكرا النعمة ربه، عارفا بمنته تعالى وسابق فضله. وبذلك ينتفي عنه الكبر، وأصله وفصله. فإن أصل الكبر العجب، ولهذا أردف الناظم متع الله به بالتحذير منه ومن الشح. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: [ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه].

فـ[العجب] هو اعتقاد النفس كمالها وفرحها به، مع نسيان نعمة الله عليها، وعدم الخوف من زوالها. فحقيقة العجب، استعظام كماله، مع نسيان إضافته إلى الله تعالى. فإن ظن مع ذلك أن له عند الله حقا، وتوقع بعلمه كرامة في الدنيا، واستبعد أن يصيبه مكروه، فهو مُدِلٌّ، وهو زيادة على العجب. فالعجب يحصل بنفس الاستعظام مع نسيان نعمة

الله دون توقع جزاء، فإن توقع مع ذلك جزاء، فهو المدل، كأن يستنكر عدم إجابة الله دعاءه.

والعجب أحد أسباب الكبر، وهو الداعي إلى نسيان الذنوب واستصغارها، وعدم التوبة منها وتلافيها، وهو الذي يعمي ويصم عن آفات الأعمال، ويلهي عن توفيق الله، ويورث الأمن من مكره.

والمتصف به من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. فالعجب عماء وجهل وغفلة عن الله تعالى، وعن فضله على عبيده وجوده وكرمه. [قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون]، وبجوده وفضله فليعجب المعجبون، فلاخالق سواه، ولامتفضل غيره. فالعامل وعمله، والموصوف وصفته، كل ذلك نعمة منه سبحانه من غير استحقاق، [ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا، ولكن الله يزكي من يشاء]. . . . [هو من عند الله]. . . . [إن الله يرزق من يشاء بغير حساب]. . . . [ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لايشكرون].

وفي الحديث: [مامنكم من أحد ينجيه الله بعمله، قالوا: ولاأنت يارسول الله، قال: ولاأنا إلا أن يتغمدني الله برحمته]. وقال الله عز وجل: [ولكن الله حبب إليكم الإيمان، وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون. فضلا من الله ونعمة، والله عليم حكيم]. وقرأ الآية الأخرى: [يمنون عليك أن أسلموا، قل لاتمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين].

وأما الشح، فهو شجرة من شجر النار. كما في الحديث: [والشح شجرة في النار، فمن كان شحيحا، أخذ بغصن من أغصانها، فلم يتركه ذلك الغصن، حتى يدخله النار]. وقال الله تعالى: [ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون].

فالشحيح لايفلح أبدا، بمقتضى الآية الشريفة. وفي الحديث، [إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، دعاهم فسفكوا دماءهم، ودعاهم فاستحلوا محارمهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم].

وعنه صلى الله عليه وسلم: [شر مافي الرجل، شح هالع، وجبن خالع]. وعنه صلى الله عليه وسلم: [لايجتمع الشح والإيمان في قلب عبد]. وعنه صلى الله عليه وسلم: [وأي ظلم أعظم عند الله من الشح]. وحلف الله بعزته وجلاله وعظمته، [لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل].

قال عبد الله بن عمرو: والشح أشد من البخل، لأن الشحيح هو الذي يشح بمافي يد غيره، حتى يأخذ ويشح بما في يديه، فيحبسه. والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه. . . . . انتهى.

والبخل هو استثقال الإنفاق الواجب بالشرع أو بالمروءة. فالبخيل من منع واجب الزكاة، ومنع النفقة الواجبة عليه، أوشق إعطاؤها على قلبه، فإنه بخيل بالطبع أيضا. ومثله: من لايطيب قلبه أن يعطي الطيب من ماله، بل يتيمم الخبيث منه ينفق، ويجعل لله مايكره من المال. ومثله: من يستقصي في المستحقرات من المال.

فالبخيل هو الذي يمنع حيث لاينبغي المنع شرعا وعرفا، فصيانة الدين والمروءة أهم من صيانة المال، فمن أمسك المال مع هتكهما، أي الدين والمروءة، فهو البخيل المذموم. ومن أدى واجب الشرع والمروءة اللائقة به، فقد خرج عن البخل، ولكن لايوصف بالجود والسخاء مالم يزد في البذل لله، وطلب مرضاته حيث لايوجبه شرع ولامروءة.

ثم الناس في الجود والسخاء درجات. فمن بذل المال، لاعن طيبة نفس، فليس بجواد ولاسخي، كالذي يبذل المال خوفا من ملامة الناس، أو لتوقع نيل نفع أو ثناء. والذي يبذل المال لله تعالى، وطلب

الثواب مع طيبة نفس هو السخي. وأما حقيقة الجود، فلايصح إلا من الله الجواد.

وروي عن بعض المتعبدات، أنها قالت لحيان بن هلال، وهو في أصحابه: ماالسخاء عندكم؟ قال: العطاء والبذل والإيثار. قالت: هذا سخاء الدنيا، فما سخاء الدين؟ قال: نعبد الله، وأنفسنا غير مكرهة. قالت: تريدون على ذلك أجرا؟ قالوا: نعم، قالت: ولم؟ قالوا: لأن الله وعد بالحسنة عشر أمثالها. قالت: فبأي شيء سخوتم؟ إنما السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين ملتذذين بطاعته، لاتريدون على ذلك أجرا، حتى يكون مولاكم هو الذي يفعل بكم مايشاء. ألا تستحيون أنكم تريدون شيئا بشيء، إن هذا في الدنيا لقبيح. وقالت أخرى من المتعبدات: إن السخاء عندي في المُهَجِ.

وقال الإمام المحاسبي: السخاء في الدنيا أن تسخوبنفسك تتلفها لله عز وجل بسماحة، من غير إكراه، ولاإرادة ثواب، وإن كنت غير مستغن عن الثواب، لكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله، حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك مالايحسن اختياره لنفسك. . . . . . . انتهى.

وفي الحديث عن الله تعالى: [إن هذا دين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء، وحسن الخلق، فأكرموه بهما مااستطعتم]. وفي الحديث الآخر: [ماجبل الله وليا، إلا على السخاء، وحسن الخلق]. وفي آخر: [تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله آخذ بيده، كلما عثر أقاله].

وروي، أوحى الله إلى موسى عليه السلام: لاتقتل السامري، فإنه سخي. وقال سفيان بن عيينة: السخاء البر إلى الإخوان، والجود بالمال. وقال الحسن: بذل المجهود، في بذل الموجود، نهاية الجود. وقال أيضا: السخاء أن تجود بمالك في الله عز وجل، قيل: فما الحزم؟ قال: أن تمنع مالك فيه لله تعالى. قيل: فما الإسراف؟ قال: الإنفاق لحب الرياسة.

وأما قول الناظم رضي الله عنه:

[ومن الرياء فإنه الشـرك الخفي   ومن التفحش شيمة العبد الدعي]

فـ[الرياء] هو طلب المنزلة بالعبادات. فمن أراد بعبادة الله تعالى غيره، فهو مراء مستهزىء بالله تعالى، كما قال قتادة: إذا راءى العبد، قال الله تعالى: انظروا إلى عبدي، كيف يستهزىء بي. . . . . . انتهى.

وأي استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف، لايملك له ضرا ولانفعا. ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر. وأشار إلى ذلك شيخنا الناظم بقوله: [فـإنه الشرك الخفي]. فكيف لايكون شركا؟ وهو يسجد لغير الله، ويركع لغير الله، ويتصـدق لغير الله، ولهـذا قال الله: [فـويل للمصلين الـذين هم. . . . إلى آخره]. وقال سبحانه: [والذين يمكرون السيـآت لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور]. قال مجاهد رحمه الله تعالى: هم أهل الرياء.

وورد عن النبي صـلى الله عليه وسلم: [إن أخـوف ماأخـاف عليكم، الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله عز وجل يوم القيامة: إذا جاء العباد بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء].

وفي حديث مرفوع: [إن أدنى الرياء شرك]. فلايقدم على الرياء إلا من خدعه الشيطان، وأوهم عنده أن الخلق أقدر من الخالق، فلو وكله الله إليهم في الدنيا، لكان ذلك أقل مكافأته على الرياء. فكيف في يوم القيامة، فقد استبدل المرائي بجهله عن نيل القرب من الله تعالى، وثوابه في الآخرة مايظنه يحصل له من الناس، واستبدل من عبوديته لله عبوديته للخلق. وإلى ذلك أشار شيخنا الناظم بقوله: [شيمة العبد الدعي]، أي أن الرياء صفة العبد في الصورة، لافي الحقيقة. والمعنى، فليُلزمِ العبد

قلبه القناعة بعلم الله به، وليتذكر عظم ملك الآخرة، ونعيم الجنة الدائم الأبدي، وليتذكر عظم غضب الله ومقته على من طلب بعبادته غيره، ويجاهد عند ذلك نفسه ويرجو من الله الإعانة، ويطلبها منه سبحانه، فإنه الكريم لايضيع سعي الراجي له.

وقول سيدنا: [شيمة العبد الدعي]، أي صفته، والدعي هو من ليس بصحيح العبودية، لأنه متعبد لغير الله، مطيع لهواه، معتكف على مراعاة الخلق، وإن كان عبدا بإيجاد الله له وخلقه تعالى، داخلا في قوله تعالى: [إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا. . . . الآية]، لأنه لايختص بتكليف، بل جميع الأشياء عبيد الله لهذا المعنى طوعا وكرها، بخلاف عبيد الله الطائعين له، كقوله تعالى: [واذكر عبدنا أيوب]. . . . [فوجدا عبدا من عبادنا].

والعبد الحقيقي، من لم يكن له معبود سوى مولاه، يعبده امتثالا لأمره، وتعظيما وإجلالا له سبحانه وتعالى، مع علمه وشهوده أن عبادته لربه، من منح ربه له، وتفضلاته عليه. وحينئذ يدهش عند رؤية عبادته، وتغلبه رؤية المعبود.

وأما قول الناظم نفع الله به:

[والنفس رضها باعتزال دائم   والصمت مع سهر الدجى وتجوع]

ذكر نفع الله به في هذا البيت أركان الرياضة للنفس، وهي هذه الأربعة: العزلة، والصمت، والسهر، والجوع، وهي التي صار بها الأبدال أبدالا، كما قال سهل بن عبدالله.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: جاهد النفس بأسياف الرياضة. والرياضة بالصبر، على أربعة أوجه: تقليل القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام. فيتولد من

قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام ضعف الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن قلة الأذى البلوغ إلى الغايات، إلى آخر ماقال.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: النفس لاتألف ربها، ولاتأنس بذكره، إلا إذا فطمت عن عاداتها بالعزلة والخلوة أولا، ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات. ثم عودت الذكر والثناء والدعاء ثانيا في الخلوة، حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله تعالى، عوضا عن الأنس بالدنيا والشهوات، وذلك يثقل في البداية، ويتنعم به في النهاية. والصمت تسهله العزلة، والسهر نتيجة الجوع، فإن السهر مع الشبع بعيد جدا. والجوع والسهر ينوران القلب، وبنور القلب يشاهد الآخرة. والنوم يقسي القلب، والكلام يشغله، ويورث الغفلة. والصمت ينقح العقل، ويورث الورع والتقوى. والخلوة تدفع الشواغل، ولابد في الرياضة الكاملة، من نظر شيخ كامل.

وفي الحديث: [سيد الأعمال الجوع وقتل النفس، ولباس الصوف]. وورد أيضا: [ماملأ آدمي وعاء أشر من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ..... الحديث]. وقال شقيق: العبادة حرفة، وحانوتها الخلوة، وآلاتها المجاعة. والمراد بالنفس، المعنى الجامع للصفات المذمومة من الإنسان، وهي النفس الأمارة بالسوء.

ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به:

[وهواك جاهده جهاد منازع   ومخالف مثل العدو الأبشع]

فـ[الهوى] ميل النفس إلى غير الحق، واتباعها للشهوات المذمومة. وقد اتفق جميع العلماء على أن السعادة لاتنال إلا بنهي النفس عن الهوى، ومخالفة شهواتها. قال الله تعالى: [ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة

هي المأوى]. وفي الحديث: [قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر يارسول الله؟ قال: جهاد النفس].

وفي الحديث الآخر: [المجاهد من جاهد نفسه، والمهاجر من هجر السوء] فمجهادة النفس فرض لازم، ويرجع حاصله إلى قهر الشهوة والغضب، تحت حكم الشرع المدرك بنور العقل. فمن قاهر لجميع شهواته، ومن قاهر لبعضها، وهو أكثر، ومن تارك لجهاد هواه بالكلية، وهو أكثر، وأكثر. وإليه الإشارة بقوله تعالى: [أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه. . . . . إلى آخر الآية. . . .].

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[واعمر بأوراد العبادة عمرك الـ ـفاني وساعات الزمان المزمع]

أوصى نفع الله به باغتنام العمر، والوقت السائر المسرع بالإنسان، إلى وطنه الذي هو الدار الآخرة، بأن يكثر فيه من أنواع الطاعات، وصنوف القربات، وإدامة الأعمال الصالحات، كما أمر الله سبحانه وتعالى وأوصى، بقوله تعالى: [ومن آناء الليل فسبح، وأطراف النهار لعلك ترضى]. وآناء الليل والنهار هي العمر، والعمر ساعات منقضية، وأوقات مارة.

وقال تعالى: [واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا. ومن الليل فاسجد له، وسبحه ليلا طويلا]. وقال جل وعلا: [وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيآت]. وقال تعالى: [أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما، يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون]. وقال تعالى: [والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما]. وقال تعالى: [ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي].

فعمارات الأوقات بالأوراد، هي الطريق إلى الله تعالى. وقد بين

ذلك وأوضحه وفصله ورتبه الإمام حجة الإسلام في [الإحياء] وغيره من كتبه، لاسيما كتاب ترتيب الأوراد من الإحياء.

ومن كلامه فيه: فمن أراد أن ترجح كفة حسناته، وتثقل موازين خيراته، فليستوعب في الطاعات أكثر أوقاته.

ومن كلامه: من أراد أن يدخل الجنة بغير حساب، فليستغرق أوقاته في الطاعة، فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا، فأمره مخطر، ولكن الرجاء غير منقطع، والعفو من كرم الله منتظر، فعسى الله أن يعفو بجوده وكرمه . . . . . انتهى.

وقوله رضي الله عنه: [واعمر بأوراد العبادة]، فـ[الأوراد] جمع ورد. و[العبادة] معنى جامع لصالح الأعمال والأحوال من أصول الدين وفروعه، ومرجع حقائقها كله إلى الخضوع لله بالقلب والقالب والمال، وغير ذلك من المعاملات بالخضوع لله. وقد قال الله تعالى: [يأيها الناس اعبدوا ربكم. . . . الآية]. وقال تعالى: [واعبدوا ربكم. . . الآية]. وقال تعالى: [وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون]. وقال جل وعلا: [وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين]. وقال تعالى: [واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا]. وقال تعالى: [إن الذين يستكبرون عن عبادتي. . .]، فالمنقطع بلاتكلف للعبادة، عبد عابد، والمتكلف لها متعبد.

وقول سيدنا الناظم نفع الله به:

[واتل القرآن كلام ربك دائما   بتدبر وترسل وتخشع]

أمر بتلاوة القرآن، والدوب عليها، والمداومة على ذلك، مع التدبر والترسل بالترتيل، والاتصاف بالخشوع والتعظيم. وأشار بقوله: [كلام ربك]، إلى استحضار عظمة المتكلم سبحانه.

وأما فضيلة التلاوة، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم: [أفضل

عبادة أمتي قراءة القرآن]. وورد أيضا: [من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي، أعطيته أفضل ثواب الشاكرين].

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: لايعذب الله قلبا وعى القرآن. وقال سفيان الثوري: إذا قرأ القرآن الرجل قَبَّلَهُ الملك بين عينيه.

وأما [التدبر]، فقد قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لاخير في عبادة لافقه فيها، ولا في قراءة لاتدبر فيها. وقد قال الله تعالى: [أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها].

والمقصود من القراءة التدبر. ولذلك سن الترتيل، لأنه يسهل معه التدبر، كما أنه لايمكن التدبر إلا بحضور القلب، وترك حديث النفس. ولايمكن الحضور إلا بصرف الهمة إلى القراءة، ولايحمل على الهمة إلا قوة الإيمان، بكون الآخرة خيرا من الدنيا وأبقى، ولايتم الفهم بعد الحضور إلا بصرف الذهن إلى إدراك المعنى، ولايتولد الخشوع والتعظيم إلا بمعرفة جلال الله، ومعرفة حقارة النفس، فبذلك يتم الخشوع الذي هو التعظيم لله تعالى. فموجب الخشوع المعرفة بجلال الله، واطلاعه على العبد. ومعرفة تقصير العبد. [ومايتذكر إلا من ينيب]. . . . [تبصرة وذكرى لكل عبد منيب]. قال بعضهم: كل آية لاأتفهمها، ولايكون قلبي فيها، لا أعد لها ثوابا . . . . . انتهى.

قال حجة الإسلام: ومن لم يكن له فهم في القرآن، ولو في أدنى الدرجات، دخل في قوله تعالى: [ومنهم من يستمع إليك، حتى إذا خرجوا من عندك، قالوا للذين أوتوا العلم، ماذا قال آنفا. . . إلى آخر الآية]. . . . . . انتهى.

فليستعن على الفهم، بترك المعاصي والإصرار عليها. ومن أعظمها الكبر. قال الله تعالى: [سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض]. وليقدر أنه المقصود بالأمر والنهي، والوعد والوعيد. وليتفكر في نحو قصص الأنبياء، وقصص الأعداء. وليعتبر بذلك، لأن القرآن بصائر

للناس، وهدى ورحمة لقوم يوقنون، وهدى وموعظة للمتقين، وهو كتاب من الله إلى عبده، ليتدبره وينفذ مافيه من الأوامر على نفسه.

قال بعضهم: من بلغه القرآن، فكأنما كلمه الله، فليشهد القارىء أن الله يخاطبه، وكأنه يقرأ على الله كتابه، وهو سبحانه ناظر إليه، ويسمع منه، حتى تعظم لذة المناجاة، وحلاوة التلاوة. وليشهد بنفسه عند الوعيد، لاعند الوعد. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، ولايجعلنا من الذين نبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا، فبئس مايشترون. آمين اللهم آمين.

وأما قول سيدنا الناظم نفع الله به آمين:

[والذكر لازمه وواظبه على مر الزمان مع الحضور الأجمع]
[فهو الغذاء لكل قلب مهتد وهو الدواء لكل قلب موجع]

أوصى رضي الله عنه بملازمة الذكر، والمواظبة عليه، في جميع الأوقات، مع الحضور فيه، وبإجماع الهم عليه. وأرشد نفع الله به، إلى كون الذكر غذاء للقلوب الطاهرة الصحيحة، ودواء للقلوب المريضة. والمواظبة الدائمة مع حضور القلب بذكر الله تعالى، هو المؤثر في القلب النافع له المجدي، وهو المقدم على سائر العبادات، لأنه الثمرة منها وذلك كذلك. ولكنه أول الأمر، يتكلف المريد الطالب الحضور مع الله في الذكر، بصرف قلبه عن الفكر في غير معنى الذكر، حتى يستلذ الذاكر ويأنس به، إذا وفقه الله للمداومة عليه، مع حضور القلب. والأنس بالذكر لله، لايفنى بموت العبد، بل يبقى نعيما للعبد بعد موته، يتلذذ به إلى أن ينزل في جوار الله تعالى. فإنه لايبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام. والموت لايمنع العلم بالله والأنس به. [ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون.....]الآية، وما بعدها.

فالذكر أفضل وأنفع من جملة من العبادات، لأن العبادات على اختلاف أنواعها، وتفاوت درجاتها، حقيقتها ذكر الله. قال الله تعالى: [وأقم الصلاة لذكري]. وقال سبحانه وتعالى: [فاسعوا إلى ذكر الله]. وقال جل وعلا: [قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى].

ولأن جميع الأعمال لاتصح إلا بقصد وجه الله تعالى، وإخلاصها له تعالى، وهو حقيقة الذكر. وقال تعالى: [ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله.... إلى آخره]. وقال تعالى: [ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله]. وقال تعالى: [لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله... إلى آخر الآية]. وقال تعالى: [إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا، لعلكم تفلحون].

وصح عنه عليه السلام: إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار، لإقامة ذكر الله. فأفضل المجاهدين، والمصلين، والصائمين، والمتصدقين، أكثرهم ذكرا لله تعالى، كما ورد. رواه الترمذي، والطبراني، والأصبهاني، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وابن زنجويه، شيخ أبي داود.

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ فقال: [أن تموت، ولسانك رطب بذكر الله].

وعنه عليه الصلاة والسلام: [لذكر الله بالغدو والعشي، أفضل من حطم السيوف في سبيل الله، ومن إعطاء المال سَحًّا].

وعنه صلى الله عليه وسلم: [ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى. قالوا: يارسول الله! ولاالجهاد في سبيل الله؟ قال: ولاالجهاد في سبيل الله، إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها

في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم. قالوا: وماذاك يارسول الله؟ قال: ذكر الله دائما].

وعن الحسن رحمه الله، قال: الذكر ذكران؛ ذكر الله بين نفسك وبين الله، وماأحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ماحرم الله تعالى. وقد قال الله تعالى: [ولذكر الله أكبر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: له وجهان؛ أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه. والوجه الثاني؛ أكبر من كل عبادة سواه. قال الله تعالى: [فاذكروني أذكركم]. وقال سبحانه وتعالى: [اذكروا الله ذكرا كثيرا]. وقال تعالى: [فاذكروا الله كذكركم آباءكم، أو أشد ذكرا]. وقال جل وعلا: [فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم]. وقال عز من قائل: [واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال. ولاتكن من الغافلين].

فبين الله سبحانه، أن الغفلة ضد الذكر. فالذكر عدم النسيان لله، وعدم الغفلة عنه، عند ماحرم الله وعند مافرض الله. وعلى كل حال، فهذا هو الذكر القلبي، وهو الذكر الحقيقي، ولكن ورد في ذكر اللسان فضائل، وفوائد عظيمة جسيمة.

وفي الحديث، يقول الله تعالى: [أنا مع عبدي ماذكرني، وتحركت بي شفتاه]. وفي الحديث: [أصبح وأمس، ولسانك رطب بذكر الله، تصبح وتمس، وليس عليك خطيئة]. وسبق الحديث: [أن تموت ولسانك رطب بذكر الله]. وفي الحديث: [أكثروا من قول لاإله إلا الله، قبل أن يحال بينكم وبينها]. . . . [إذا قال العبد الحمد لله، ملأت مابين السماء والأرض. . . . الحديث]. . . . [من قال سبحان الله وبحمده، في اليوم مائة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر].

وفي الصحيح : [من قال لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات ، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل] . وفي رواية : [من قالها في كل يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي . ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا أحد عمل أكثر من ذلك] . وقال عليه السلام : [كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ؛ سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم] .

وقال صلى الله عليه وسلم : [أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولاإله إلا الله ، والله أكبر ، لايضرك بأيهن بدأتَ] . وعنه عليه السلام : [من قال حين يأوي إلى فراشه ؛ أستغفر الله الذي لاإله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، ثلاث مرات ، غفر له ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر ، أو عدد رمل عالج ، أو عدد ورق الشجر ، أو عدد أيام الدنيا] .

وأما قول سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به والمسلمين :

[وعليك بالصلوات فاعرف حقها ومكانها من دين ربك واخضع]
[وأحسن محافظة عليها واحضرن فيها ولاتغفل ولاتتوزع]

أوصى رضي الله عنه بالصلوات ، وبمعرفة حقها ، ومايجب وماينبغي لها ، وبمعرفة مكانها ، وقدرها ورتبتها ، في دين الله . فإن محلها من الدين محل الرأس من الجسد ، وكل ماليس له رأس ، باطل وفاسد . فلادين لمن لاصلاة له ، فإن الصلاة عماد الدين ، كما في الحديث .

وقوله : [واخضع] ، كما قال صلى الله عليه وسلم .

والدين يطلق على التوحيد ، وعلى الإسلام ، وعلى الطاعة ، وعلى الملة . ويطلق الدين على الحساب والجزاء ويوم القيامة . سمي يوم الدين لما فيه من الحساب والجزاء . ولأنه لايقبل فيه إلا التوحيد ، ولا يعلو فيه

إلا الإسلام، ولأنه ينفذ فيه الحكم، ويظهر فيه القهر. ويطلق الدين أيضا على الحكم وعلى القهر.

وقوله: [ربك] أي، سيدك، ومالكك، وخالقك، والقائم بأمرك، وهو الله تعالى. فالربوبية من التربية للقلوب والقوالب، في الدين والدنيا. قوله: [واخضع]، إرشاد إلى الخضوع لله تعالى سبحانه في الصلاة وغيرها، وهو ثمرة معرفة عظمة الرب، وحقارة النفس، وبذلك كمال الصلاة.

وقوله: [وأحسن محافظة] إلى آخر البيت، إرشاد إلى إحسان الصلاة، بكمال المحافظة عليها، وحسن الإقامة لها، بالقيام بشروطها وأركانها، وسننها وآدابها، وجميع مكملاتها ومهماتها، وتعرف أوقاتها، وعدم الغفلة عنها، والمبادرة بها أوائل أوقاتها، وكمال الحضور فيها، وصدق الإخلاص. وبأن لايغفل فيها ولايفرق خواطره ولايوزعها، بل يجتمع فيها بكليته قصدا ونية، وحركة وسكونا، لله تعالى وحده. ويجتهد في ذلك كله كل الجهد، وعلى الله الهداية بفضله، والتأييد والتسديد. ومن ذلك إكمال الطهارة في الثوب والبدن والمكان، والمحافظة على جميع السنن والآداب من غير وسوسة.

وفي الحديث الصحيح: [من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت جميع خطاياه من أعضائه، ودخل في الصلاة نقيا من الذنوب].

ومن ذلك، أعني حسن المحافظة على الصلاة، المبادرة بها. فأول الوقت رضوان الله، وآخره عفو الله. ويحافظ على الأذان للصلاة والإقامة لها، فإنه إذا نودي للصلاة، أدبر الشيطان، كما في الحديث.

وليجانب الخواطر، وحديث النفس فيها، ويحضر قلبه مع الله بالأدب والخشوع. فكل صلاة لايحضر فيها القلب، فهي إلى العقوبة أسرع، كما في الأثر. وفي الحديث: [ليس للعبد من صلاته إلا ماعقل منها].

وليستعن على ذلك، بترك العجلة وبالتأني، وإطالة الركوع والسجود ومابينهما. فإن من لايتم ركوعه وسجوده وخشوعه، يعد سارقا، كما ورد. وتقول له صلاته: ضيعك الله كما ضيعتني. وتخرج سوداء مظلمة، ويضرب بها وجهه، كما ورد في الحديث أيضا.

وليحافظ على الجماعة في الصلوات الخمس، فإنها تفضل على صلاته وحده، بسبع وعشرين درجة، كما في الصحيح. ومايتخلف عن الجماعة إلا منافق، كما قاله ابن مسعود رضي الله عنه.

وعنه عليه السلام: [ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات. إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط]. وورد: [أنكم لن تزالوا في صلاة ماانتظرتم الصلاة]. وورد: [أن بكل خطوة إلى الصلاة تكفير سيئة، أو كتب حسنة، ورفع درجة]. أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وليحافظ على الصف الأول، وعلى تسوية الصفوف، فإن ذلك من تمام فضيلة الجماعة. والجماعة من أهم المهمات في الصلوات الخمس، وخصوصا في العشاء والصبح. فمن صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل. ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما قام الليل كله، كما في الحديث. ومن صلاهما في جماعة، فهو في ذمة الله، حتى يصبح ويمسي، كما في الحديث أيضا.

فإذا كان هذا فضل صلاة الجماعة، فالجمعة أولى بذلك وأحق. وقد قال تعالى: [يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون]. مع ماورد من الأحاديث الكثيرة. وأن يوم الجمعة سيد الأيام، وفيه الساعة الشريفة، وفضل قراءة سورة الكهف، وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.

ومن تمام المحافظة على الصلوات، المحافظة على رواتبها القبليات والبعديات، والنوافل جوابر الفرائض، كما ورد. ومن آكد النوافل صلاة الوتر، والعيدين، والكسوفين. وكذلك صلاة الاستسقاء، وصلاة الضحى، والصلاة بين العشاءين. وفضائل ذلك مشهورة.

ومنها صلاة التسبيح العظيمة الفضل، ومن آكدها صلاة الليل، كما في القرآن والسنة، مما يكثر عدد فضله. قال الله تعالى: [قم الليل إلا قليلا. . . . إلى آخر ماذكر].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيآت، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد]. وفي الصحيح: [أن في الليل ساعة، لايوافقها عبد مسلم، سأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة]. . . . انتهى.

وأما ترك الصلاة، والعياذ بالله من ذلك، فهو شديد هائل. صح في الأحاديث والآثار، أنه كفر، وبراءة من ذمة الله ورسوله. وورد: [لاينظر الله إلى صلاة، لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه.

وورد: [من ألف مسجدا، ألفه الله]. وورد: [وإذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان]. وعنه عليه السلام: [يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد، فيقعدون فيها حلقا، ذكرهم فيها الدنيا، وحب الدنيا، فلاتجالسوهم، فليس لله فيهم حاجة]. قال سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد، فكأنما يجالس ربه. فما حقه أن يقول إلا خيرا.

وينبغي أن يحافظ على الوضوء، وعلى آدابه، والذكر بعده. وأن ينوي الاعتكاف في المسجد، ويصلي التحية، وأن يصلي إلى سترة،

ويحافظ على رفع اليدين عند التكبيرات في محلها، وعلى دعاء الاستفتاح والتعوذ والتأمين، والجهر في محله. وأن يكمل الركوع والسجود، بالاستواء والذكر المندوب فيهما، وفي الاعتدال ووضع الأعضاء مواضعها المندوبة لها، وكيفية القعود للتشهدين، ووضع اليدين والرجلين بالكيفيات المندوبة المأثورة، والالتفات في السلام، ونيته ونية القدوة في الجماعة، والسكتات المندوبة في محلها. وأن لايصلي مصفنا، ولامصفدا، ولاحاقنا، ولاحاقبا، ولاحازقا، ولاكافا شعرا ولاثوبا، ولامسدلا، ولامختصرا، ولاغضبان، ولاجائعا، ولاملتثما، ولامقعيا. وليجتنب النعاس، والتثاؤب، والعبث بالشيء، والحكاك، والالتفات، والسهو، والشك، ومسح الوجه، وتسوية الحصى، والتشبيك، والقرقعة بالأصابع، وستر الوجه، والنفخ عند السجود، والاستناد إلى شيء.

وعماد الصلاة وروحها، الحضور، والتفهم، والتعظيم لله تعالى، والرجاء فيه، والإخلاص له. وفي الحديث: [إن الله مقبل على المصلي مالم يلتفت]. . . . انتهى. فكيف بمن يلتفت بقلبه.

وفي الحديث أيضا، أن العبد إذا قام إلى الصلاة، رفع الله الحجاب بينه وبين عبده، وواجهه بوجهه الكريم، وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء، يصلون بصلاته، ويؤمنون على دعائه. وأن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء، إلى مفرق رأسه، ويناديه مناد، لو علم المناجي من يناجي ماالتفت. وأن أبواب السماء تفتح للمصلين، وأن الله يباهي ملائكته بصدق المصلي.

وفي التواراة مكتوب: [يابن آدم! لاتعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا، فإني أنا الله الذي اقتربت من قلبك، وبالغيب رأيت نوري]. ويقال: إن العبد إذا صلى ركعتين، عجب منه عشرة آلاف صنف من الملائكة، كل صنف منهم عشرة آلاف، وباهى الله به مائة ألف ملك. . . . . انتهى.

وتأمل في قوله تعالى: [قد أفلح المؤمنون. الذين في صلاتهم خاشعون . . . . . إلى أن قال سبحانه: والذين هم على صلواتهم يحافظون . . . . . إلى أن قال تعالى: أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس].

ورأيت في كتاب [جامع أسباب الخيرات] لمحمد بن عبدالله بن أسعد العمراني، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: [مثل هذا الدين كمثل الشجرة المثمرة في الحديقة، الإيمان أصلها، والصلاة عمادها، والصيام فرعها، والزكاة نماؤها، والجهاد سنامها، وحسن الخلق ثمرها]. وفي رواية، ذكرها عن أنس رضي الله عنه: [والكف عن محارم الله ثمرها].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: [من عقوبات المتهاون بالصلاة، أن ترفع بركة عمره ورزقه، وسيما الصالحين من وجهه، ولايقبل فيه دعاء الصالحين، ولايقبل دعاؤه، ولايؤجر على عمله، ويموت عطشان جائعا ذليلا، ويضيق قبره ويظلم، ولاينظر الله إليه، ولايزكيه، وله عذاب أليم].

ولهذا قال سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[والصوم والزكوات والحج إلى   بيت الإله فقم بفرضك واسرع]

أي، عليك بذلك، فبه يتم القيام بفروض الإسلام وأركانه. فالأول بعد الشهادتين الصلاة، ثم الصوم، ثم الزكاة، ثم الحج، فقم بهذه الفرائض وسارع إليها، فذلك أفضل ماتقرب به المتقربون إلى الله سبحانه، وهو أداء الفرائض الذي افترضها الله عز وجل عليهم.

واعلم أن الإسلام بيت مبني على خمسة أركان: الشهادتين، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج. والركن الأول فيه باب له مصراعان، يدخل منه إلى البيت.

وذكر الناظم الصوم بعد الصلاة. والصوم له ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

فصوم العموم، مافصله الأئمة في كتب الفقه، وهو الإمساك والكف للبطن والفرج عن المفطرات.

وأما صوم الخصوص، فهو إمساك الجوارح كلها عن الآثام، لأن الصوم في اللغة الإمساك، وإمساك الجوارح عن المعاصي فرض لازم على الدوام، فيغض البصر ويمسكه عمايذم شرعا، واللسان عما يكره شرعا، ويمسك السمع بمنعه إلى الإصغاء إلى المكروهات، تنزيها أو تحريما. وكذلك يمسك جميع الجوارح من اليد والرجل وغيرهما عن المكاره. ويكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، بل ولايستكثر من الحلال حينئذ، لأن مقصود الصوم إخلاء الجوف، وكسر شهوة النفس، وتضعيف قواها، تقربا من الملائكة المقربين في تنزههم عن الشهوات. فيقرب بذلك بوصفه من الله تعالى. وعلى ذلك من الأدلة مايكثر.

فقد ورد: [خمس يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذبة، والنظر بشهوة]. وجاء عن سفيان: الغيبة تفسد الصوم. هكذا رواه عنه بشر بن الحارث رحمهما الله تعالى. وروى الليث عن مجاهد: خصلتان يفسدان الصوم: الغيبة، والكذب.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: [إنما الصوم جنة، فإذا كان أحدكم صائما، فلايرفث ولايجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل: إني صائم]. وفي حديث المرأتين وجلوسهما على الغيبة، وقوله عليه السلام صامتا عما أحل الله، وأفطرتا على ماحرم الله عليهما، أي دليل، وأي معنى لصوم من يمتنع عن الحلال، مع الانهماك في المحرمات طول نهاره. فهو مثل من بنى قصرا وهدم مصرا.

وقال العلماء في حديث: [كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش]، هو الذي لايحفظ جوارحه عن الآثام، والذي يفطر

على الحرام، بل قالوا: لاينبغي أن يستكثر عند الإفطار من الحلال، فإنه لايتم انتفاعه بصومه. لأن سر الصوم وروحه تضعيف قوى النفس، التي هي وسيلة الشيطان في الإغواء للإنسان. فهذا صوم الصالحين الأبرار.

وأما صوم المقربين، الذين هم خصوص الخصوص، فهو إمساك القلب عن الهمم الرديئة، والأفكار الدنيوية، بل عما سوى الله بالكلية.

وأما الصوم العام، وجوبه على العموم المفهوم، لكل عاقل بأول سماع، المتيسر على الصالح والطالح، والخاص والعام، الذي من تركه في رمضان بغير عذر، فقد هدم ركن الإسلام، فهو المراد بصوم العموم.

وله شروط لابد لكل مسلم من معرفتها، والقيام بها، وهي مراعاة الوقت والنية بشروطهما، والإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم، والإمساك عن الاستمناء، بجماع أو غيره بشرطه، وعن القيء عمدا.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: [يأيها الذين آمنوا، كتب عليكم الصيام . . . . إلى أن قال: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . . . . إلى آخره].

وقد ورد: [أن أبواب السماء وأبواب الجنة تفتح كلها في رمضان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتقيد فيه مردة الشياطين، وينادي مناد كل ليلة: ياباغي الخير أقبل! وياباغي الشر أقصر! وأن أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. وأن الفريضة فيه تعدل سبعين فريضة في غيره، والنافلة تعدل فريضة في غيره.

فينبغي الاستكثار فيه من الخيرات، من قراءة القرآن، وكثرة الصدقة، وتفطير الصائمين، وصلاة التراويح بالأدب والخشوع من غير عجلة. وينبغي التحري والاستعداد لليلة القدر، خصوصا في العشر الأخيرة منه، الأوتار منها.

ومن السنة، تعجيل الإفطار، وكونه قبل الصلاة، وأن يكون على

التمر فالماء، وتأخير السحور، وأن يحافظ على صوم الأيام الفاضلة، وماتيسر له منها، مثل الأشهر الحرم، وعشر ذي الحجة، وعاشر المحرم، ويوم عرفة، وستة من شوال، وثلاثة أيام من كل شهر، وخصوصا أيام البيض، الثالث والرابع والخامس عشر من الشهر، فإنه يعدل صيام الدهر. وصوم عرفة يكفر سنتين، وهو أفضل أيام السنة، وصوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة.

وأفضل الصيام صيام داود. كان يصوم يوما ويفطر يوما. وصيام الإثنين والخميس، كل ذلك جاء فيه ترغيب عظيم. وورد: [للصائم فرحتان؛ فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه]. . . . [ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك]. والصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان. ولكل شيء باب، وباب العبادة الصوم.

وأما الزكاة، التي هي إحدى مباني الإسلام، الذي لايقبل الله صلاة ولاصياما ولاحجا إلا بها، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الله سبحانه وتعالى فيها: [وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة. . .]الآية، وغير ذلك من الآيات والأخبار. فعليك بها، كما قال الناظم رضي الله عنه: [والصوم والزكوات والحج إلى بيت الإله]، وجمعها تنبيها على أنواعها، إذ يجب في النقدين، وأموال التجارة، والثمار، والعنب، والتمر، والحبوب، والأنعام؛ وهي الإبل والبقر والغنم، بشروط. منها النصاب والحول في النقود والتجارات والأنعام. وعند الحصاد في الزروع والثمار. والواجب من النقد ربع العشر، وكذا التجارة. والعشور أو نصفه من الحبوب والثمار، وغير ذلك من الشروط والأحكام المفصلة في كتب الفقه.

وأما منع الزكاة، فمن أكبر الكبائر، وأفحش الفواحش، بل المن بالزكاة مبطل لثوابها، لقوله تعالى: [يأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كالذي ينفق ماله رئاء الناس]. فكيف بالمانع لها؟ وقد

وصف الله تعالى المنافقين بالصلاة والزكاة بقوله: [ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون]. ومن تشبه بقوم، فهو منهم.

فالمصلي مع الكسل، والمنفق ماله مع الكراهة، من المنافقين. فكيف بالتارك المعاند لله ولرسوله، باطنا وظاهرا. وقد قال تعالى: [وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة] وقال: [ومن يوق شح نفسه، فأولئك هم المفلحون]. فأفهم أن من لم يوق شح نفسه لا يفلح. وأعظم الشح، الشح بما فرض الله. فمانع الزكاة، والمقصر فيها، لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة.

بل ينبغي للمؤمن، أن يخرج الزكاة من أجود ماله، وأن يحتاط في إخراجها غاية الاحتياط، مخلصا لله تعالى. فإن الزكاة مطهرة لخبث البخل والشح، ودليل على محبة العبد لربه، حيث بذل محبوبه الذي هو المال لرضا ربه، وعلى شكره لنعمة ربه في ماله حيث أغناه، وأحوج غيره إليه. ولم يحوجه إلى غيره. فبخله بالزكاة مع هذا غاية الجهل والعمى. بل رؤيته لنفسه بالعطاء غاية الخطأ. فالمال والمالك له عبيد الله، وله المنة بما أعطاه وبما وفقه لبذله وهداه. فكيف والله يضاعفه له أضعافا كثيرة. ومن يبخل، فإنما يبخل عن نفسه، لأنه أحوج إلى ثواب صدقته، من الفقير إلى صدقته. وثوابه عند الله أعز وأعلى من صدقته.

وكذلك ينبغي للمؤمن، أن يخرج زكاته وصدقته، من أطيب ماله وأجوده، ولا يجعل لله مايكره، ولا يتيمم الخبيث منه ينفق، كما أشار إليه القرآن. وفي الحديث: [إن الله طيب، لا يقبل إلا طيبا].

وينبغي أن يعطي بوجه طلق مستبشر، فإن الدرهم على مثل هذا الحال قد يسبق ألف درهم مع ضدها. وأن يتحرى بصدقته أهل الفضل، ومن تزكو به صدقته وزكاته، كالصالح والعالم، وذوي الرحم، وذوي العيال. وقد ورد: [أطعموا طعامكم الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين].

وأما الحج إلى بيت الله الحرام، فهو أحد مباني الإسلام. قال الله تعالى: [ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا]. وقال سبحانه: [وأذن في الناس بالحج . . . . الآية].

وعنه صلى الله عليه وسلم: [حج مبرور خير من الدنيا ومافيها، وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة]. وعنه صلى الله عليه وسلم: [من ملك زادا وراحلة، ثم لم يحج، فلاعليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا]. وورد عنه عليه السلام: [يغفر الله للحاج ولمن استغفر له الحاج بقية ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وعشر من ربيع أول].

وأخرج أحمد والحاكم، وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من أراد الحج فليتعجل، فإنه تضل الضالة، ويمرض المريض، وتكون الحاجة]. وفي رواية الترغيب للأصبهاني: [تعجلوا إلى الحج، يعني الفريضة، فإن أحدكم لايدري مايعرض له]. وأخرج فيه أيضا، عن جابر مرفوعا: [من مات في طريق مكة، ذاهبا أو راجعا، لم يعرض ولم يحاسب].

وشروط لزوم الحج والعمرة: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة، والصحة، والأمن في الطريق، ونفقة الذهاب والإياب له، ولمن تلزمه نفقته بعد الدين مع وجود المركوب، وقوته أو كرائه.

وأركان الحج، التي لايصح إلا بها، خمسة: الإحرام، والطواف، والسعي بعده، والوقوف بعرفة، والحلق أوالتقصير على الأصح. وهي أركان العمرة، إلا الوقوف.

وواجبات الحج ست: كون الإحرام من الميقات، والرمي، والمبيت بمزدلفة لحظة بعد النصف الأول من الليل، والمبيت بمنى معظم الليل، وطواف الوداع، والصبر بعرفة إلى غروب الشمس على قول.

ووجوه أداء الحج ثلاثة: القران، والتمتع، والإفراد، وهو الأفضل

بشرطه. وصورته أن يقدم الحج وحده، فإذا فرغ منه خرج إلى الحل، وأحرم بالعمرة.

ومحرمات الحج: لبس المخيط، والتطيب، والحلق، والقلم، ودهن شعر الرأس واللحية، وكذا سائر شعر الوجه عند بعضهم، والجماع ومقدماته، والاستمناء، وعقد النكاح من الزوج والزوجة، وقتل صيد البر المأكول، وقطع أشجار الحرم حتى للحلال، ويحل أخذ نبات الحرم لعلف البهائم، وفي بيع ذلك خلاف.

ويتأكد على الحاج، البداءة بالتوبة، ورد المظالم، وقضاء الدين، وإعداد نفقة من تلزمه نفقته، والزاد الطيب الحلال، وتعلم مايحتاج إليه في السفر والحج، والاعتناء بالرفيق الصالح، والاستيداع والتوديع، والصلاة والدعاء قبل الخروج، وأذكار الخروج والركوب في السير والنزول.

وأن يغتسل للإحرام، ويستكمل النظافة، وأن يلبس للإحرام البياض، وأن ينوي الإحرام عند ابتداء السير، وأن يلبي على السنة، ويحافظ على الأغسال التسعة، والدخول من ثنية كَدَاء، والخروج من كُدًى، والذكر عند رؤية البيت، واستلام الحجر الأسود، ويسن تقبيله، ولايسن للثلاثة الأركان ولايكره، ويسن استلام الركن اليماني.

وأن يبدأ بالطواف المسنون مع مراعاة شروط الصلاة فيه، وجعل البيت عن يساره، وكونه سبعا داخل المسجد خارج البيت، وكونه عن يساره مع البداءة بالحجر الأسود، والأذكار المستحبة، والرمل والاضطباع، والاستلام، وإتيان الملتزم، والتعلق بالأستار، وكثرة الدعاء. ثُمَّ والصلاة خلف المقام.

وأن يخرج بعد الطواف إلى السعي من باب الصفا، ويرقى عليه، فيسعى إلى المروة، ويأتي بالأذكار المستحبة فيه، وسرعة السير في محله.

فإذا وصل المروة، حصل له مرة من السبع، فيرقى عليها كالصفا. وليس للسعي شروط الطواف.

ووقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر، ليلة النحر. وليكثر في عرفات من أنواع الدعاء، والتهليل، والتحميد، والاستغفار مع التوبة. ومن فاته الوقوف، تحلل بأعمال عمرة، ويقضي من العام القابل، ويذبح.

وليحافظ على الأدعية النبوية، وَلْيُفِضْ من عرفة على السكينة، ويبيت بمزدلفة، ويؤخر المغرب إلى العشاء بمزدلفة، قال بعضهم: إن قصدها، وإلا فيقدم الصلاتين، وإن لم يكن على مسافة القصر، كما في [المنسك] للنووي، خلاف مافي الروضة. ويأخذ منها سبعين حصاة للرمي صغارا، ويقف ويدعو بالمشعر الحرام. فإذا بلغ وادي محسر أسرع فيه. فإذا وصل جمرة العقبة، رماها بعد الإشراق بسبع حصيات رافعا يديه مكبرا، ويحلق. وبالحلق والرمي يحصل له التحلل الأول.

ثم يفيض لطواف الركن، فإذا طاف تَمَّ تحلله، ولم يبق عليه إلا رمي الجمار أيام التشريق، والمبيت بمنى، وهي واجبات، لاأركان. فيلزم بتركها كسائر الواجبات دم، ويرجع لذلك بعد طواف الركن.

وإن كان حجه قد تم، وإحرامه قد ارتفع، فإذا زالت الشمس ثاني يوم العيد، اغتسل ورمى الجمرة الأولى إلى عرفة، فإذا تعداها، استقبل، ودعا، وأطال، ثم تقدم إلى الجمرة الوسطى، هكذا. ثم إلى جمرة العقبة. فإذا صلى الظهر ثاني أيام التشريق، رمى هكذا. وله النفر حينئذ مالم تغرب الشمس، وإلا لزمه المبيت بمنى تلك الليلة والرمي ثاني يوم. ومن ترك الرمي، لزمه دم، وتصدق باللحم.

وينبغي بعد الإفاضة من منى، أن يقيم بالمحصب، ويصلي العصر والمغرب والعشاء. وينبغي الإكثار من الاعتمار بعد الفرض. ويكثر الطواف، والنظر إلى البيت لما في ذلك من الفضائل والرغائب.

وليكثر من شرب ماء زمزم. فقد ورد: [ماء زمزم لما شرب له].

وليجعل آخر أشغاله طواف الوداع، فإنه واجب، ولايرمل فيه ولايضطبع. فإذا صلى ركعتيه، شرب من ماء زمزم، ودعا في الملتزم.

وليحرص على زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما فيها من الفضل. وليكثر في طريقه من الصلاة عليه، وليدع عند رؤية بلده عليه السلام، وليدخلها متواضعا معظما، ويقصد المسجد، ويصلي في موقفه عليه السلام، ثم يقابل وجهه الكريم على نحو أربعة أذرع من جدار القبر، ويسلم عليه، ويكثر الدعاء.

ثم يسلم على أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، ثم يرجع إلى محله، ويستقبل القبلة، ويكثر من التضرع والدعاء.

ثم يأتي الروضة، ويكثر الدعاء، ويدعو عند المنبر، ويضع يده على محل يده عليه السلام على رمانة المنبر.

ويزور عثمان ومن في البقيع من أهل البيت. ويزور الشهداء بأحد، ويأتي قباء، وبئر أريس، ومسجد الفتح، وسائر المشاهد حسب الطاقة. فإن أمكنه الإقامة، فليغتنم شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم وشهادته يوم القيامة، كما ورد. وإلا فليستودع بآداب الوداع. ويرجع بآداب الرجوع المذكور كغيرها، مما ذكره وأشار إليه في [إحياء علوم الدين]. فإن الاستمداد هنا منه، والمعول عليه.

ومما يتأكد وينبغي للحاج، ترك الرفث، والفسوق، والجدال. والرفث اسم جامع لكل لغو، وخنى، وفحش من الكلام. والفسوق، اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله تعالى. والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة مما يناقض حسن الخلق.

وينبغي أن يكون رث الهيئة، أشعث، أغبر، تاركا للتفاخر. كما ورد في الحديث. وقال تعالى: [ثم ليقضوا تفثهم]، أي شعثهم واغبرارهم وقضاءهم له بالحلق ونحوه.

وأن يترك زي الشهرة والحمرة، ويرفق بدابته، ويحسن إليها وإلى خادمه. وأن يتطوع بإراقة دم، ويراعي النفاسة فيه، فإنه أحب الأعمال، كما ورد. وأن بكل صوفة وقطرة حسنة. وأن يري الحج العج والثج. العج، رفع الصوت بالتلبية. والثج نحر البدن.

واعلم أن سفر الحج، على مثال سفر الآخرة. فالوداع فيه، كالوداع عند الموت. ومفارقة الوطن فيه، كالخروج من الدنيا بالموت. وركوب الجمل، ركوب الجنازة. وأثواب الإحرام الأكفان. والبادية ميقات القيامة. وقطاع الطريق، منكر ونكير. وسباع البراري، عقارب القبر. ووحدة السفر، وحشة القبر. والتلبية إجابة دعوة البعث. وهكذا سائر الأعمال يتذكر عندها المعاني الموازنة لها. [ومايتذكر إلا من ينيب].

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[واعلم بأنك عن قريب ميت   فاذكر مماتك واخش سوء المصرع]

فيه الإعلام باستشعار قرب الموت، والإرشاد إلى ذلك الأمر، بذكر الموت وتذكره، والفكر فيه، والخوف من سوء مصرعه، وهجوم منيته، وبعدم الغفلة عن ذلك، يستعد له بالتوبة النصوح، ودوام الرجوع إلى الله، بكثرة الأعمال الصالحة، ومجانبة الكسل والاغترار، والبطالة والتعويل، على أمر العاجلة الفانية.

ثم قال الناظم رضي الله عنه آمين:

[واذكر بأنك عن قليل صائر   في بطن قبر من فلاة بلقع]

فهو إرشاد وإيصاء منه، بذكر القبر وتذكره والفكر فيه، واستشعار قرب المصير إليه، بالانتقال من الحياة الدنيا، إلى حفرة القبر، من الأرض الخلية، وفي ذلك الأمر بالاستعداد له. فلن يستعد للقبر، من غفل عنه،

ولايذكره من لم يتذكره، ولايتذكره على الكمال، من لم يصغ إلى المذكرات له.

وقد قال الله تعالى: [قل إن الموت الذي تفرون منه، فإنه ملاقيكم، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة، فينبئكم بما كنتم تعملون]. وقال عليه السلام: [أكثروا من ذكر هاذم اللذات]. وفي رواية: [أكثروا من ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب، ويزهد في الدنيا].

وقال الحسن: مارأيت عاقلا قط، إلا أصبته من الموت حذرا، وعليه حزينا. وقال الربيع بن خيثم: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة، لفسد.

ومن أبلغ المذكرات بالموت، ذكر موت الأقران والإخوان، وكيفية موتهم، وخلو أماكنهم عنهم. وكذلك دخول المقابر، ومشاهدة المرضى. وفي الحديث: [والذي نفسي بيده، إن ما توعدون لآت، ومـاأنتم بمعجزين]. وفي الحديث الآخر: [أحبب ماأحببت، فإنك مفارقه، وعش ماشئت، فإنك ميت].

ومن أبلغ المذكرات، التفكر في القبر، ومايلقاه فيه الميت، وبعده من الحشر والنشر وأمور القيامة. فلهذا أردف الناظم ذكر الموت، بذكر القبر، وما بعده في البيتين بعده. وفي الحديث: [أزهد الناس من لم ينس القبر، والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر مايبقى على مايفنى، ولم يعد غدا من أيامه، وعد نفسه من أهل القبور]. وورد عنه عليه الصلاة والسلام: [إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه، فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه، فما بعده أشد].

وقال حاتم الأصم: من مر بالمقابر، فلم يتفكر في نفسه، ولم يدع لهم، فقد خان نفسه وخانهم. وقال شقيق: من أكثر ذكر القبر، وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكر القبر، وجده حفرة من حفر النيران.

ووجد على قبر مكتوب:

إن الحبيب عن الأحباب مختلس لايمنع الموت بواب ولاحرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يامن يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت ياغافلا في النقص منغمسا وأنت دهرك في اللذات منغمس
لايرحم الموت ذا ملك لعزته ولاالذي كان منه العلم مقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا مابه خرس
قد كان قصرك معمورا له شُرَفٌ فقبرك الآن في الأجداث مندرس

. . . . انتهى.

ووجد أيضا على قبر، هذا الشعر:

ياأيها الناس كان لي أمل قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه في حياته العمل

ومن حكمة لقمان عليه السلام: أمر لاتدري متى يلقاك، استعد له قبل أن يفجأك.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من مات، وهو يعلم، أن لاإله إلا الله، دخل الجنة]. ولما حضرت عمر بن عبدالعزيز الوفاة، قال: أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ثلاث مرات، ولكن لاإله إلا الله.

وورد عنه عليه الصلاة السلام: [زوروا موتاكم، فسلموا عليهم، وصلوا عليهم، فإن لكم فيهم عبرة]. وورد: [زر القبور، تَذْكُرْ بها الآخرة. واغسل الموتى، فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة. وصل على الجنائز، لعل ذلك أن يحزنك، فإن الحزين في ظل الله].

فلزيارة القبور نفع، باعتبار الزائر بالموتى، وتذكر أحوالهم، ومصيره إلى مثل ماصاروا إليه.

واعلم أن حقيقة الموت، مفارقة الروح العالمة المدركة للجسد، وانقطاع تصرفها فيه مع بقائها، أعني الروح باقية بعد مفارقة الجسد، كما أفهمته الأخبار والآثار، وشهدت به طرق الاعتبار، وإنما تزعج عن الجسد إلى عالم آخر. فينبغي أن لايفرح المؤمن بالدنيا المفارقة له، بمفارقة الروح للجسد، بل يفرح بما يبقى معه بعد المفارقة، من العلم بالله، والأنس بطاعته، وذكره، والخشوع له، والتضرع، والابتهال بين يديه، ليتنعم بذلك بعد الموت، ولايعذب بالحسرة على الدنيا، ومتاعها من كل مايفارقه بالموت، مما يحتاج للحواس في نيله. والموت يقطع الحواس، ويذهبها بذهاب الروح الحيواني.

وأما الروح المكلف، فلايفنى بالموت، بل يتبدل حاله بالموت، وينكشف له به مالم يكن مكشوفا قبله، ولعله يشير إليه قوله تعالى: [لقد كنت في غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك].

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به، وبعلومه في الدارين آمين، ورضي عنه:

[ومن القبور إلى النشور لمحشر   والوزن والجسر المهول الأشنع]

فهو تذكير بما بعد الموت، من النشر لأهل القبور، ثم الحشر، فالوزن، فالصراط. قال الله تعالى: [ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره]. وقال سبحانه: [أفلا يعلم إذا بعثر مافي القبور. وحصل مافي الصدور. إن ربهم بهم يومئذ لخبير]. وقال عز وجل: [ونفخ في الصور، فإذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون].

والحشر هو السوق للخلائق إلى أرض المحشر التي هي قاع صفصف، لاترى فيه عوجا ولاأمتا. قال تعالى: [ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا] أي، لم نترك منهم أحدا. وقال تعالى: [وعرضوا على ربك صفا، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول

مرة، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا]. وقال سبحانه وتعالى: [يوم تشقق الأرض عنهم سراعا، ذلك حشر علينا يسير].

وفي الحديث: [يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرص نقي، ليس فيها مُعْلَمٌ لأحد]. وورد: [يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركبانا، ومشاة، وعلى وجوههم]. وورد: [يبعث الناس حفاة عراة غرلا، قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم آذانهم]. وفي رواية: [النساء مختلطات بالرجال]. وفي رواية: [يحشر الناس أجوع ماكانوا قط، وأعطش ماكانوا قط، وأعرى ماكانوا قط، وأنصب ماكانوا قط. فمن أطعم لله، أطعمه الله، ومن سقى لله، سقاه الله، ومن كسا لله، كساه الله، ومن عمل لله، كفاه الله. فإذا أخرجوا من قبورهم، أمروا بالمسير إلى أرض المحشر]. . . . . . انتهى.

وقد جاء أن المحشر إلى الشام، وأن السائق لهم إليها نار تخرج من قعر عدن أو من برهوت، واد بأسفل حضرموت. وأن صاحب العمل الصالح يستأنس بعمله، وصاحب العمل السوء يستوحش به، وربما يحمله على ظهره. قال تعالى: [وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم. . . الآية]. وقال تعالى: [وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم].

وورد: [أن المتكبرين يحشرون في صورة الذر، يطأهم البر والفاجر، وأهل النميمة على صورة القردة، وأهل السحت والحرام والمكس على صورة الخنازير، وأهل الربا منكسة وجوههم يسحبون عليها وأعلاهم أرجلهم، ومن جار في الحكم يحشر أعمى، وأهل العجب بأعمالهم صم وبكم، ومن يخالف قوله فعله من القضاة والعلماء، يمضغون ألسنتهم، والذين يؤذون الجيران مقطعة أيديهم وأرجلهم، والسعاة بالنميمة إلى الولاة مصلبين على جذوع النخل، والذين يمنعون

الزكاة ويتمتعون بالشهوات أشد نتنا من الجيفة، وأهل الفخر والخيلاء والكبر يلبسون جلابيب سابغة من قطران].

وورد عنه عليه السلام: [يحشر الناس في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس من رءوسهم، حتى تكون قدر ميل، ويذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا. والمرء في ظل صدقته. ومن أنظر معسرا أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه. وسبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله، كما ورد في ذلك، حتى أن الكافر يقول: رب أرحني، ولو إلى النار، حتى يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما، [وجاء ربك والملك صفا صفا. وجيء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. يقول ياليتني قدمت لحياتي]. . . . [وجيء بالنبيين والشهداء، وقضي بينهم بالحق، وهم لايظلمون]. . . . [وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وقضي بينهم بالحق، وقيل الحمد لله رب العالمين]. . . . [فلنسألن الذين أرسل إليهم، ولنسألن المرسلين. فلنقصن عليهم بعلم وماكنا غائبين. والوزن يومئذ الحق، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون]. . . . إلى آخر ماذكره، مما ذكرناه.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم، أنه يبلى من الإنسان كل شيء، إلا عظما واحدا، وهو عَجْب الذنَب. فمنه يركب الخلق، وهو أعني عجب الذنب، عظم صغير نحو الخردلة في آخر فقر الصلب، ينبت منه الإنسان بقدرة الله، من حيث ينبت الزرع بعد ماتمطر عليهم مطر غزير، تشبه المني، يقال لمائها الحيوان، يرتفع فوقهم اثني عشر ذراعا. وأصله من تحت العرش، وبسببه ينبتون بأمر الله لهم. ثم ينفخ فيهم أرواحهم بأمر الله تعالى.

ثم تنشق عنهم الأرض، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض، فيخرجون منها شبابا أبناء ثلاث وثلاثين سنة.

[مهطعين إلى الداعي، يقول الكافرون هذا يوم عسر]. . . . [وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد] من الحفظة الكرام، فتسوقهم الملائكة إلى أرض المحشر، الأرض المباركة المقدسة، معهم نار تخرج من قعر عدن، أو من برهوت، الذي بأسفل حضرموت، كما مر ذلك. تسير معهم تلك النار حيثما ساروا، فيجتمعون في الموقف العظيم جنهم، وإنسهم وشياطينهم، وجميع حيواناتهم، فتحيط بهم الملائكة صفا خلف صف، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ بهم من الكرب والعطش، والحر والعرق، حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، ومنهم من يغطيه عرقه. وكل إنسان في ظل صدقته. وسبعة يظلهم الله في ظله، يوم لاظل إلا ظله. وهم أهل العدل والمنشأ في العبادة، والتعلق بالمساجد، والمحبة في الله، والورع عن المحارم مع القدرة عليها، خوفا من الله، والإسرار بالصدقة لوجه الله، وفيضان الدمع عند الخلوة بذكر الله. وورد أيضا: [من أنظر معسرا أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه].

ثم ينجي الله المؤمنين بشفاعة سيد الشفعاء، صاحب المقام المحمود، محمد صلى الله عليه وسلم حين يقول: أنا لها! أنا لها! فيريح الله الخلق ببركاته صلى الله عليه وسلم. ولايزال يقول: أمتي! أمتي!

ثم بعد ذلك تعرض الخلائق على ربهم للحساب، [وجيىء بالنبيين والشهداء]. . . . [وجاء ربك والملك صفا صفا، وجيىء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان، وأنى له الذكرى. . . الآية].

فتجعل جهنم عن يسار العرش. والجنة عن يمينه. [ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية] أملاك. وهم أول من يجيىء، ثم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فيحرر الحساب ويستقصى، [والله سريع الحساب].

فمن الناس من يناقش في الحساب، ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا، ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب، وذلك [يوم تبيض وجوه،

وتسود وجوه]. يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وجلودهم وفروجهم وبقاع الأرض بما عملوا عليها. قال الله تعالى: [يومئذ تحدث أخبارها]. أي، تشهد بماعملوا معينا بزمانه ومكانه. يوم يرجعون إليه سبحانه فينبئهم بماعملوا. [ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم... الآية]، وماقبلها.

فيسأل الله المرسل والمرسل إليه، كما قال تعالى: [فلنسألن الذين أرسل إليهم، ولنسألن المرسلين. فلنقصن عليهم بعلم، وماكنا غائبين. والوزن يومئذ الحق.... الآية]. وإليها أشار سيدنا الناظم بقوله: [والوزن والجسر المهول الأشنع]. قال الله تعالى: [ونضع الموازين القسط ليوم القيامة، فلاتظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل، أتينا بها وكفى بنا حاسبين]. وقال جل وعلا: [والوزن يومئذ الحق، فمن ثقلت موازينه .... إلى قوله تعالى يظلمون].... [فأما من ثقلت موازينه، فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه، فأمه هاوية]. ومن استوت حسناته وسيآته، وقف ثم يصير إن شاء الله إلى الجنة.

ثم يوضع وينصب الصراط على جهنم إلى الجنة، فلايصلون إلى الجنة إلا بعد الورود على جهنم، كما في الآية. ويمر على الصراط كل على قدر تقواه واستقامته على طاعة ربه في دار الدنيا. [وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم .... الآية].... [ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا].

وأما حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو أشد بياضا من اللبن، وأطيب من المسك، وأحلى من العسل، يصب فيه من الكوثر، عرضه مسيرة شهر، وطوله كذلك. من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدا.

وأول من يؤذن له في الشفاعة، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعظمها الشفاعة في فصل القضاء. ومن شفاعاته في إخراج قوم من أمته

من النار، وفي زيادة درجات الآخرين، وفي من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه، كما ورد في من قد أمر به إلى النار.

فأما قول سيدنا الناظم نفع الله به:

[ثم المصير لجنة ونعيمها أو حر نار والعذاب الأفظع]

فنسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار. فالسعيد من آمن بالله، وصدق بالجنة ونعيمها، وبالنار وسعيرها، وماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل بما صدق به، وعمل له، وخاف مما خوفه الله به من عذاب جهنم، ورغب فيما رغبه الله من نعيم الجنة، وأصناف سرورها مما جاء في القرآن، والأحاديث الحسان، كسورة الرحمن من قوله تعالى: [ولمن خاف مقام ربه جنتان.....] إلى آخر السورة. وقال تعالى: [وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا، حتى إذا جاءوها، وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها....] إلى آخر ماذكر تعالى.

فللجنة ثمانية أبواب. من كان من أهل الصلاة، دعي من بابها. ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان. ومن كان من أهل الصدقة، دعي من بابها. ومن كان من أهل الجهاد، دعي من بابه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم، أن في الجنة غرفا من أصناف الجواهر كله، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من النعيم واللذات مالاعين رأت ولاأذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر.

قال جابر، راوي الحديث، قلت: [يارسول الله! لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام]. وقال ربنا جلت قدرته: [وسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين....] إلى آخره. وقال تعالى: [يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير].

وقال صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: [إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة، فيها تضيء مابين المشرق والمغرب]. وقال صلى الله عليه وسلم: [أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، لايبصقون فيها، ولايتمخطون ولايتغوطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لااختلاف بينهم ولاتباغض، قلوبهم على قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا]. وفي رواية: [على كل زوجة سبعون حلة].

وفي صحيح البخاري: [الخيمة درة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلا، في كل زاوية منها للمؤمن أهل، لايراهم الآخرون]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: [الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من الذهب]

وعنه عليه الصلاة والسلام: [مابين الفراشين كما بين السماء والأرض]، ذكره عند قوله تعالى: [وفرش مرفوعة]. وقال تعالى: [كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا، قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابها]. وقال سبحانه في صفة الحور: [كأنهن الياقوت والمرجان].

وورد، أنه ينظر وجهها في خدها أصفى من المرآة، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوبا، ينفذها بصره، حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك.

وقال كعب رحمه الله: غرس الله الجنة بيده، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون. وقال الحسن البصري رحمه الله ونفع به: رمان الجنة مثل الدِّلَاءِ، وأن أنهارها لمن ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من عسل مصفى، لم يصفه الرجال، وأنهار من خمر لذة للشاربين لايسفه، ولاتصدع منه الرءوس، وأن فيها مالاعين رأت، ولاأذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر، ملوك ناعمون أبناء ثلاث

وثلاثين سنة، في سن واحد، طولهم ستون ذراعا، كَحْلىَ جُرْدٌ مُرْدٌ، قد أمنوا العذاب، واطمأنت بهم الدار، وأن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد، وأن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ، وثمرها لايعلم عظمها إلا الله، وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام، وأن لهم فيها خيلا وإبلا، حفافة رحالها، وأزمتها وسروجها من ياقوت، يتزاورون فيها، وأزواجهم الحور العين، كأنهن بيض مكنون. وأن المرأة لتأخذ بين إصبعيها سبعين حلة، فتلبسها، فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين الحلة.

وقد طهر الله الأخلاق من السوء، والأجساد من الموت، لايتمخطون فيها ولايبولون ولايتغوطون، وإنما هو جشاء ورشح مسك، لهم فيها رزقهم بكرة وعشيا. أما إنه ليس بِكَرٍّ الغدو على الرواح، والرواح على الغدو.

وأن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة، يمد له في بصره وملكه مسيرة ألف عام، في قصور الذهب. وخيام اللؤلؤ، ويفسح له في بصره. حتى ينظر إلى أقصاه، كما ينظر إلى أدناه، يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من الذهب. ويراح عليهم بمثلها، في كل صحفة لون ليس في الأخرى، يجد طعم آخره، كما يجد طعم أوله. وأن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار، وفي كل دار سبعون ألف بيت، ليس فيها صدع ولاثقب... انتهى.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء، يقال لها العيناء، إذا مشت، مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر؟

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: [لقاب قوس أحدكم، أو موضع قدمه من الجنة، خير من الدنيا ومافيها. ولنصيف المرأة على رأسها، أي خمارها، خير من الدنيا ومافيها].

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: ترك الدنيا مهر الجنة، وتركها شديد، وقوت الجنة أشد. وعن الإمام علي رضي الله عنه: إذا انتهوا إلى باب الجنة، تلقاهم الولدان، يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم الغريب، يقدم عليهم من غيبته، يقولون له: أبشر بماأعد الله لك من الكرامة. فإذا انتهى إلى منزله، نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جَنْدَل اللؤلؤ، وفوقه صرح أخضر وأحمر وأصفر، ثم يرفع رأسه، فإذا أزواجه، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة. ثم ينادي مناد: تحيون فلاتموتون أبدا، وتقيمون فلاتظعنون أبدا، وتصحون فلاتمرضون أبدا. اللهم لاتحرمنا هذا النعيم العظيم، وفرحة اللقاء، وسرور الرضا، ولاتجعلنا ممن باع ذلك بثمن بخس، وشهوات في الدنيا حقيرة منغصة، في أيام قصيرة، وحرم بها جوار الرحمن، ونعيم الرضوان، فصار من حطب النيران، نادما على مافرط في جنب الله، وما ضيع من عمره، في سوء العمل، وارتكاب الزلل، في حر النار، والعذاب الأفظع، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين، آمين رب العالمين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: [في جهنم سبعون ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف ثعبان، وسبعون ألف عقرب، لاينتهي الكافر والمنافق، حتى يواقع ذلك كله، ولو أن دلوا من غساق جهنم، ألقي في الدنيا، لأنتن أهل الأرض].

وقال الله تعالى: [ثم إنكم أيها الضالون المكذبون. لآكلون من شجر من زقوم. فمالئون منها البطون]. فهذا طعام أهل النار، وشرابهم الغساق، الماضي ذكره.

وقال تعالى: [فشاربون عليه من الحميم]. وقال تعالى: [وسقوا ماء حميما، فقطع أمعاءهم]. وقال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لو أن قطرة من الزقوم، قطرت في بحار الدنيا، لأفسدت

على أهل الدنيا معائشهم]. فكيف بمن يكون طعامه ذلك. والزقوم، كما قال تعالى: [شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رءوس الشياطين . . . . إلى قوله: لشوبا من حميم]. وقال تعالى: [وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل]. وقال تعالى: [ويسقى من ماء صديد. يتجرعه ولايكاد يسيغه، ويأتيه الموت من كل مكان، وماهو بميت].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يقرب إليه فيكرهه، فإذا أُدْنِيَ منه، شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه، قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره] . . . . . . انتهى.

وغضب الله في النار، أشد من النار. وحجاب أهل النار من ربهم، أشد من النار. قال الله تعالى: [كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم]. نعوذ بالله من الحجاب عن الله، والنار وغضب الجبار.

وقال تعالى: [سأصليه سقر. وماأدراك ماسقر. لاتبقي ولاتذر]. وقال تعالى: [كلا لينبذن في الحطمة. وماأدراك ماالحطمة. نار الله الموقدة]. . . . إلى آخر السورة. وقال جل وعلا: [إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها] . . . . الآية. وقال: [إن الذين كفروا بآيٰتنا، سوف نصليهم نارا، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها]. قال الحسن في تفسير هذه الآية: تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا، فيعودون كما كانوا. نسأل الله العافية.

وقد قال تعالى: [والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا، ولايخفف عنهم من عذابها، كذلك نجزي كل كفور. وهم يصطرخون فيها، ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل. . . . الآية]. وقال تعالى: [إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. لايفتر عنهم، وهم فيه مبلسون. . . . إلى قوله تعالى . . . . ماكثون].

وكفى بالحذر من النار والخوف منها، قوله صلى الله عليه وسلم: [أوقد على نار جهنم ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة. وإن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي بهما دماغه، كالمِرْجَلِ يغلي، مايرى أن أحدا أشد عذابا منه، وإنه لأهونهم عذابا. [ولكن الهدى هدى الله، يهدي به من يشاء]. اللهم اهدنا فيمن هديت، بجودك وكرمك، وفضلك ورحمتك.

ثم قال الناظم:

[يارينا ياربنا والطف بنا   واغفر لنا وارحم وألف واجمع]

توسل رضي الله عنه بحضرة الربوبية، بضمير الجمع، في طلب اللطف والمغفرة، والألفة والجماعة، والجمع على مايحبه الله تعالى منهم، ويرضى به عنهم.

والربوبية هي الوجود كله. فالله سبحانه هو الرب، وماسواه هو العبد. فليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله. ولكن وجود الله هو الحق الواجب بالذات، وكل ما سواه تعالى، إنما هو موجود به تعالى، ليس وجوده بنفسه. والرب يطلق على المعبود، وعلى السيد والمالك، والمصلح والمربي، والقائم بالأمر، والمنشيء للشيء، والخالق. وأصله في لغة العرب، مصدر من التربية، واسم الفاعل رَابٍ. ثم أطلق على من يرب ربا، ويصح رب اسم فاعل حذفت ألفه كبَّار وبر. ولايطلق الرب بالتعريف على غير الله تعالى.

واللطف هو تيسير الأمور، وتسهيلها مع غاية الرفق، من جميع الوجوه. وأفضل الأمور المطلوبة للطالب، سعادة الأبد، ولايقدر على تمام اللطف وكماله بالعبد، إلا ربه ومولاه وسيده. لإحاطة علمه بدقائق الأمور، وخفيها من جميع وجوهها، وكمال قدرته على إيجادها وإيصالها

إلى عبده. ومن عرف ذلك، لمح اتصافه سبحانه باللطف على قدر معرفته، فيكون طالبا من الله اللطف بالحال وبالقال.

وأما المغفرة، فمعناها الستر للقبائح والذنوب في الدنيا بإخفائها، وفي الآخرة بالتجاوز عنها. فيستر سبحانه وتعالى قبائح عبده وسيآته، بثواب حسناته التي يسرها له، ووفقه لها. وقد أمر سبحانه بالستر على العورات، وهو سبحانه أولى بذلك، وهو الغفار الرحيم.

ومعنى رحمة الله المطلوبة، إفاضة خيراته على المحتاجين إليها، وإرادته ذلك لهم، عناية بهم في الدنيا والآخرة، للمستحق وغير المستحق، من الله لاعلى الله، ومن خيراته سبحانه عطفه علينا بالهداية إلى الإيمان، والأعمال الصالحات، وسائر أسباب السعادات، وتمامها في الآخرة، وإكمالها بالنظر إلى وجهه الكريم. فلذلك طلب الناظم، تقبل الله منه بعد ذلك، ألفة الجمع واجتماعه، مع من طلب له معه ذلك. وطلب أيضا ألفة القلوب في الدنيا على الطاعات والخيرات، والاجتماع في الآخرة بقرب من جوار الله في دار كرامته، ومقعد صدقه وعنديته.

ثم إن الرحمة صفة لذاته، أثرها الإحسان والفضل، وهي أيضا عين الإحسان والجود والامتنان، ويطلق على الرزق، ويطلق على الجنة، وعلى الرضا والنعمة، والمطر والشمس، لأنها رحمة منشورة. ويطلق على القرآن، كما قال تعالى: [تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة]. ويطلق على محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى الإسلام، كما في قوله: [يختص برحمته من يشاء]. . . . [وآتاني رحمة من عنده]. . . . [وأنتم لها كارهون]. وعلى النبوة والرسالة كقوله تعالى: [أهم يقسمون رحمة ربك].

فالرحمة الذاتية، إرادة الخير، والرحمة الفعلية، هي نفس الإنعام. والفعلية هي الموصوفة بقوله تعالى: [تغلب رحمتي غضبي]، كما في الحديث. وهي التي تسمى مخلوقة ومجعولة. وكقوله عليه الصلاة والسلام: [جعل الله الرحمة مائة جزء]، كما في الأحاديث أيضا.

ومعنى الرحمن الرحيم، ذو الرحمة الواسعة المتكررة العطف بالجود والإحسان الواسعين، لكل الوجود من العرش إلى الفرش. كما قال تعالى: [ورحمتي وسعت كل شيء].

ثم أن الناظم طلب الخير أيضا لكل كسير، والتوفيق للذي يرضيه عنه، وعمن طلب له ذلك. فقال رضي الله عنه:

[يارب واجبرنا ووفقنا لما   يرضيك عنا أنت أسمع من دعي]

فإنه سميع الدعاء، القادر على مايشاء، لاقادر على الحقيقة سواه، ولارب غيره، ولاخير إلا خيره، مجيب دعوة المضطرين، وكاشف السوء، وأرحم الراحمين.

ثم طلب الناظم نفع الله به ختم الأعمار باليقين والهداية، ودفع الزيغ. فقال رضي الله عنه:

[يارب واختم باليقين وبالهدى   أعمارنا والزيغ عنا فادفع]

فـ[اليقين] هو استقرار الإيمان، وثبوته وقوته وغلبته على القلب، وتمكنه منه. وقد تقدم ذكر اليقين في هذا الشرح، والإيمان أصله.

فالإيمان هو التصديق بما جاءت به الرسل من عند الله، من الخضوع والاستسلام بالإسلام، وقبول الأحكام. ولايكمل الإيمان المذكور إلا بالعمل بالأحكام الإسلامية. ولايحمل على العمل بها، إلا اليقين الغالب على القلب.

و[الهدى] هو التعريف والتسديد، والتوفيق والتثبيت، والتنوير والتبصير، من الله العليم القدير، للعبد العاجز الخطير الحقير. و[الزيغ] عكس ذلك، نعوذ بالله منه.

ثم طلب رضي الله عنه الجمع منه تعالى له، مع أحبابه في أطيب

المواضع، وأشرف المحال، دار الكرامة، وجوار الرب الكريم، جنة الفردوس. فقال تقبل الله منه، ونفعنا به آمين:

[يارب واجمعنا وأحبابا لنا   في دارك الفردوس أطيب موضع]

ثم اعترف رضي الله عنه بأن طلبه لا لاستحقاق، ولكن:

[فضلا وإحسانا ومنا منك يا   ذا الجود والفضل العظيم الأوسع]

طلبا منه لفضل ربه وإحسانه، ومنه بجوده وفضله العظيم، الذي ليس أوسع منه ولاأعظم. فإنه لولا هذا الجود، لما ظهر وجود، ولاعرف الحق الواجب الوجود الذي ليس لغيره معه وجود. ومن إحسانه وجد كل موجود، وشهد به حقيقة الوجود.

ثم سأل من ربه تعالى تتميم القصيدة، بصلاته وسلامه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون ذلك ختاما لها، وختم الجميع حمد الله الكريم. فقال رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

[واجعل صلاتك والسلام مضاعفا   لنبيك المختار خير مشفع]
[المصطفى الهادي إليك محمد   والآل والأصحاب ثم التابع]

صلاة الله على نبيه، هي إفاضة الخيرات عليه، والصفات العظيمة، والنعوت الكريمة، والإعزاز والإنعام، والتفضل عليه بالإجلال والإعظام، والعطايا الفخام. وسلام الله عليه هو سلامته من النقائص والآفات، وإعطاؤه السلامة بالتكميل والتجليل، والإعزاز والتبجيل، تحية من عند الله مباركة طيبة.

وقوله رضي الله عنه: [نبيك]، هو المنبأ، أي المخبر عنه بالوحي والتشريع والإنذار. والمخبر بذلك، المرفوع القدر لديه والاصطفاء عنده، والقرب والتقريب منه. ومعنى [المختار]، المنتقى المستخلص.

وقوله: [خير مشفع]، أي أعلى وأفضل مقبول ومقرب، بفتح الراء. و[الاصطفاء] قريب من الاستخلاص. و[الاختيار] هو نوع الاختصاص، وجملة الأمور الاختصاصية.

وقوله: [الهادي إليك]، أي المرشد إلى معرفتك وعبادتك، وطريق رضاك، وسبيل التقرب منك.

وقوله: [محمد]، هو أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم. قال الله سبحانه وتعالى: [محمد رسول الله]. فهو اسم علم على ذاته الشريفة. وأصله من الوصف للمبالغة في المحمودية، فنقل إلى العلمية، فصار علما على ذاته عليه السلام. وحقيقة في وصفه. كما أن اسمه أحمد، مبالغة في الحامدية، لأنه أحمد الأولين والآخرين، لله رب العالمين. ومحمد مبالغة في المحمودية، إذ ذاته صلى الله عليه وسلم محمودة على ألسنة العوالم من كل الوجود، من حيث حقيقته ووصفه، وخلقه وخلقه، وحاله وعلمه، وحكمه وجميع عوالمه.

فهو صلى الله عليه وسلم محمد على وزن مفعل، ومحمود على وزن مفعول، في الأرض والسماء، والدنيا والآخرة. فهو خير من حمد، وأفضل من حمد، خصه الله من حيث مبدأ الفاعلية، وتنزل الأمر بالأحمدية، ومن حيث منتهى المفعولية، وبلوغ الأمر بالمحمودية، فكان في السماء أحمد، وفي الأرض محمدا، وهما صيغتان لمعنى واحد، هو الحمد. فمحمد مفعل من الحمد. وأحمد أفعل منه. فهو صاحب المقام المحمود، ولواء الحمد بيده.

ثم إنه لم يكن محمدا، حتى كان أحمد، إذ حمد ربه تعالى قبل الخلق، وحمد ربه قبل أن يحمده الناس. وكذلك وجدت تسميته بأحمد في الكتب السالفة، وتسميته في القرآن بمحمد، فهو أحمد الحامدين، وأفضل المحمودين. ويفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح على أحد قبله، فيحمد ربه بها، وبذلك صار خير مشفع. وله يعقد لواء الحمد،

وسميت أمته في كتب الأنبياء بالحامدين. ولما سماه جده عبدالمطلب محمدا، قال: أرجو أن يحمده أهل السماء والأرض.

وذكر بعضهم أن تسميته لرؤيا عجيبة، وهي رؤيا السلسلة. وقد سمعت أمه صلى الله عليه وسلم، وهي حامل، قائلا يقول لها: فسميه محمدا، فقد سماه الله محمدا، قبل أن يخلق آدم، وقبل أن يخلق الخلق بألفي عام. ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم إلا بقرب زمنه، سمى قوم أولادهم به، وعدتهم خمسة عشر، رجاء النبوة لهم، ولم يسم أحد بأحمد حسب ما في حديث مسلم وأحمد والترمذي الحكيم، وفي نوادر الأصول.

وذكر بعض الصوفية، أن له عليه الصلاة والسلام ألف اسم، كما لله ألف اسم. حكاه ابن العربي في [العارضة]، وحكى ابن فارس، أن أسماءه عليه الصلاة والسلام ألف وعشرون.

وروى ابن عدي في [الكامل] وابن عساكر في [تاريخ دمشق] عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه صلى الله عليه وسلم قال: [اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، لأني أحيد عن أمتي نار جهنم]. وأحيد، ضبط بكسر الحاء مع فتح الهمزة، والأشهر أنه بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة، وفتح الياء المثناة التحتية، ودال مهملة، وهو غير عربي. وفي ضبطه ستة أوجه، وكونه صلى الله عليه وسلم خير مشفع، واضح جلي لتقدمه في الشفاعة، وعظم مايشفع فيه، وكثرة شفاعاته.

وأعظم شفاعته صلى الله عليه وسلم الشفاعة في جميع الخلق لإراحتهم من الموقف، فإنه مخصوص بها بالإجماع.

ومن شفاعاته عليه الصلاة والسلام، الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة فيمن استحق النار، فلايدخلها.

الرابعة في إخراج من دخل النار من المؤمنين، حتى لايبقى فيها منهم أحد.

الخامسة في زيادة الدرجات لأقوام في الجنة.

السادسة لجماعة من صلحاء المسلمسن، ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات.

وزاد بعضهم شفاعة سابعة في الموقف تخفيفا عمن يحاسب.

وثامنة بتخفيف العذاب عمن هو خالد في النار، كأبي طالب، وماجاء لأبي لهب في التخفيف عنه كل اثنين لسروره بولادة النبي صلى الله عليه وسلم في القصة المشهورة.

وشفاعة تاسعة في أطفال المشركين أن لايعذبوا، ذكره بعضهم.

وشفاعة عاشرة في أهل بيته عليه السلام، أن لايدخل أحد منهم النار، فأعطاه الله ذلك.

وشفاعة حادية عشرة في ثقل موازين أقوام.

وشفاعة ثانية عشرة في أقوام استوت حسناتهم وسيآتهم أن يدخلوا الجنة. قال بعضهم: وهم أصحاب الأعراف.

وشفاعة ثالثة عشرة في التخفيف من عذاب القبر لحديث مروره عليه السلام بالقبرين. وهذه الشفاعة برزخية.

وله صلى الله عليه وسلم غير ماذكر، شفاعات كثيرة، جاءت بها الأحاديث في الوعد بها على أعمال مخصوصة. ففي حديث رواه مسلم والنسائي: [فمن سأل لي الوسيلة، حلت عليه الشفاعة]. وورد: [من صلى على محمد، وقال اللهم أنزله المقعد المقرب منك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي]. أخرجه البزار عن رويفع بن ثابت مرفوعا. وأخرجه أحمد والطبراني في الكبير، وابن أبي عاصم، وحسنه ابن كثير.

وورد: [أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة، وليلة الجمعة. فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة]. وورد: [من صلى عليَّ يوم

الجمعة، كانت شفاعة له عندي يوم القيامة]. أخرجه الديلمي عن عائشة. وورد: [من صلى عليَّ حين يصبح عشرا، وحين يمسي عشرا، أدركته شفاعتي يوم القيامة]. أخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء.

وفي ذلك أحاديث أخر، أعني في الوعد بالشفاعة على أعمال. وإنما ذكرنا الوعد منه صلى الله عليه وسلم على الصلاة عليه لمناسبته هنا، لذكر سيدنا الناظم خيريته عليه السلام في الشفاعة على سائر الشفعاء، بعد الصلاة والتسليم عليه.

وقد ورد في فضائل الصلاة عليه مالايحصى. قال الله تعالى: [إن الله وملائكته يصلون على النبي، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما]. ومن الأحاديث المسندة المرفوعة، غير المراسيل، والموقوفات من حديث أكثر من أربعين صحابيا، منهم: أبوبكر، وعمر، وعلي، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو مسعود، وابن مسعود، وكعب بن عجرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو حميد الساعدي، وزيد بن حارثة، وابن خارجة، وأبو هريرة، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك، وأبو طلحة الأنصاري، وجابر بن عبدالله، والبراء، وعمار، وجابر بن سمرة، وابن عباس، وابن عمر، والحسنان، وأمهما رضي الله عنهم أجمعين. كحديث مسلم: أنه صلى الله عليه وسلم قال: [أولى الناس بي يوم القيامة، أكثرهم علي صلاة]. وقال صلى الله عليه وسلم: [صلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم]. وقال: [مامن أحد يسلم عليَّ، إلا رد الله علي روحي، حتى أرد عليه السلام]. رواهما أبو داود عن أبي هريرة بإسناد صحيح. ومعنى الروح هنا النطق، أو شيء من أحوال الروح. لأنه صلى الله عليه وسلم حي.

وقال صلى الله عليه وسلم: [رغم أنف رجل ذكرت عنده، فلم يصل علي]، رواه الترمذي عن أبي هريرة وحسنه.

وقال صلى الله عله وسلم: [البخيل من ذكرت عنده، فلم يصل علي]. رواه الترمذي أيضا عن علي رضي الله عنه، وقال حسن صحيح. وورد عنه: [من صلى علي، صلت عليه الملائكة. ومن صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات]. وفي رواية: [وكتب له عشر حسنات]. وورد: [من سلم علي عشرا، فكأنما أعتق رقبة]. . . . [ليردنَّ علي أقوام، ماأعرفهم إلا بكثرة صلواتهم علي]. . . . [أنجاكم يوم القيامة من مواطنها، أكثركم علي صلاة].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: الصلاة على النبي أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب. وعن عمر وعلي رضي الله عنهما، رفعه علي رضي الله عنه: [إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، حتى تصلي على نبيك]. وورد: [الدعاء بين الصلاتين عليَّ، لايرد. وأن الله وكل بقبري ملكا أعطاه أسماع الخلائق، فلايصلي علي أحد إلى يوم القيامة، إلا بلغني باسمه واسم أبيه، هذا فلان بن فلان قد صلى عليك].

وجاء أن الله تعالى أوحى إلى موسى: [أحب ماتكون إلي وأقربه، إذا أكثرت من الصلاة على محمد]. وورد: [صلاتكم عليَّ مجوزة لدعائكم، ومرضاة لربكم، وزكاة لأبدانكم. ومن صلى عليَّ في كتاب، لم تزل الملائكة تستغفر له مابقي اسمي في ذلك الكتاب]. وروي عنه عليه السلام: [الصلاة عليَّ نور]. . [طهارة قلوب أمتي، وغسلها من الصدأ الصلاة عليَّ]. وعنه عليه السلام، عن الله: [يامحمد! جعلتك ذكرا من ذكري. من ذكرك، فقد ذكرني. ومن أحبك، فقد أحبني]. وورد: [من صلى عليَّ في يوم الجمعة ثمانين مرة، غفر الله له ذنوب ثمانين سنة].

وقوله تعالى: [يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما]. أمرنا بالصلاة عليه، والأمر للوجوب. ولم يختلف العلماء في وجوب الصلاة

عليه، فأوجبها جماعة من العلماء كلما جرى ذكره، وسمع اسمه. ويدل له ماجاء في الأحاديث من الوعيد على تركها. وقال بعضهم بوجوبها في التشهد الأخير، منهم: الشافعي، وإسحاق بن راهويه، وإليه رجع الإمام أحمد. كما قال بعضهم، وهو قول غير واحد من الصحابة، منهم: عبدالله بن مسعود، نقله عنه ابن عبدالبر. واختاره ونقله أيضا عن ابن عمر وأبي مسعود البدري، وعن الإمام أبي محمد جعفر الصادق بن محمد بن علي، والإمام عامر الشعبي. وقال بعضهم: لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب، إلا النخعي.

ونقل بعضهم الإجماع على مشروعيتها في التشهد والجنازة، وإنما الخلاف في الوجوب والاستحباب. فمن المستحب عند بعضهم؛ التشهد الأول، والقنوت، والخطبة، وبعد الأذان والإقامة، ومع الدعاء، وعند دخول المسجد، وعلى الصفا والمروة، وعند ذكره، وكل اجتماع، وعند الفراغ من التلبية، واستلام الحجر، وعند قبره الشريف، وإذا خرج إلى السوق، وعند القيام من الليل، وختم القرآن، ويوم الجمعة وليلتها، وعند القيام من الجلوس، والمرور بالمسجد، وعند الهم، وعندكتابة اسمه صلى الله عليه وسلم، وعند الخطبة للناس، وبعد الوضوء، وعند دخول المنزل، وعند النسيان للشيء يذكره، وعند النوم، وبعد صلاة الجمعة، خصوصا بعد العموم في صلاة العيد، وعند طنين الأذن، وعند الضرورة والحاجة، وعند كل أمر ذي بال كذكر الله، وعند خدر الرجل، ذكره العامري وصاحب القلائد، وعند الزلزلة، ذكره السيوطي، ويوم الخميس.

قال الإمام الشافعي، وأحب أن يكثر الصلاة عليه في كل حال. وهذا عموم بعد الخصوص. ويلغ بعضهم مواضع الصلاة المستحبة عليه صلى الله عليه وسلم مائة موضع وزائدا.

وذكر من فوائدها أربعين فائدة من صلاة الله على المصلي عليه،

وكفى بها فائدة، وغفران ذنوبه، وكفاية همه، وقضاء حوائجه، وتبشيره بالجنة قبل موته، وتطهيره، وتزكيته، ونجاته من هول يوم القيامة، وطيب مجلسه، ونفي الفقر والبخل عنه، ووقوفه ثابتا على الصراط، وخروجه من الجفاء، وبركة ذاته وعمره وعمله، ونيل رحمة الله ومحبته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم، وحياة قلبه، وهدايته، وعرض اسمه عليه، واسم أبيه، وأداء حق نبيه أي بعضه، ولو لم يكن في بعضها، إلا أنها دعاء لله، وذكر له تعالى، ومناجاة. بل قال بعضهم: من قال [اللهم]، فكأنما ذكر الله بجميع أسمائه.

وقال الحسن البصري رحمه الله: مجمع الدعاء [اللهم]. وقال بعضهم: اسم الله الأعظم هو [اللهم]. وعن النضر بن شميل: من قال [اللهم]، فقد دعا الله بجميع أسمائه. قال غيره: لأن الله دال على الذات، والميم دال على الصفات. وقال مجاهد في قوله تعالى: [ألا بذكر الله تطمئن القلوب]، أي بمحمد وأصحابه. فعد من أسمائه ذكر الله. وقد ذكرنا شيئا من فضل الذكر، عند قول سيدنا الناظم:

[والذكر لازمه وواظبه على مر الزمان مع الحضور الأجمع].

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما ذكرناه، من جملة الذكر، فيتأكد معها الحضور، والتعظيم له عليه الصلاة والسلام، والاستحضار لذاته عند الابتهال إلى الله تعالى في الصلاة عليه، التي هي إدامة الله زيادة أنواع الكرامات من الله له، فبذلك تنال الفوائد المذكورة آنفا وغيرها للمصلي عليه، وكما كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ذكرا لله، فهي دعاء له إلى الله مع غناه بالله، بل هي عين الدعاء وحقيقته.

وقد ورد في فضائل الدعاء مالايكاد يحصى، وحيث قد ختم الناظم رضي الله عنه هذه القصيدة بالدعاء، وبالصلاة التي هي دعاء، فلنذكر

شيئا من فضل الدعاء. قال الله تعالى: [وإذا سألك عبادي عني، فإني قريب، أجيب دعوة الداعي إذا دعانِ]. وقال سبحانه وتعالى: [واسئلوا الله من فضله]. وقال عز وجل: [ادعوني أستجب لكم]. وقال تبارك وتعالى: [ادعوا ربكم تضرعا وخفية، إنه لايحب المعتدين .... إلى قوله... وادعوه خوفا وطمعا، إن رحمة الله قريب من المحسنين]. وقال: [فادعوه مخلصين له الدين].

وروى الحاكم وصححه: الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض. وورد: [الدعاء مخ العبادة]. وورد: [ليس شيء أكرم على الله من الدعاء]. وورد: [لايرد القضاء إلا الدعاء]. وورد: [الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء].

وقال صلى الله عليه وسلم: [إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني]. رواه البخاري ومسلم. وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعا: [لاتعجزوا عن الدعاء، فإنه لم يهلك مع الدعاء أحد]. وورد: [من فتح له منكم باب الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة]. وورد: [أن الله يحب أن يسأل]. وورد: [مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولاقطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها]. قال أبو سعيد الراوي: [إذن نكثر، قال: الله تعالى أكثر]. رواه أحمد والبزار، وأبو يعلى.

فهذه عشرة أحاديث في الدعاء. وقد دعا سيدنا الناظم هنا بعشر دعوات، منها: اللطف، والغفران، والرحمة، والألفة، والجمع، والجبر، والتوفيق، والرضا، والختم باليقين، والهدى، ودفع الزيغ، والحادي عشر طلب الصلاة والسلام.

وبالجملة، ففوائد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لاتعد ولاتستقصى في الدنيا والآخرة، وكم قضى الله بها من حاجات، وفرج

من كربات، وأجزل من عطيات، فهي من أبرك الأعمال وأفضلها، وأوجبها للأمان من سخط الله، والعتق من النار، وتزكية الأعمال، ورفع الدرجات، فهو الفوز والتجارة التي لاتبور.

وقول سيدنا الناظم: [والآل والأصحاب ثم التابع]، أي اجعل صلاتك وسلامك، عطفهم على مشرفهم صلى الله عليه وسلم، اتباعا للسنة. لأنه الوارد في غالب الأحاديث أو كلها، أعني الصلاة على آله. قال الجزري: لاأعلم الاقتصار عليه دون آله. وورد مرفوعا: إلا مافي سنن النسائي في آخر القنوت، لم يقل فيه وآله. وفي وجوبه في الصلاة، قول ذكره الغزالي وإمامه، وحكاه البندنيجي وسليم الرازي، وصاحبه الشيخ نصر. ويدل له ظاهر الأحاديث حين سئل عليه السلام، كيف نصلي عليك؟ وإياه أختار. وأما إفراد الصلاة عن السلام، فلا أعلم أحدا نص على كراهته، ..... انتهى كلامه بمعناه.

ويقاس بهم الصحب رضي الله عنهم أجمعين، وكذا التابعون بإحسان، وإن لم يرد في نص الأحاديث. وقد ورد: [لاتصلوا علي الصلاة البتراء، قالوا: وما البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم] وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب. وروى أبو داود مرفوعا: [من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى، إذا صلى علينا أهل البيت، فليقل: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد النبي الأمي، وأزواجه أمهات المؤمنين، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد].

ثم ختم الناظم رضي الله عنه بالحمد لله، وطلب القبول والنفع من الله، والانتفاع، له وللسامع الطالب لذلك. فقال نفع الله به:

[والحمد لله الكريم ختامها   وقد انتهت فاقبل إلهي وانفع]

فـ[الحمد] هو الثناء والوصف بالجميل والجمال، وإظهار ذلك بالقول وبالفعال. ولما كان الحمد فاتحة الكتاب العزيز، وآخر دعوى أهل

الجنة، ومفتاح كلامهم، وهو كلمة كل شاكر، ختم به الناظم [وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين]. . . . [وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده]. . . . [وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن]، شعر:

إنما الحمد ظهور لكمالات الحقيقة   وكذا الشكر ثناء مثبت سر الخليقة

فـ[الشكر] من حيث ظاهره، هو الحمد. لأن شكر اللسان هو التحدث بالنعمة. وقد قال الله تعالى: [وأما بنعمة ربك فحدث].

وشكر الأركان بالعمل بالطاعة. قال الله تعالى: [اعملوا آل داود شكرا].

وشكر الجنان الذي هو شكر القلب بالاعتراف، والعلم بأن كل نعمة للعبد، فهي من الله وحده. قال سبحانه: [ومابكم من نعمة، فمن الله]. فهو سبحانه المنعم بالإيجاد والإمداد. فنعمة الإيجاد، إزالة العدم السابق، ولولاه لم يزل الممكن معدوما. ونعمة الإمداد منع العدم اللاحق، ولولاه لتلاشى وفني. [إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا]. وأعظم نعمة إيجاده الإيمان لنا والطاعة، ومحبتهما بالتحبب منه تعالى في قلوبنا. قال تعالى: [ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون. فضلا من الله ونعمة].

ولهذا نبه سيدنا الناظم على ذلك بقوله: [الحمد لله الكريم]، فأبان بوصف الكرم والإكرام، والمواهب العظام، من ذي الجلال والإكرام، أن الكل به سبحانه، ومنه، وله، وإليه.

وعن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما، قال: حاء الحمد من الوحدانية، وميمه من الملك، وداله من الدوام، فمن عرف بالوحدانية والملك والدوام، فهو حقيقة الحمد.

وقال بعض الأكابر: شروط الحمد ثلاثة. أن تعرف المنعم، وتثني عليه، وترضيه في نعمته بطاعته. . . انتهى. وكذلك الحمد يكون بثلاثة أشياء: باللسان والجنان والأركان. ويصح أن يقال الحاء محبة، والميم مدح، والدال دوام. فالحمد لله يحث على دوام المحبة والمدح.

ثم قال: [فاقبل إلهي وانفع]، أي اقبلنا واقبل منا، وتقبل منا ماوفقتنا له بما علمتنا، فعلمنا وعلمناه وعملنا، وانفعنا بذلك، وانفع بنا من تعلم منا، وعمل بما قلناه، فلك الحمد رب السموات ورب الأرض، رب العالمين.

فشكر اللسان التلفظ بالثناء على الله، بالتحميدات الدالة عليه، إظهارا للرضا عن الله تعالى، وفرحا به وبإنعامه، وفضله عليه، وأن مابنا من نعمة فمنه وحده، فله الحمد، وله الشكر. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: [ينادي مناد يوم القيامة: ليقم الحمادون، فتقوم زمرة، فينصب لهم لواء، فيدخلون الجنة. قيل: ومن الحمادون؟ قال: الذين يشكرون الله على السراء والضراء]. وقال صلى الله عليه وسلم: [الحمد رداء الرحمن].

وجاء عن الله في صفة الصابرين، دارهم دار السلام، إذا دخلوها، ألهمتُهم الشكر، وهو خير الكلام. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الشكر نصف الإيمان.

وقال صلى الله عليه وسلم: [أفضل الذكر لاإله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله]. وقال عليه الصلاة والسلام: [ليس شيء من الأذكار يضاعف، كما تضاعف "الحمد لله"].

والحمد لله على ماهدانا وأعطانا، ومن علينا وأولانا، ونسأله سبحانه تمام النعمة، وكمالها ودوامها، والعافية الشاملة في الدنيا والآخرة، في الأقوال والأفعال، والقلوب والأحوال، والظاهر والباطن، والداخل والخارج، بجوده ومجده، وكرمه وفضله.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ونسأله تعالى أن يصلي ويسلم على سيدنا ومولانا محمد، كما أمرنا بذلك، وكما هو أهله. سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لاإله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وأسألك التوبة.

سبحان ربك، رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، آمين.

قال مؤلفه عفا الله عنه ونفعنا به: فرغت من تصنيف هذا الشرح وتأليفه يوم السبت، سابع شوال، من سنة أربع وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية، عليه أفضل الصلاة والسلام. اللهم انفعنا بحبهم، واحشرنا في زمرتهم، آمين. إنك على كل شيء قدير، لا إله إلا أنت، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرست كتاب شرح العينية
من نظم سيدنا الحبيب القطب عبدالله بن علوي بن محمد الحداد
للحبيب العلامة أحمد بن زين الحبشي علوي